

سلسلة دراسات  
في المجتمع العربي السعودي  
الكتاب الثاني

# علم السكان

تأليف

دكتور محمد الركبوهري

أستاذ علم الاجتماع بجامعة القاهرة

الدكتور عبد الله محمد الخزرجي

أستاذ علم الاجتماع بجامعة الملك عبد العزيز

الطبعة الثالثة

١٤٠٦ هـ

رامتان - جدة  
المملكة العربية السعودية  
ص ب : ٨٩٥٠٠



# الافتاء

الى كل من يسعى بإخلاص وتفان لدراسة المجتمع العربى السعودى ..  
نهدى هذه المحاولة لدراسة جانب من أهم جوانب ذلك المجتمع .

المؤلفان



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

صدق الله العظيم



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وما توفيقى إلا بالله

### مقدمة الطبعة الثالثة

صدرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب فى عام ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ، وبعدها بعامين صدرت الطبعة الثانية منه ، فنفذت الطبعات بحمد الله ولقيتا من التشجيع والتقدير ما دفعنا إلى العمل على اخراج هذه الطبعة الجديدة .

وهذه الطبعة التى بين يدى القارئ الكريم تختلف اختلافا بعيدا عن الطبعتين السابقتين ففى الطبعتين الأولى والثانية كان الكتاب صادرا فى مجلدين ، المجلد الأول عن مقدمات العلم من حيث تعريفه ، والقاء الضوء على مفاهيمه الأساسية وشرح علاقته بالعلوم الأخرى . . الخ .

ثم غطى ذلك الجزء بعد ذلك موضوع الخصوبة ودراسة الوفيات وكان الجزء الثانى من الكتاب مخصصا لدراسة الهجرة بنظرياتها وأنواعها، وأنماطها ، وطرق قياسها . . . الخ

ورغبة فى زيادة الفائدة من الكتاب ، وتوصيله إلى دائرة أوسع من القراء والمهتمين ، وتلبية لرغبات عديدة أبداها لنا نفر من الزملاء ومن القراء رأينا ادماج هذين المجلدين فى مجلد واحد ، يقدم لعلم السكان بكل موضوعاته ، المقدمات العامة ودراسة الخصوبة ، ودراسة الوفيات . ودراسة الهجرة .

وبما أن هذه الكتب التى نقدمها جميعا، هى أجزاء من سلسلة لدراسة المجتمع العربى السعودى، لذلك كان من الطبيعى ومن اللازم أيضا أن يتضمن هذا الكتاب بابا مستقلا خصصناه لدراسة السكان فى المملكة العربية السعودية .

وقد كان رائدنا فى عملية تحرير هذه الطبعة الجديدة من الكتاب أن تتسم بأكبر قدر من الشمول وسعة التغطية، وأن تتصف فى نفس الوقت بالإيجاز وعدم التطويل، على أساس أننا قد أوردنا فى كل موضع إحالة لمزيد من القراءات والمراجع لمن يريد الاستزادة والتوسع .

وكلنا أمل أن نكون وفقنا إلى تحقيق ماتوخينا من هذه الطبعة من أهداف ، وعزاؤنا أن قراءنا الاعزاء : طلابا وزملاء وأصدقاء سوف يتولون توجيهنا وامدادنا بمقترحاتهم وآرائهم وملاحظاتهم للأخذ بها دوماً قدر المستطاع ، من أجل أن نشيد فى بلادنا صرحا شامخا للدراسات الاجتماعية الحديثة، التى تستطيع أن تواكب حركة هذا المجتمع الناهض السريع التغير، الذى يحقق فى كل مطلع يوم جديد قفزة وقفزات إلى الأمام .

والله ولى التوفيق إلى سواء السبيل

**المؤلفان**



## الباب الأول

| الموضوع                                                        | مفاهيم وقضايا أساسية في علم السكان | الصفحة |
|----------------------------------------------------------------|------------------------------------|--------|
| الفصل الأول: موضوع علم السكان وعلاقته بالعلوم الأخرى . . . . . | ١٣                                 |        |
| الفصل الثاني: المفاهيم الرئيسية في علم السكان . . . . .        | ٤٣                                 |        |
| الفصل الثالث: الوقائع الحيوية . . . . .                        | ٦٥                                 |        |

## الباب الثاني

### دراسة الوفيات

تمهيد

|                                                                    |     |
|--------------------------------------------------------------------|-----|
| ٨٧                                                                 |     |
| الفصل الرابع: جداول الحياة واستخداماتها في دراسة الوفيات . . . . . | ٩١  |
| الفصل الخامس: معدلات الوفيات . . . . .                             | ١٠٣ |
| الفصل السادس: اتجاهات الوفيات . . . . .                            | ١١٩ |
| الفصل السابع: أسباب الوفاة . . . . .                               | ١٢٧ |

## الباب الثالث

### دراسة الخصوبة

|     |                                                      |
|-----|------------------------------------------------------|
| ١٣٥ | الفصل الثامن: مشكلات دراسة الخصوبة وقياسها . . . . . |
| ١٤٩ | الفصل التاسع: الاختلافات في الخصوبة . . . . .        |

## الباب الرابع

### دراسة الهجرة

|     |                                                                      |
|-----|----------------------------------------------------------------------|
| ١٧١ | الفصل العاشر: الهجرة: التعريف والتصنيف والأنماط . . . . .            |
| ١٨٧ | الفصل الحادى عشر: قياس الهجرة: الطرق والمشكلات . . . . .             |
| ٢٢٥ | الفصل الثانى عشر: دراسة الهجرة الخارجية . . . . .                    |
| ٢٤٣ | الفصل الثالث عشر: تكيف المهاجرين . . . . .                           |
| ٢٦١ | الفصل الرابع عشر: أسباب الهجرة الداخلية (العوامل والدوافع) . . . . . |
| ٢٧٣ | الفصل الخامس عشر: النظريات المفسرة للهجرة الداخلية . . . . .         |

## الباب الخامس

### سكان المملكة العربية السعودية

#### الصفحة

#### الموضوع

|     |       |                                                      |
|-----|-------|------------------------------------------------------|
| ٢٨٩ | ..... | الفصل السادس عشر: لمحة عن الوضع الاحصائي في المملكة. |
| ٣١١ | ..... | الفصل السابع عشر: تطور حركة التعداد وأهم نتائجها.    |

## **الباب الأول**

مفاهيم وقضايا أساسية في علم السكان

الفصل الأول: موضوع علم السكان وعلاقته بالعلوم الأخرى

الفصل الثاني: المفاهيم الرئيسية في علم السكان

الفصل الثالث: الوقائع الحيوية



## الفصل الأول

### موضوع علم السكان وعلاقته بالعلوم الأخرى

علم السكان هو العلم الذى يدرس أعداد السكان (الحجم)، والتركيب السكاني، وتطور أولئك السكان في مجتمع معين، وكذلك العوامل التي تتدخل في تحديد هذا التركيب، وآثار هذا التركيب السكاني على الظروف الاجتماعية الأخرى. وعلم السكان على النحو الذى نفهمه به هنا يغطى في وقت واحد مصطلحي دراسة السكان والديموجرافيا. ذلك أن علم السكان كما نفهمه هنا لا يقتصر على الدراسة الاحصائية لبعض السمات السكانية (وهو المفهوم الضيق للديموجرافيا)، ولكنه يستوعب عدا هذا دراسة الأسباب التي تؤدي الى احداث بعض التغيرات في السكان، والنتائج التي تترتب على مثل هذه التغيرات. وسكان مجتمع معين هم مجموع الأشخاص الذين يعيشون في منطقة جغرافية معينة في فترة محددة.

وينقسم ميدان الدراسة في علم السكان الى عدة أقسام رئيسية، يمكن أن نحدد أبرزها فيما يلي:

#### أولا - وصف السكان:

ويشمل هذا القسم من أقسام الدراسة في علم السكان الجهود العلمية المبذولة لتغطية الموضوعات التالية:

(أ) حجم السكان (عدد الأشخاص)، وتوزيعهم الجغرافي وتركيبهم على حسب النوع (ذكر أو أنثى)، والسن، والمهنة، وغيرها من السمات التي يستهدف الباحث الكشف عنها والقاء الضوء عليها (أى وصف السكان).

(ب) دراسة المتغيرات التي تؤثر على تطور السكان تأثيرا مباشرا كالخصوبة، والوفاة، والهجرات. وكذلك دراسة الظروف الكامنة وراء تلك المتغيرات والمتصلة

بها كسّن الزواج، وعدد حالات الزواج، . . . الخ . (أى وصف حركة السكان) .  
ويعتمد ميدان وصف السكان اعتمادا أساسيا على الجداول التى يتم اعدادها  
وفق المناهج والطرق الخاصة المعروفة فى علم الاحصاء السكانى . وبعد الاحصاء  
السكانى فى الوقت الحاضر أكثر فروع الإحصاء تقدما على الإطلاق ، وهو الذى  
يمد الديموجرافيا بالمقاييس والنماذج الاحصائية التى يستعان بها فى عمل  
التحليلات السكانية .

### ثانيا - نظرية السكان :

ويشمل هذا القسم من أقسام الدراسة فى علم السكان الجهود المبذولة للكشف  
عن المتغيرات المؤثرة على تطور السكان والعلاقات بينها من ناحية وبين العوامل غير  
الديموجرافية من ناحية أخرى . ذلك أن تحديد مثل هذه المتغيرات والتعرف على  
العلاقات بينها وبين سائر المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية يعد الركيزة الأساسية  
التى يمكن أن ينهض عليها فهم حقيقى للعمليات السكانية فى مجموعها . وهى  
التى تمدنا فى نفس الوقت بالأساس الذى توضع فى ضوءه التنبؤات السكانية  
والسياسات السكانية فى مجتمع معين .

### ثالثا - السياسة السكانية :

تضم السياسة السكانية كافة الاجراءات التى تستهدف التأثير على سكان  
مجتمع معين سواء من حيث أعدادها (السياسة السكانية الكمية أو العددية) أو من  
حيث تركيبهم (أى السياسة السكانية النوعية أو الكيفية ) أو من الناحيتين معا .  
ويمكن أن تسير الدراسة العلمية لموضوع كهذا فى ثلاثة محاور :

(أ) دراسة الاجراءات السياسية السكانية فى دولة معينة فى فترة زمنية بالذات  
وتتبع آثارها ونتائجها . وهنا تجرى تحليلات لهذه الاجراءات ويقدم الباحث عرضا  
مفصلا لها .

(ب) وضع مناهج العمل واقتراح الاجراءات التى تصلح لتحقيق هدف  
سكانى معين فى ظل ظروف معينة (مثلا: فى فترة معينة، أو بتكاليف  
محددة . . الخ) .

(ج) وضع واقتراح الأفكار والتصورات الكامنة وراء بعض الاجراءات السكانية المعينة في بلد معين في فترة زمنية بعينها ، والتي تخدم تلك الاجراءات أو تعمل على تعويقها .

#### رابعاً - التاريخ السكاني :

ويشمل هذا القسم من أقسام الدراسة في علم السكان الجهود المبذولة لدراسة حالة سكان مجتمع معين وتطورهم وكذلك اجراءات السياسة السكانية في العصور الماضية والتصورات والأفكار التي كانت تستند إليها تلك السياسات . ومن هذا يتضح أن ذلك القسم من أقسام الدراسة لا يثير في الحقيقة قضايا خاصة به أو متميزة عن القضايا والموضوعات العامة التي أثرت عند استعراض الأقسام السابقة ، ولكنه يتضمن في الحقيقة تطبيقها على دراسة السكان في الماضي .

ذلك هو اجتهادنا الخاص في تحديد موضوعات الدراسة وأقسامها الرئيسية في علم السكان ، وهي يمكن أن تختلف من باحث لآخر ، ومن فترة زمنية لأخرى . ولكن التقسيم الذي قدمناه يعد دون مغالاة من أكثر التقسيمات قبولا . وأوسعها إحاطة بالموضوعات ، ووفاء بالأغراض التي استهدفتها المدارس المختلفة .

ولعل الشيء الجدير بالتنويه على أي حال هو أن هذه الأقسام - شأنها شأن أقسام أى علم آخر - لا يمكن الفصل بينها فصلا واضحا بسهولة لأنه من الطبيعي ومن الضروري أن يقوم قدر من التداخل وأن يكون بينها قدر من الترابط . فهي ليست مستقلة عن بعضها ، ولا يصح أن نتصورها كذلك . فلاشتغال بقسم منها لا يلبث أن يقودنا تلقائيا الى الأقسام الأخرى ، خاصة إذا ما أردنا لدراستنا قدرا وافيا من الإحاطة والتأصيل .

ونأمل أن تنتظم فصول هذا الكتاب وفقا لهذا المخطط العام ، فنكون بذلك قد أنصفنا العلم الذي نحاول تقديمه للقارئ العربي .

\*\*\*

## أهمية علم السكان

إذا كان من المناسب في صدر الحديث عن علم من العلوم أن نقدم بكلمة عن أهمية هذا العلم، فإن ذلك الأمر أنسب ما يكون بالنسبة لحديثنا عن علم السكان. لأننا نعتقد أن الأهمية الفعلية التي يتمتع بها هذا العلم في حياتنا العلمية والعامّة لاتتفق إطلاقاً وما ينبغي أن يحظى به من تقدير واهتمام. لقد كان من الواجب ان يأتي الاشتغال بهذا العلم على رأس اهتماماتنا العلمية سواء في ميدان العلوم الاجتماعية أو الطبيعية<sup>(١)</sup>. ولكن الواقع القائم يختلف عن ذلك كثيراً كما نعرف جميعاً، سواء في ذلك كافة بلادنا العربية، اللهم فيما عدا بعض الاستثناءات القليلة التي لا تغير مع ذلك من هذا الحكم العام.

ولعل من أبرز أسباب تأخر هذا العلم في بلادنا العربية وعوده عن مواكبة أحدث التيارات العالمية سواء على صعيد الدراسة أو التجارب والاجراءات العملية، لعل من أبرز أسباب ذلك أن تقدم البحث في هذا العلم يعتمد على توافر قدر كاف من البيانات الاحصائية الموثوق بصحتها بقدر المستطاع. لأن هذه البيانات هي المادة الأولية التي يتناولها الباحث بمنهج العلمى الخاص، فينقب عما فيها من ارتباطات، ويسعى الى استخلاص الأسس أو القواعد التي تحكمها، أو تؤثر فيها. وربما ليكتشف ما قد تحتويه من مفارقات تنم عن وجود أخطاء بها، فيعمل على تعديلها بما يقربها من الواقع. والدولة هي السلطة الوحيدة التي يمكنها أن تجمع مثل هذه البيانات اذا اما اقتنعت بأهميتها وأصدرت التشريعات اللازمة لتنظيم عملية جمعها وتحديد التفاصيل التي تشملها<sup>(٢)</sup>.

---

(١) وذلك على أساس أن علم السكان يرتبط بصلات وثيقة مع أغلب العلوم الاجتماعية كعلم الاجتماع، والاقتصاد، والسياسة، والقانون... الخ، وكذلك مع طائفة من العلوم الطبيعية خاصة في الموضوعات التي تتصل بالسكان الحيوية للسكان ومسائل الوراثة وتحسين النسل... الخ ذلك من الموضوعات كما سيتضح فيما بعد عند حديثنا عن علاقة علم السكان بالعلوم الأخرى.

(٢) أنظر المقدمة التي كتبها الدكتور عز الدين فريد للكتاب التالى: لين سميث، أساسيات علم السكان، ترجمة الدكتور محمد السيد غلاب وفؤاد اسكندر، مراجعة وتقديم الدكتور عز الدين فريد، المكتب المصرى الحديث، القاهرة، ١٩٧١، ص ٣ وما بعدها.



ومن هنا قلنا ان بيان أهمية هذا العلم في صدر معالجتنا لموضوعاته ليس من قبيل التزيد أو الالتزام الشكلي بأسلوب تقليدي في تقديم العلوم . فالناس هم موضوع الدراسة في علم السكان ، والناس كما يقول لين سميث - هم أهم ما في هذا العالم «فأنت وأنا وملايين غيرنا من البشر نتشر فوق سطح الأرض ، ونمثل غاية جهد المجتمع ووسيلته في نفس الوقت . فكل نشاط في مجال الاقتصاد أو الصناعة ، الحكومة أو السياسة ، التربية أو الدين أو الرياضة ، وغير ذلك من أوجه النشاط يقوم به الناس للناس . بل ان تعدد الناس في مكان ما ، ونمط توزيعهم في الاقليم ، ومعدل نموهم أو تناقصهم ، ومدى صغر سنهم أو كبرها ، وتوزيعهم بين الذكور والاناث ، ونسبة المتزوجين منهم وغير المتزوجين ، وسكان الريف وسكان الحضر ، والداخلون في القوى العاملة أو الخارجون عنها والسلالة أو العنصر الأثنولوجي الذي ينتمون اليه ، أهم متعلمون أم أميون ، ومولودون في الاقليم أم أجناب عنه - الى غير ذلك من المعلومات - كلها ذات أهمية أساسية في جميع أوجه النشاط البشري تقريبا» . (١)

والتعبير الحديث عن ذلك أن البيانات السكانية المختلفة التي ضربنا بعض الامثلة عليها فيما سبق هي الأساس الذي تبنى عليه أى خطة اقتصادية أو اجتماعية . ولعلنا ندرك أهمية ذلك عندما ندرك أنه لم يعد على وجه هذه الأرض مجتمع لا يأخذ بالتخطيط سبيلا الى التنمية ، متقدما كان أو متخلفا . فالتخطيط العام ، خاصة في البلاد التي تأخذ بالخطة العامة (خمسية أو سبوعية أو عشرية . . الخ) ، لا يمكن أن يتصور قيامه بدون مثل هذه البيانات . ناهيك عن الخطط الاقتصادية (الصناعية أو التجارية أو الزراعية) ، والتعليمية ، والحربية ، وخطط الخدمات المختلفة . الخ . كل ذلك يتخذ من البيانات السكانية عمودا تقريبا وركيزة أساسية . ومن الطبيعي ألا يقتصر ذلك على التخطيط على المستوى القومى (أى على مستوى الدولة) فحسب ، وانما يصدق نفس الكلام على المستوى الاقليمى والمحلى في نفس الوقت .

---

(١) لين سميث ، أساسيات علم السكان ، مرجع سابق ، ص ١٣ وما بعدها .

فالحقائق الأساسية عن السكان - على المستوى المحلي - تعتبر ضرورية لرسم أية سياسة عامة رسماً حكيماً. فالمسائل المتعلقة مثلاً باختيار مواقع المدارس، ومبانيها وتجميعها، واختيار مواقع المستشفيات وتشيدها وغير ذلك من المرافق الصحية، وتخطيط الطرق وإصلاحها لابد أن ترتبط دراستها ارتباطاً وثيقاً بحقائق السكان واتجاهاتهم نحو الزيادة أو النقصان أو الثبات.

ويمثل السكان - علاوة على هذا - مركز الثقل العام في وزن الدولة وتحديد مكانتها على المسرح العالمي سياسياً وعسكرياً. وإن كان بديها أن السكان وحدهم ليسوا العنصر الأوحد في تشكيل القوة، فهناك عناصر أخرى متعددة مثل جغرافية الدولة، وموارد الثروة الطبيعية فيها، ودرجة تقدمها الاقتصادي والتكنولوجي، وطبيعة بنيتها السياسية، وطابعها القومي العام. مع ذلك فإن السكان يمثلون كما قلنا عاملاً لا يستهان به في تشكيل قوة الدولة. فنحن نلاحظ مثلاً أن جميع الدول العظمى المتعارف عليها اليوم تستند إلى أعداد ضخمة من السكان. فلا يقل سكان أية دولة من الدول العظمى عن أربعين مليوناً بل أن البعض يذهب إلى أن المستعمرات التي تضم أعداداً كبيرة من السكان كانت أسبق من غيرها إلى تحقيق استقلالها عن الدول التي كانت تحتل أراضيها. لذلك يمكن القول بأن الترتيب السكاني لدول العالم هو أقرب شيء إلى ترتيب الدول من حيث القوة من أية قائمة أخرى تدرج أسماء الدول وفقاً لاعتبارات حجم المساحة أو الموارد.<sup>(١)</sup>

وأهم النواحي التي يبرز فيها عدد السكان كعامل من العوامل التي تشكل القوة القومية هي الناحية العسكرية (سواء الهجومية أو الدفاعية)، والسكان كقوة عاملة منتجة، والسكان كقوة مستهلكة. كما أن العدد الضخم من السكان يساعد على ظهور تقسيم العمل والتخصص بشكل واضح متزايد.<sup>(٢)</sup>

فمن الناحية العسكرية نجد أن الجيوش الحديثة - رغم التقدم التكنولوجي

---

(١) أنظر أحمد الخشاب، سكان المجتمع العربي، دراسة تكاملية، مكتبة القاهرة الحديثة، بدون تاريخ،

ص ٢٦ وما بعدها، خاصة ص ص ٢٧ - ٢٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٨.

الجبار - ما زالت في حاجة الى أعداد كبيرة من القوى البشرية . فان أى جيش حديث مازال يستلزم توفير أعداد كبيرة من الرجال كما كان يحدث فيما مضى . وما زال السلاح الحديث يتطلب الرجل الكفاء ، وتحتاج قطعه العديدة الى عديد من الرجال لاستخدامها وحفظها وصيانتها . . . الخ . ومازالت الدول تحتفظ - رغم نمو الأسلحة الذرية - بجيوش ضخمة تعتمد على الأسلحة التقليدية وعلى الاساليب التقليدية فى القتال . وهكذا فان العدد الضخم من السكان يمكن الدولة من تعبئة جيش كبير يستخدم مباشرة كأداة من أدوات القوة . وفى المجال الدولى تستطيع الدولة ذات القوة العسكرية الكبيرة أن تدعم مكانتها السياسية وتحافظ على قوتها الاقتصادية وتدفع الأخطار عن نفسها وعن حلفائها . ولذلك تعد القوة العسكرية المستندة على عدد السكان - الى حد بعيد - أداة من الأدوات التى تمارس بها الدولة قوتها فى المحيط الدولى .

وفىما يتعلق بالناحية الدفاعية فان ضخامة عدد السكان تكفل ميزة دفاعية غير مباشرة ، فمن الصعب قهر الدولة كثيفة السكان بالمستعمرات ، ومن الصعب أيضا السيطرة عليها لمدة طويلة اذا ما تم قهرها . فان الاحتلال العسكرى لأراضى يشغلها عدد ضخم من السكان قد يستلزم مرابطة قوات كبيرة من الدولة المنتصرة فى أراضى الدول المحتلة . ولقد وجدت الدولة الألمانية النازية أن احتلال أوروبا يكاد يكون أمرا يفوق طاقتها . وحين بلغت الجيوش الألمانية فى الحرب العالمية الثانية أقصى توسع لها كانت مواقع الانتاج فى ألمانيا نفسها تعاني نقصا حادا فى الأيدى العاملة فى أراضىها .

أما السكان كقوة اقتصادية فيبدو ذلك فى ناحيتين رئيسيتين من نواحي النشاط الاقتصادى وهما الانتاج والاستهلاك . ففى عملية الانتاج تعد القوة البشرية العاملة أحد الأركان الأساسية ، حقيقة انها ليست العامل الوحيد ، حيث ان هناك أيضا عاملى الأرض (الثروة الطبيعية أو المواد الخام) ورأس المال ، ولكن نظم الانتاج خاصة التقليدى منها يتطلب أعدادا ضخمة من الأيدى العاملة التى توفرها القاعدة السكانية العريضة فى المجتمع .

ومن الواضح أن القوة الاقتصادية لأي دولة من الدول هي عامل أساسى وحاسم من عوامل قوتها السياسية. اذ يمكن للدولة أن تستفيد من الانتاج والخدمات التى يقدمها السكان فى ممارسة القوة فى المحيط الخارجى. فالدولة تستطيع أن تقدم انتاجها سواء فى شكل سلع متنوعة أو خدمات وخبرات فنية كمنح أو قروض أو مبيعات لغيرها من الدول التى تكون فى حاجة اليها. كما تستطيع هذه الدولة أن تحرم دولا أخرى بأن تقاطعها اقتصاديا. وهكذا نرى أن الانتاج الاقتصادى الذى يعتمد فيما يعتمد على عدد السكان يمكن أن تستخدمه الدولة كأداة من أدوات الجزاء أو العقاب، وبالتالي فى ممارسة قوتها أو تأثيرها فى سلوك غيرها من الدول.

وعن السكان كقوة مستهلكة نلاحظ أن الناس لا ينتجون فحسب، بل هم يستهلكون أيضا. ومن الممكن أن يكون عدد السكان الضخم مصدرا للقوة، ذلك أنهم يحددون حجم السوق المحلية بالنسبة لمختلف السلع. فالسوق الكبيرة تساعد على تنمية صناعات محلية ضخمة تستفيد من ميزات الانتاج الكبير فى تحقيق دفعات اقتصادية، لا يستهان بها. كما تستطيع الدولة ذات السوق الكبيرة الحجم استخدام قوتها الاستهلاكية فى فرض سيطرتها على السوق العالمية. فهى ان شاءت فتحت أبواب أسواقها أمام بضائع وخدمات غيرها من الدول، ويكون ذلك بمثابة المكافأة، وهى ان شاءت أيضا أقفلت هذه السوق فى وجه سلع هذه الدول، ويكون هذا بمثابة المقاطعة. ولقد كانت ألمانيا النازية نموذجا بارزا فى هذا الميدان وكذلك الاتحاد السوفيتى فى الوقت الحاضر، وذلك بسبب إحتكار الحكومة لعمليات البيع والشراء. كما تستطيع الدولة صاحبة القوة الاستهلاكية الكبيرة أن تؤثر فى أسعار السلع وفى سلوك الدول المصدرة اليها والمتعاملة معها تجاريا بشكل عام

ويساعد العدد الضخم من السكان على ظهور تقسيم العمل والتخصص بشكل واضح. وهذا تعطى القاعدة السكانية العريضة فرصة أكبر لظهور المختصين والعباقرة والخبراء الفنين والأبطال الرياضيين والنجوم فى عالم

الفنون . . . الخ . وهؤلاء جميعا جزء أساسى من رصيد القوة والتأثير لأى شعب من الشعوب . وهم الذين يمثلون فى الواقع الدعائم الحقيقية لقوة الدولة فى النصف الثانى من القرن العشرين . هذا بالاضافة إلى أن القوى العاملة الكبيرة ذات المهارات المتنوعة والكتلة الضخمة من المستهلكين وذوى الحاجات المتنوعة تتيح امكانيات تطور اقتصاد يتميز بالوفرة والتنوع ، وهو أمر ضرورى للقيام بأى محاولة للاكتفاء الذاتى من الناحية الاقتصادية .

ومن الناحية النفسية نجد العدد الضخم من السكان الذى ينمو بسرعة يولد الثقة والعزم فى نفوس أفراد الأمة ، ويشيع - من جانب آخر - مشاعر الرهبة لدى الأمم الأخرى . ويمكن أن تستفيد الدولة من هذه الحالة النفسية فى مساومة غيرها من الدول والتأثير فى سلوكها وموقفها الدولى .

تلك هى باختصار أبرز الجوانب الايجابية للقوة البشرية وضخامة القاعدة السكانية فى أى مجتمع من المجتمعات . ويجب ألا يتبادر الى ذهن القارئ أننا نتصور أن مجرد الزيادة العددية فى سكان أى مجتمع كفيلا بتحقيق هذه الامتيازات ، من التفوق العسكرى ، الى القوة الاقتصادية ، الى القوة الدولية . . الخ . وانما نحن ندرك تمام الادراك أن هذه الميزات لن تتحقق الا اذا ارتفعنا بالمستوى النوعى لأولئك السكان ، فالانسان الضعيف الفقير الجاهل لا يخوض حربا منتصرة أبدا ، والفرد المريض غير المدرب لا يستطيع أن يدير آلة فى مصنع حديث ، ناهيك عن أن يكون مستهلكا له أى احتياجات . . الخ . فنحن مطالبون أن نجعل من تلك القوة السكانية الكمية قوة سكانية نوعية متفوقة ، وذلك هو سبيل القوة الحقيقية . وقد يقول البعض أن هذا طريق طويل صعب وتلك قضية أخرى . ولكننا نقول أن ذلك لا يمكن أن يتحقق فى ظل فقر سكانى أو حتى تخلخل سكانى . فان اعداد النوعية المطلوبة بالمستوى المنشود لا يمكن أن يبدأ من فراغ ، وانما لابد أن يستند الى قوة كمية هائلة . وهذا ما حاولنا أن نقيم عليه الدليل فى الصفحات السابقة .

## علاقة علم السكان بالعلوم الأخرى

تمثل الاحصاءات سواء كانت في صورة تعدادات أو تسجيل للوقائع الحيوية . الخ المادة الأساسية التي يشتغل بها المتخصص في علم السكان . فهي التي تقدم له مادته الرئيسية عن أعداد السكان وخصائصهم ، وهي التي تصور له حركتهم عبر المكان وتطورهم عبر الزمان . الخ . ولكن ما ان يتجاوز الديموجرافى (المتخصص في علم السكان) مجرد الملاحظة والقياس (وهما في حد ذاتهما من الأعمال المعقدة) ، ويبدأ يتناول بالتفسير الحقائق التي لديه ، حتى يجد نفسه مضطرا الى أن يلتمس العون من عدد من المتخصصين في علوم أخرى .

ومصادق ذلك أننا اذا وسعنا نطاق نظرتنا الى مجالات الدراسات السكانية وجدناها متشعبة النواحي متعددة الجوانب ، تختلف باختلاف وجهات نظر العلماء والزواية التي يعنى الباحث بدراستها<sup>(١)</sup> . فقد يتناول بعض العلماء النواحي التاريخية للسكان في مختلف البلاد متتبعين الهجرات السكانية التاريخية القديمة وفقا للعصور الجيولوجية المتعاقبة والتطورات والتقلبات البيئية الطبيعية . وهذا الفريق يعنيه أن يربط بين الصفات النوعية للسكان وظروف البيئة الطبيعية التي يعيشون فيها أو ينتقلون اليها . وأبرز من يمثل هذه الاتجاه بصفة عامة علماء الأيكولوجيا والجغرافيا التاريخية البشرية التي أطلق عليها العلامة راتزال Ratzel اسم : الجغرافيا البشرية Anthropogeography

وهذا الفريق من العلماء المهتمين بدراسة السكان من هذه الناحية يربطون بين الكثافة السكانية من ناحية ، والنواحي والصفات النوعية للسكان من ناحية ثانية ، وبين مدى امكانية استغلال سكان كل بيئة للموارد الطبيعية لبيئتهم الجغرافية ، وأثر تغير البيئة في الحركات السكانية .

ومن أشهر ما عرف بهذا الصدد ذلك التقسيم الذى يصنف السكان الى ثلاثة أقسام رئيسية وفقا لفاعليتهم تجاه موارد بيئاتهم . النوع الأول من السكان يمثل

(١) اعتمدنا في عرض هذا الموضوع اعتمادا أساسيا على أحمد الحشاش ، المرجع السابق ، ص ص

النموذج السلبي السائد في المجتمعات المتخلفة في الحضارة التي تمتاز بقلة عدد سكانها وعدم استقرار أفرادها واعتمادهم التام على ماتقدمه البيئة الطبيعية من موارد غذائية وما تيسره من ملاجئ وملاذ طبيعية. وهذا النموذج السلبي من السكان لا يملك القدرة الفنية على التحكم في موارد البيئة الطبيعية وتوجيهها، فيظل في حالة تبعية من النواحي الاقتصادية والسياسية والثقافية.

والنموذج الثاني من السكان تمثله المرحلة الحضارية التاريخية التي مرت بها المجتمعات الانسانية. ويتألف من مجموعة من السكان الذين قدر لهم أن يعيشوا في بيئات لها خصائص جيولوجية معينة، يسرتها لهم منابع الحياة، الأمر الذي ساعدهم على اكتساب خصائص الاستقرار واستثمار غلات البيئة الطبيعية من الناحية الزراعية وعدم الوقوف منها موقف السلبية، والأخذ بفكرة الصناعات التحويلية التي يعالجها الانسان بمجهوده الخاص في سبيل اشباع حاجاته الضرورية.

أما النموذج الثالث للسكان فيتمثل فيما يسمى بالجماعات الإيجابية التي تبذل جهودا إيجابية لتغيير معالم موارد البيئة الطبيعية، والأخذ بفكرة الانتاج التحويلي، وتسخير الموارد الطبيعية لصالح الإنسان ويتحقق هذا النموذج في المجتمعات الصناعية.

أما عن العلاقات بين علم السكان والأنثولوجيا والدراسات الأنثروبولوجية بصفة عامة فقد تعددت وتنوعت أبعادها واتخذت حجما مؤثرا في تاريخ علم السكان. فنجد من ناحية الجهود التي بذلها نفر من علماء الأنثولوجيا لدراسة التغيرات النوعية والسلالية التي تطرأ على السكان تحت تأثير الهجرة أو الانعزال. ومن هؤلاء العلماء فاجنر Wagner وفريد ريش راتزل Ratzel وليو فروبينوس Leo Frobenius وبعض علماء الأنثولوجيا الذين وجهوا عنايتهم لدراسة الأصول السلالية لسكان العالم أمثال: فوي Foy وأنكرمان Ankermann وجريبنر Graebner

وقد قسم بعض هؤلاء العلماء سكان العالم على أساس دوائر ومناطق ثقافية وأنثولوجية على نحو ما فعل راتزل وفروبينوس وبينار دى لا بولاي Pinard de la

Boullaye الذى حاول أن يوضح العلاقات المكانية والاقليمية بين مختلف الأجناس البشرية. كما حاول أن يثبت وجود علاقات أساسية بين هذه الأجناس تساعد على معرفة الثقافة الأصلية والحياة الفكرية الأولى لأقدم السلالات. كما توضح العلاقات الزمانية بين الثقافات المتعددة المنتشرة بين السكان في مختلف القارات. ويشير الدكتور أحمد الخشاب الى أن بعض هذه الاتجاهات الأثنولوجية التى امتزجت بالدراسات السكانية قد اتخذت طابعاً مميزاً عند بعض العلماء واصطبغت بالصبغة التى أصبحت تعرف باسم النزعة العنصرية وادعاء وجود تفاوت في الخصائص النوعية والاستعدادات النفسية والعقلية للشعوب. وتمخضت تلك النزعة في النهاية عن فكرة السلالة النقية التى يجب أن تؤلف سكان كل وحدة سياسية. فتكررت بذلك للحقائق التاريخية والاجتماعية عن الهجرات السكانية وامتزاج العائلات البشرية.

ولاشك أن النظرية التى تنادى بضرورة الوحدة الأثنولوجية والعنصرية لجميع سكان كل وحدة سياسية، نظرية تعصبية خاطئة كانت وليدة الاتجاهات السياسية الاستغلالية التوسعية. وقد تبنتها الحركة النازية الألمانية للتسيد على سكان العالم يزعم أن الجنس الجرمانى هو أسمى السلالات البشرية وهو الوصى على الحضارة الانسانية. وهذا الاتجاه الفكرى كان احدى الدعائم الأساسية التى بذرت بذور الحرب العالمية. ولسنا هنا بصدد مناقشة هذه الفكرة، ولكننا أردنا في هذا المجال أن نوضح العلاقة التى تربط بين علم السكان والدراسة الأثنولوجية وأثر ذلك من الناحية السياسية والاقتصادية ومدى تكييفها للسياسة السكانية في المجالات الدولية. (١)

وقد يهتم فريق آخر من العلماء بدراسة الجوانب البيولوجية الحيوية من السكان. فيعنى بتتبع الخصوبة (سواء الممكنة أو الفعلية) واختلاف نسبتها باختلاف

---

(١) انظر أحمد الخشاب، سكان المجتمع العربى، مرجع سابق ص ص ٨٥ - ٨٦. وكذلك كتابه دراسات أنثروبولوجية، دار المعارف، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٧٠، حيث تناول بالعرض والتحليل والتفنيد آراء النظرية العنصرية.



الشعوب، واختلافها داخل الشعب الواحد باختلاف الطبقات والشرائح الاجتماعية. ويظهر ذلك في الدراسات التي قام بها بعض العلماء، والتي بمقتضاها تم التمييز بين الشعوب على أساس الخصائص المميزة للقدرة على الانجاب. ويعتقد هو كور أن كثافة السكان مسألة ترجع الى مقدرة كل جنس على الانجاب والى خصوبته التناسلية. وأمثلة تلك الدراسات الديموجرافية التي أجراها العالم الأمريكي نوتشتاين Notstein على الخصوبة في الطبقات الاجتماعية ببعض مناطق ومدن الولايات المتحدة.

وينتمى الى هذه الشعبة الحيوية في الدراسات السكانية العلماء والمشتغلون بتحسين النسل Eugenics ، سواء من الناحية البيولوجية أو الاجتماعية . وقد اعتمدت هذه الطائفة من العلماء على الانتفاع بالنواحي العلمية التي أظهرتها دراسات جالتون Galton من ترقية مختلف أنواع الكائنات الحية ومحاولة الانتفاع بها وتطبيقها لترقية النوع البشرى وتحسين الصفات الانسانية عن طريق دراسة مستفيضة لنظريات الوراثة وأثر الوراثة البيولوجية على الوراثة الاجتماعية .

ولقد تقدمت هذه البحوث على يد كارل بيرسون Karl Pearson وازدهرت بعد أن تأسس في انجلترا مركز قومي للبحوث الايوجينية (بحوث تحسين النسل) عام ١٩٠٧ باسم فرانسيس جالتون . وأصبح لهذه الدراسة هيئات وجمعيات تربوية لنشر آرائها بين طبقات الشعب المختلفة وكذلك مجلات لتنشر فيها أبحاثها العلمية ودراساتها المتخصصة لمناقشة الوسائل العلمية لتحسين النسل ، ومتابعة التشريعات الاجتماعية الكفيلة بتحقيق هذا الهدف الانساني . وقد حمل لواء هذه الدراسة في الولايات المتحدة كل من الكسندر جراهام بل A.G. Bell والعلامة دافينبورت Davenport . وتأسست في نيويورك هيئة علمية لتتبع هذا اللون من الدراسة تعزف باسم The Eugenics Record Office (٢)

---

(1) F. Galton Laboratory of National Eugenics

(٢) أحمد الخشاب، سكان المجتمع العربى، مرجع سابق، ص ٨٦ - ٨٧ نقلا عن مادة «علم تحسين النسل» Eugenics في الموسوعة الامريكية، المجلد العاشر.

كذلك نلاحظ أن علم الأنثروبولوجيا يتصل في جوانبه الاجتماعية بعلم السكان. فقد تخصص فريق كبير من علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية في دراسة الأحوال المعيشية والحضارية والخلقية لسكان الجماعات البدائية والمتخلفة. ووجه الكثيرون منهم اهتماما خاصا لدراسة السكان الأصليين في أستراليا والأمريكتين، وخاصة بعد توطن الأوروبيين في تلك القارات لاستثمار المواد الأولية ولحل أزمات البطالة والمشكلات السكانية في القارة الأوروبية. وقد كان اهتمام المفكرين والفلاسفة من قبل بهذه الجماعات مبعثه في بادئ الأمر حب الاستطلاع والتعرف على كل غريب غير مألوف، ولعقد المقارنة بين حالة السكان الذين يعتمدون اعتمادا مباشرا على الموارد الطبيعية وبين السكان الذين تقدمت بهم سبل المعرفة والحضارة الانسانية. أما الآن فقد أصبح الاهتمام بدراسة أحوال سكان المناطق التي هاجر إليها الأوروبيون أو استعمروها يقوم على أسباب أكثر اتصالا بالعلم منها بالطرافة الفكرية. وأصبحنا نجد من تخصص في دراسات ميدانية لسكان تلك المناطق. (١)

ثم هناك عدا هذه طائفة من الصلات الوشيعة بين علم السكان والدراسات الطبية والبحوث الصحية. إذ يعنى فريق من العلماء بدراسة السكان من النواحي الصحية. فيبحث في نسبة الأمراض المتوطنة، ونسب الوفيات والمواليد ومتوسط العمر والقوة والحيوية ويربط هذه الأمور وما إليها بالظروف والأحوال البيئية الطبيعية، وبنظام التغذية ومدى كفايتها للتعويض عن الجهود المبذولة أو صلاحيتها للنمو الصحى كما يفسرها في ضوء الحالة الثقافية الاقتصادية بالنسبة للمستويات الاجتماعية المتباينة، الى غير ذلك من العوامل التى لها صلة مباشرة بالحالة الصحية.

---

(١) وقد ضرب أحد الخشاب بعض الأمثلة لهذه الدراسات، فحين نريد أن نعرف أحوال السكان الأصليين لأستراليا مثلا نرجع الى ما كتبه كل من بولدوين سبنسر Spencer وجيلين Gillen وهويت Howitt. كما اننا اذا اردنا أن نعرف الكثير عن الاحوال المعيشية لبعض سكان القارة الافريقية فاننا نرجع الى كتابات روسكو Roscoe وسليجمان Seligman وايفانز بريتشارد E. Pritchard ونادل Nadel. وبالمثل لمعرفة أحوال السكان الأصليين لأمريكا من الهنود الحمر، لابد أن نستعين بكتابات بواس Boas وكروبر Kroeber وغيرهم.

انظر سكان المجتمع العربى، مرجع سابق، ص ٨٨.

فمن الناحية البيئية مثلاً قد يلاحظ الدارس أن بعض البيئات الجغرافية،  
لاتسمح أجوائها ودرجة حرارتها ورطوبتها بوجه عام بالنمو الصحي للسكان .  
فتزداد نسبة الأمراض المتوطنة وتكثر نسب الوفيات بين المواليد . وقد يكون للكثافة  
الجغرافية للسكان أثرها، ففي بعض البيئات الريفية حيث تتوزع التكتلات  
البشرية، لاتكون فرص العدوى الوبائية بمثل الحال في البيئات الصناعية التي  
يتركز فيها السكان وتتجمع على نحو يزيد من احتمالات انتقال العدوى بنسبة  
أكبر، اللهم الا اذا كانت طبيعة الأمراض منبثقة من طبيعة الأعمال ذاتها أو من آثار  
ما تحويه البيئة الطبيعية من مصادر الأوبئة كالبرك والمستنقعات والمياه الملوثة وغير  
ذلك .

كذلك تتصل دراسات السكان ببحوث التغذية في بعض الموضوعات اتصالاً  
وثيقاً، اذ نجد من علماء السكان من يتخذ من سوء التغذية أو جودتها ووفرته  
مقياساً للكثافة السكانية . فحيث تسوء التغذية يكون ذلك في الغالب عاملاً من  
عوامل الزيادة السكانية الى جانب ما يحتمل أن يكون من تنظيم اجتماعي تدرجي  
يرتكز على سوء التوزيع وعدم تحقيق العدالة الاجتماعية . الأمر الذي يترتب عليه  
أن يكون الاستهلاك الغذائي لبعض الطبقات والجماعات دون ما يحتاج اليه الفرد  
للاحتفاظ بمستوى صحي ملائم . وهذا هو السر في انتشار أمراض مثل البلاجرا  
الناجمة عن سوء التغذية . والعكس اذا ما كانت التغذية ملائمة، فان ذلك في  
الغالب يتخذ مظهرها من مظاهر اقتراب حجم السكان من حدة الأمثل الذي  
يسمح بتحقيق الرفاهية لسكانه . وما يقال عن التغذية يقال عن الرعاية الاجتماعية  
والخدمات الصحية والثقافية .

وهناك كذلك صلات وثيقة بين دراسات السكان وبحوث الهجرة والنمو  
الحضري، بل ان موضوع الهجرة يعد أحد أبواب الدراسة الرئيسية في علم  
السكان . ولكننا نقصد هنا آثار الهجرة على نمو المدن وتطورها ، وهو ميدان يربط  
بين ثلاثة علوم هي : السكان ، والهجرة، والاجتماع الحضري . فالهجرة بنوعيتها  
الاختياري والقسري (أو المهاجرة والتهجير) من الموضوعات التي يوليها علماء

السكان اهتماما كبيرا، وكذلك دراسة أثرها على مورفولوجية الجماعات الاجتماعية، وعلاقة تلك الظواهر بنشأة المدن التى استكملت سكانها عن طريق الهجرة من الريف الى مراكز ومناطق الصناعة التى كانت النواة الأولى للمدن الكبيرة والنتائج المترتبة على الهجرة بالنسبة للمهاجرين أنفسهم وبالنسبة للموطن المهاجر منه والمهاجر اليه.

ومن العلماء الذين وجهوا مزيد عنايتهم الى هذه الناحية شمولر وتروتش وبيرو. فقد أوضح الأول مثلا أن الدولة الرومانية قد زادت فيها حركة الهجرة من الريف الى المدن الكبيرة. وكان أغلب المهاجرين من صغار الفلاحين الذين نزحوا عن ديارهم على أثر استيلاء كبار الملاك الاقطاعيين على أملاكهم ومن الأرقاء الذين كانوا يقصدون الى المدن ليشغلوا فيها بالحرف لحساب أسيادهم. وأظهر الثانى حركة الهجرة من الريف فى فرنسا فى منتصف القرن التاسع عشر يمثل ثلاثة أرباع مجموع عدد السكان، وأصبح سنة ١٩٢١ حوالى نصف عدد السكان فقط.

وذكر بيرو أن سكان الريف هبط فى انجلترا فى خلال القرن التاسع عشر من حوالى ٦٠ ٪ الى ٢٨ ٪. وتدرج عدد مدنها الكبيرة التى يزيد عدد سكانها على مائة ألف نسمة من مدينة واحدة فى أول القرن التاسع عشر الى ثمانية مدن فى منتصف ذلك القرن ثم الى ٤٣ مدينة فى عام ١٩١٠. وهذا يوضح أثر الثورة الصناعية التى نشأت فى انجلترا على تكوينها المورفولوجى نتيجة الهجرات المتصلة من أهل الريف الى المراكز الصناعية فى المدن. وسار على هذا النهج كثير من العلماء فى مقدمتهم العلامة لويس ممفورد. (١)

وقد استعرض جيرالد بريز الخطوط العريضة لنمو سكان الحضر فى العالم منذ أوائل القرن التاسع عشر وحتى الآن. فأبرز أنه لم تنهيا حتى القرن التاسع عشر امكانيات نمو مدن من حجم كبير. والمقصود بعوامل ذلك النمو الزيادات فى فائض الانتاج الزراعى، وتحسن وسائل النقل، والاستقرار السياسى. ولكن ما

---

(١) أنظر لويس ممفورد، المدينة عبر التاريخ، مجلدان، ترجمة مجموعة من الأساتذة، صدر بالتعاون

بين مؤسسة فرانكين للطباعة والنشر بالقاهرة ووزارة التعليم العالى، القاهرة، ١٩٦٦.

أن بدأ التحضر حتى تقدم بخطى سريعة، كما يدلنا على ذلك الجدول رقم (١) الذى يوضح النسبة المئوية لزيادة مجموع سكان العالم وسكان الحضر فى الفترات الثلاث: من ١٨٠٠ - ١٨٥٠، ومن ١٨٥٠ - ١٩٠٠، ومن ١٩٠٠ - ١٩٥٠، فإذا بنا أمام نوع من النمو الحضري يفوق كل تصور. فبينما ارتفعت النسبة المئوية لزيادة مجموع سكان العالم من ٢٩٪ فى الفترة من ١٨٠٠ - ١٨٥٠ إلى ٤٩٪ فى الفترة من ١٩٠٠ - ١٩٥٠، نجد أن نسبة سكان العالم الذين يعيشون فى مدن تعدادها ٢٠,٠٠٠ فأكثر قد زادت بدرجات أعلى بكثير. فقد بلغت نسبة زيادة سكان هذه المدن التى تعدادها ٢٠,٠٠٠ نسمة فأكثر ١٣٢٪ فى الفترة من ١٨٠٠ - ١٨٥٠. فى حين بلغت الزيادة فى مجموع سكان العالم فى نفس الفترة ٢٩٪. ثم وصلت نسبة الزيادة فى سكان هذه المدن ١٩٣٪ فى الفترة من ١٨٥٠ - ١٩٠٠، على حين بلغت الزيادة فى مجموع السكان ٣٧٪. وبلغت نسبة الزيادة فى سكان تلك المدن ٢٣٩٪ فى الفترة من ١٩٠٠ - ١٩٥٠، وكانت نسبة الزيادة فى مجموع السكان ٤٩٪. كما حدث فى نفس الفترة زيادات أساسية فى سكان العالم الذين يعيشون فى مدن كبرى أى تلك التى يبلغ تعدادها ١٠٠,٠٠٠ نسمة فأكثر فبلغت ٧٦٪ فى الفترة من ١٨٠٠ - ١٨٥٠، ٢٢٢٪ فى الفترة من ١٨٥٠ - ١٩٠٠، ٢٥٤٪ فى الفترة من ١٩٠٠ - ١٩٥٠. (١)

وقد حدثت أكثر التغيرات المروعة فى البلاد النامية وهنا تقول دراسة الأمم المتحدة: «٠٠٠ ارتفع عدد سكان المدن التى تعدادها ١٠٠,٠٠٠ نسمة فأكثر فى آسيا فى الفترة من ١٩٠٠ - ١٩٥٠ من حوالى ١٩,٤ مليون تقريبا إلى ١٠٥,٦

---

(١) أنظر جيرالد بريز، مجتمع المدينة فى البلاد النامية. دراسة فى علم الاجتماع الحضري، ترجمة وتقديم وتعليق محمد الجوهري، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٢ ص ٥١ - ٥٢. أما فيما يتعلق بنمو المدن فى مصر إبان تلك الفترة فانظر بعض المعلومات المتفرقة فى «نشأة المدن ونموها فى الجمهورية العربية المتحدة» عند عبد المنعم شوقي، مجتمع المدينة (الاجتماع الحضري) الطبعة الخامسة، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة ١٩٦٧، ص ٥١ وما بعدها. وخاصة جدول رقم ٥ الذى يوضح نسبة سكان الحضر الى جملة السكان فى جمهورية مصر العربية. فقد كانت ١٩٪ عام ١٨٨٢ ووصلت الى ٣١٪ فى عام ١٩٥٠، و ٣٨٪ فى عام ١٩٦٠.

### جدول رقم (١)

النسبة المئوية لزيادة مجموع سكان العالم وسكان الحضر في العالم

في الفترات: ١٨٠٠ - ١٨٥٠، ١٩٠٠ - ١٩٥٠، ١٩٥٠ - ١٩٥٠ (\*)

| السنوات     | مجموع سكان العالم<br>الزيادة المئوية | سكان العالم الذين يعيشون<br>في تجمعات تعدادها ٢٠,٠٠٠ نسمة فأكثر.<br>الزيادة المئوية | سكان العالم الذين يعيشون في<br>تجمعات تعدادها ١٠٠,٠٠٠ نسمة فأكثر.<br>الزيادة المئوية |
|-------------|--------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------|
| ١٨٥٠ - ١٨٠٠ | ٢٩, ٢                                | ١٣٢, ٣                                                                              | ٧٦, ٣                                                                                |
| ١٩٠٠ - ١٨٥٠ | ٣٧, ٣                                | ١٩٣, ٥                                                                              | ٢٢٢, ٢                                                                               |
| ١٩٥٠ - ١٩٠٠ | ٤٩, ٣                                | ٢٣٩, ٦                                                                              | ٢٥٤, ١                                                                               |

(\*) المصدر: جيرالد بريز، مجتمع المدينة في البلاد النامية، ترجمة وتقديم محمد الجومري، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٢، ص ٥٤ نقلا عن مكتب الشؤون الاجتماعية التابع للمكونانية

العامة للأمم المتحدة، بالتعاون مع مكتب العمل الدولي، ومنظمة الأغذية والزراعة، ومنظمة اليونسكو، ومنظمة الصحة العالمية: وتقرير عن الموقف الاجتماعي العالمي، ومضمنا دراسات للنحضر في المناطق النائية، نيويورك، الأمم المتحدة، ١٩٥٧، ص ١١٤، جدول رقم (٢)

ملايين (زيادة نسبتها ٤٤٤٪) ، وفي أفريقيا - في نفس الفترة - من ١,٤ مليون نسمة الى ١٠,٢ ملايين (زيادة نسبتها ٦٢٩٪) <sup>(١)</sup> . وعلى حين لم يتضاعف مجموع سكان العالم في الفترة من ١٨٠٠ - ١٨٥٠ بمقارنته بالفترة من ١٩٠٠ - ١٩٥٠ ، نجد أن نسبة الزيادة في سكان العالم الذين يعيشون في مدن تعدادها ١٠٠,٠٠٠ نسمة فأكثر قد تضاعفت ثلاث مرات خلال نفس الفترتين ، فكان ذلك ايذانا ببداية الثورة الحضرية .

ومن الأمور ذات الدلالة الخاصة أن نلاحظ التغيرات العددية في سكان الحضر التي تمت في الفترة من ١٨٠٠ الى ١٩٥٠ ، وتلك التي وقعت حتى عام ١٩٦٠ . فبينما حدث - كما يوضح الجدول رقم (٢) - أن تضاعف سكان العالم أكثر من ثلاث مرات في الفترة من ١٨٠٠ - ١٩٦٠ نجد أن السكان الذين يعيشون في مدن تعدادها ٢٠,٠٠٠ نسمة فأكثر قد تضاعفوا أكثر من أربعين مرة . كما زاد سكان المدن التي يتراوح تعدادها بين ٢٠,٠٠٠ و ١٠٠,٠٠٠ حوالى ٣٥ مرة في نفس الفترة . وتضاعف سكان المدن التي تعدادها ١٠٠,٠٠٠ نسمة فأكثر حوالى أربعين مرة في نفس الفترة .

ومن الواضح أنه ليس هناك أى دليل على أن الزيادة في سكان العالم في المناطق الحضرية آخذة في التناقص . فالواقع أن أسلوب المعيشة الحضرى بالنسبة لمئات الملايين اليوم يختلف اختلافا شاسعا عن نمط المعيشة الريفى الذى كان سائداً منذ أجيال قليلة مضت . <sup>(٢)</sup>

ويعنى فريق آخر من علماء السكان بدراسة الجانب الاقتصادى مثل بحث العلاقة بين عدد السكان وموارد الثروة ومستوى المعيشة . ويدخل في نطاق ذلك

---

(١) سكرتارية الأمم المتحدة ، مكتب الشؤون الاجتماعية بالتعاون مع مكتب العمل الدول ومنظمة الأغذية والزراعة وهيئة اليونسكو ومنظمة الصحة العالمية : تقرير عن الموقف الاجتماعى العالمى . ويتضمن هذا التقرير دراسات للتحضر في المناطق النامية ، نيويورك ، الأمم المتحدة ، ١٩٥٧ ، ص ١١٣ . وانظر كذلك جيرالد بريز ، مجتمع المدينة في البلاد النامية ، ترجمة محمد الجوهري ، مرجع سابق ، ص ٤٨ ، ص ٥٣ ، والمراجع الواردة هناك .

(٢) أنظر بريز ، مجتمع المدينة في البلاد النامية ، مرجع سابق ، ص ص ٥٥ - ٥٧ .

المجاعات والأزمات الاقتصادية. ومن الرعيل الأول من هؤلاء العلماء العلامة العربي عبد الرحمن بن خلدون، وبعض العلماء الانجليز أمثال مالتوس Malthus وجيفونز Jevons وآدم سميث Adam Smith (١).

ولكن الصلة بين مباحث علم السكان وعلم الاقتصاد تبدو بشكل أوضح فيما تعنى به الدول المعاصرة لتحقيق الرفاهية الاقتصادية. فلقياس الرفاهية الاقتصادية لابد من الوقوف على الدخل الحقيقي للفرد. ويتوقف هذا على مقدار الانتاج القومى من ناحية الكفاية الانتاجية. وتقاس الكفاية الانتاجية على أساس متوسط انتاج كل فرد من أفراد السكان المشتغلين بالفعل. وكلما ارتفع مستوى الدخل الحقيقي للفرد - مع بقاء المعايير الأخرى على حالها - ارتفع مستوى الرفاهية الاقتصادية. وكلما تقلب الدخل القومى أو تعرض لتقلبات ، تضعضع الشعور بالأمن وزادت البطالة ، وانخفض بالتالى مستوى الرفاهية الاقتصادية.

بالنسبة لمشكلة السكان. فمن ناحية نرى من بين علماء الاقتصاد السابقين فريقاً متفائلاً يعتقد أن زيادة عدد السكان تؤدي الى تحقيق مزيد من التقدم الاقتصادى. والملاحظ على العموم أن الاعتقاد بوجود عملية ضبط آلى يعنى أن طلب الرجال يؤدي الى حرمان الأسرة الفقيرة التى لاتفكر فى عواقب الأمور. ولذلك قرر آدم سميث أن الكادحين من الفقراء المجتهدين هم أصحاب الأسر الكبيرة الذين يسدون حاجة سوق العمل للأيدى العاملة. وأن الأفراد الذين لايعرفون النظام قلما يعملون أسرا كثيرة العدد، وأن أبناءهم يهلكون نتيجة الاهمال وعدم الرعاية وسوء التغذية وعدم كفايتها.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فان نظرية مالتوس تؤدي بنا الى تشاؤم محقق برغم ما طرأ عليها من تعديلات عديدة وتصويبات أو اعادة صياغة على يد عدد

---

(١) أنظر دراسة كاملة حول هذا الموضوع فى الكتاب التالى: سدنى كوتنز، النظريات السكانية وتفسيرها الاقتصادى، ترجمة أحمد ابراهيم عيسى، مراجعة الدكتور عبد المنعم الشافعى والدكتور عبد الخالق ذكرى دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة، بدون تاريخ، خاصة الفصل الرابع: «التحليل الاقتصادى: النظريات التقليدية والنظريات الحديثة» ص ص ١٠٩ - ١٢٠.



جدول رقم (٢)

مجموع سكان العالم وسكان الحضر في العالم

في الفترة من ١٨٠٠ - ١٩٦٠ (★)

| السنة | مجموع سكان العالم |                   | سكان العالم الذين يعيشون في أماكن تعدادها ٢٠,٠٠٠ نسمة فأكثر |                   | سكان العالم الذين يعيشون في أماكن تعدادها بين ٢٠,٠٠٠ و ١٠٠,٠٠٠ نسمة |                   | سكان العالم الذين يعيشون في أماكن تعدادها ١٠٠,٠٠٠ نسمة فأكثر |                   |
|-------|-------------------|-------------------|-------------------------------------------------------------|-------------------|---------------------------------------------------------------------|-------------------|--------------------------------------------------------------|-------------------|
|       | بالمليون          | % إلى سكان العالم | بالمليون                                                    | % إلى سكان العالم | بالمليون                                                            | % إلى سكان العالم | بالمليون                                                     | % إلى سكان العالم |
| ١٨٠٠  | ٩٠٦               | ٢١,٧              | ٦,١                                                         | ٢,٤               | ١٥,٦                                                                | ١,٧               | ١٥,٦                                                         | ١,٧               |
| ١٨٥٠  | ١,١٧١             | ٥٠,٤              | ٢٢,٩                                                        | ٤,٣               | ٢٧,٥                                                                | ٢,٠               | ٢٧,٥                                                         | ١,٣               |
| ١٩٠٠  | ١,٦٠٨             | ١٤٧,٩             | ٥٩,٣                                                        | ٩,٢               | ٨٨,٦                                                                | ٣,٧               | ٨٨,٦                                                         | ٥,٥               |
| ١٩٥٠  | ٢,٤٠٠             | ٥٠٢,٢             | ١٨٨,٥                                                       | ٢٠,٩              | ٣١٣,٧                                                               | ٧,٨               | ٣١٣,٧                                                        | ١٣,١              |
| ١٩٦٠  | ٢,٩٦٢             | ٨٠٣,٢             | ٢١٣,١                                                       | ٢٧,١              | ٥٩٠,٠                                                               | ٧,٢               | ٥٩٠,٠                                                        | ١٩,٩              |

(★) المصدر: جيرالد بريز، المرجع السابق، ص ٥٥، نقلًا عن: كينجزي دافيز وهيلدا هيرتز: «أنماط التحضر في العالم في الفترة من ١٨٠٠ - ١٩٥٠»، كما جاءت في تقرير الأمم المتحدة  
 المعنون والموقف الاجتماعي العالمي، الأمم المتحدة، نيويورك، ١٩٥٧، ص ١١٤، جدول رقم (١). أما بيانات ١٩٦٠ فتعتمد على هومر هويت والتحضر في العالم: النمو السكاني في عالم  
 متقلص، ص ٣١، جدول رقم (٣).

من أتباعها الكلاسيكيين أو المحدثين . وهى فى تشاؤمها تشبه نظرية الاقتصادى الانجليزى ريكاردو Ricardo عن تناقص الغلة وتناقص نسبة الربح . وهنا يجب أن نؤكد - كما يشير كونتر - التناقض بين امكان زيادة اعداد السكان الى درجة كبيرة وبين امكان الزيادة المحدودة فى موارد المعيشة . وتساورنا الشكوك فيما اذا كان السكان يستطيعون أن يعيشوا حياة كريمة على الرغم من شح الطبيعة اذا لم تتحكم فى السكان الموانع الايجابية من بؤس ورذيلة .

وأخيرا فان هناك اعتقادا عاما فى المدرسة التقليدية بأن الطلب على الأيدى العاملة يحدد العرض ، أى أن زيادة الطلب ستؤدى الى زيادة العروض من الأيدى العاملة (أى زيادة السكان) والعكس بالعكس .

ومع ذلك فان الطلب على الأيدى العاملة يمكن أن نعهه مرادفا لحد الكفاف ، فكلاهما عامل محدد لعدد السكان .

اما عن آراء المدرسة التقليدية الحديثة فى الاقتصاد فيشير كونتر فى مؤلفه سابق الذكر الى أن المدرسة التقليدية الحديثة قبل كينز Keynes كانت تعمل فى إطار نظرى سلم به «ساي» Say ، الذى افترض فى قانون الأسواق ميلا طبيعيا الى استخدام عوامل الانتاج استخداما كاملا .

ويقرر أن جمع رأس المال مفيد للعمل ، متفقا فى ذلك مع آدم سميث ، حيث ان ما يدخر سنويا يستهلك سنويا . بمعنى أن مانوفره من مال نعيد استثماره . وهذا يؤدى الى زيادة الطلب على الأيدى العاملة . ولو أن ريكاردو شرح هذه النظرية حينما اعترف فى الطبعة الثالثة لنظرياته بأن استخدام الآلة قد يؤدى الى قلة دخل المجتمع ككل ، كما يزيد فى نفس الوقت صافى دخل الرأسماليين . بمعنى أن دخل الطبقة الرأسمالية يزيد بغير قيد ، بينما ينقص اجمالى الدخل القومى . فى حين أن رأى علماء الاقتصاد قد اتفق فيما بعد على أن زيادة ثروة الرأسماليين كانت فى صالح العمل . وعلى ذلك فان معدل الأجور فى النظرية التقليدية المحدثه يعد دالة لعرض الأيدى العاملة (أى السكان) ولطلب على الأيدى العاملة ورأس المال .

وعلى ذلك يركز ذلك الموقف على نظرية مالتوس التى تفترض أن تحديد حجم

السكان يؤدي الى احتمال تحسين مستوى معيشة العمال . بمعنى أنه مادامت الأجور يحددها القاسم (أى السكان) والمقسوم (أى رأس المال)، فانه ينتج عن ذلك أنه كلما قل القاسم بالنسبة للمقسوم ارتفع مستوى العامل . وأكثر من ذلك فان التسليم بصحة قانون تناقص الغلة والاعتقاد بالاتجاه العام، نحو التكاثر غير المحدود قد أيد ذبوع الوسائل التى اقترحها الاقتصاديون الجدد، وأن الاقتناع بندرة الموارد الطبيعية لم يؤثر فيه زيادة دخل الفرد فى فترات قصيرة مؤقتة . وعلى العكس من ذلك فانه على الرغم من نجاح التجربة التى مرت بها بلاد غرب أوروبا المتحضرة فى القرن التاسع عشر، ومع الاعتراف بهذا النجاح وتقديره، فقد كان هناك اعتقاد بأن نجاح التجربة، يرجع الى توفر ظروف خاصة مواتية لها . من هذه الظروف على سبيل المثال: التقدم العلمى، وزيادة مجال التجارة الدولية، وتقدم تكنولوجيا الانتاج، وتقدم الفنون الاقتصادية الأخرى إلى غير ذلك . ولكن من الوهم فى رأى كافة الاقتصاديين التقليديين أن تتنبأ بحدوث أحوال مماثلة تجمع كافة المميزات التى توفرت لأوروبا الغربية على امتداد القرن التاسع عشر .

ومن المواقف الهامة فى هذا الصدد موقف الاقتصادى الكبير مارشال، الذى يعرض كونتز لأرائه لأنه كان مؤثراً واضحاً على النظريات الاقتصادية التقليدية المحدثه . وقد كتب مارشال تعليقا على نظرية مالتوس يقول: ان موقف مالتوس بالنسبة لعرض السكان يبقى من الناحية المعيشية صحيحاً . ولم يكن خطأ مالتوس أنه لم يستطع أن يتنبأ بالتطور العظيم الذى حدث فى وسائل نقل التجارة برا وبحرا . . . ذلك التطور الذى مكن الانجليز فى الجيل الحاضر من الحصول على منتجات أخصب بقاع العالم بأقل النفقات نسبياً . والحقيقة أنه لولا تحديد النسل فى أواخر القرن التاسع عشر على نطاق واسع بصفة عامة لكان من المستحيل انتشار وسائل الترف فى غرب أوروبا وانتقالها الى جميع أنحاء العالم، والمحافظة على مستوى معيشتهم لبضع مئات من السنين (١) .

---

(1) A. Marchall, Principles of Economics, eighth edition. London, 1920. PP. 179 - 180.

نقلا عن سيدنى كونتز، المرجع السابق، ص ص ١٢٠ - ١٢١ .

ولقد علق مارشال على ماتقدم بأنه بفضل المحافظة على المعدل الحالى (آنذاك) فى الزيادة السكانية وبفضل التقدم فى طرق الزراعة يمكن تلافى حدوث ضغط على موارد المعيشة لمدة مائتى عام فقط .

ويؤكد مارشال مرة أخرى أنه من الممكن تفادى قانون تناقص الغلة بصفة مؤقتة فى كل مكان من العالم . وإن موقف انجلترا بصفة خاصة يمكن أن يتعرض للنقد والتجريح حيث إن اعتمادها على منتجات الخارج من المواد الخام يمكن أن يجد من يقف فى طريقه إذا ما طرأ أى تغيير على العلاقات التجارية الخارجية بينها وبين البلاد الأخرى . كما أن استيرادها للمواد الخام من الخارج يمكن أن يتوقف تماماً إذا نشبت حرب عالمية . وإن نظرية علماء الاقتصاد الكلاسيكيين التى تقول إن الطلب على الأيدى العاملة ينظم العرض لم ينقضها مارشال . بل على العكس من ذلك فإنه على الرغم من الانخفاض فى معدلات الخصوبة فى غرب أوروبا فإن التفسير يبقى سليماً .

وعلى ذلك فليبان الحد الذى يكفى العرض والطلب لنا أن نتساءل عن مقدار ضرورات الحياة ومدى استهلاك الناس الحالى ومدى الكفاءة الانتاجية للشباب والشيوخ ، كمية الفائض من وسائل الانتاج . ففى معظم أنحاء العالم نجد أن طبقات العمال تستطيع الحصول على نصيب ضئيل من الكماليات ، كما يصعب عليها الحصول على الكثير مما يعد من الضروريات . ولاشك أن أى زيادة فى أعدادهم نتيجة لكثرة انجاب الأطفال تؤدى بالضرورة الى انخفاض سريع فى مستوى معيشتهم الى ما كان عليه قبل زيادة أجورهم . ولقد حدث أن حددت الأجور فى معظم أنحاء العالم بالنسبة للقطاعات العمالية بعد انتشار فكرة القانون المسمى «بالقانون الحديدى» الذى نتج عنه جيل ضعيف غير كفء من العمال .

أما بالنسبة للعالم الغربى المتحضر فالوضع يختلف اختلافاً كبيراً نظراً للتقدم الحديث الكبير فى المعرفة والحرية وتملك مصادر القوة والثراء . وكذلك أصبح من الميسور الوصول الى الحقول النائية بسهولة لانتاج المواد الغذائية و انتاج المواد الخام . ولكن مازالت الحقيقة حتى فى انجلترا اليوم (هذا الكلام لمارشال ، المرجع

السابق، ص ص ٥٣٠ - ٥٣٢) أن معظم استهلاك السكان قد أدى الى المحافظة على حياتهم وقوتهم. ومع أنهم لم يراعوا القواعد الاقتصادية في حياتهم، الا أنهم لم يذهبوا مع ذلك الى حد الاسراف. ومن الحق ان يقال: ان أجر الرجل بحالته الراهنة في غرب أوروبا وما يقتضيه ذلك الرجل عن طريق تنمية مهارته الفنية لايزيد كثيرا عن الحد اللازم لتغطية نفقات تربية الأبناء، وتدريب العمال المهرة والمحافظة على نشاطهم في أعلى مراتبه. ونستنتج من ذلك أن زيادة الأجور ان لم تصاحبها ظروف معيشية سيئة، فانها تزيد دائما في القوة البدنية والقوى العقلية والصفات الأدبية للجيل الصاعد أو الجيل القادم. وعلى ذلك فان تثبيت جميع الظروف الأخرى، وزيادة المكاسب عن طريق العمل سيزيد في معدل النمو، أو بعبارة أخرى: ان زيادة الطلب على الأيدي العاملة وارتفاع أجورهم يؤدي الى زيادة العرض (١).

ان تمييز ماريشال بين المهارة وعدم المهارة في العمل مع الاعتراف بأن الأجور في كلا الحالين تسد تكاليف تربية الأولاد يعتبر بلاشك ذا دلالة بالنسبة لنظرية السكان. اذ يعنى ذلك أن ما يكتسبه العمال في العالم الغربى عن طريق تنمية المهارة في أداء العمل لايزيد عن الحد الأدنى اللازم لتربية الأبناء وتدريب العمال المهرة، أى أنه يحدد مستوى معيشة العامل في نهاية الأمر. وفضلا عن ذلك فان مستوى معيشة العامل الماهر ومستوى معيشة العامل غير الماهر مرتبطان بحاجات المجتمع الاقتصادية مباشرة. وعلى ذلك فاذا احتاج المجتمع الصناعى الحديث الى عمال متعلمين، فمن الواضح أن ذلك سيؤدى الى رفع مستوى معيشة العامل عن مستوى معيشته السابق الذى يسمح له بالحصول على الحد الأدنى للأجر الذى يمكنه من تربية طفل وتنشئته في مراحل التعليم المختلفة.

وتشتمل هذه المناقشة على تفسير ضمنى للمعدلات التفصيلية للخصوبة، وان لم يتناولها ماريشال في كتابته صراحة. فالعامل الماهر يحتاج الى مستوى معيشة عال

---

(١) ماريشال، مبادئ علم الاقتصاد، مرجع سابق، ص ص ٣٥٠ - ٥٣٢، نقلا عن سيدنى

كونتز، المرجع لسابق، ص ص ١٢١ - ١٣٢.

لضمان استمرار عرض القوة العاملة، كما يحتاج الى استمرار هذا المستوى المعيشي المرتفع في الأجيال القادمة. أما فيما يتعلق بالتكاليف فيمكننا القول بأن نفقات تدريب العامل الماهر تبلغ ضعف نفقات تدريب العامل غير الماهر. فالتوفيق بين تكاليف تربية أبناء العامل الماهر وأبناء العامل غير الماهر مع اختلاف الأجر سوف يجعل زيادة دخل العامل الماهر كافية لسد زيادة نفقات تربية أبنائه إذا تساوى عدد أفراد أسرته مع عدد أفراد أسرة العامل غير الماهر. وإذا لم يتيسر للعامل الماهر الحصول على زيادة في أجره تعوض نفقات تربية أبنائه اضطر الى تحديد نسله.

ونجد من الناحية الشكلية أن هذا النقص في التعويض المناسب، أو قلة الطلب على العامل الماهر يبدد خطراً يهدد مستوى معيشة العمال المهرة وأسلوبهم في الحياة والمحافظة على مستوى المعيشة اللائق بهم، فانهم يضطرون الى تحديد النسل. وهم طبعاً يحتاجون للطوارئ، ولا يهتمون بحالة العرض الخاصة بالعمل في الأجيال القادمة.

ومن الناحية الموضوعية فإن استجابة العمال المهرة لذلك تعنى مد سوق العمل بالعدد اللازم في الأجيال المقبلة، وزيادة الطلب على العمال المهرة يحدد بالضرورة مستوى المعيشة المرتفع لهذه الطبقة من العمال لكي تحافظ على مركزها الاجتماعي وتعوض نفسها.

ولكى يعمل العمال على تحقيق هدفهم قاموا بتحديد الحد الأدنى لمستوى معيشتهم. ويبدو لهم هذا المستوى من وجهة نظرهم أقل مستوى معيشة يستطيعون أن يعيشوا فيه. ولما أدركوا أنهم مهددون بعدم امكان المحافظة على هذا المستوى فقد لجأوا إلى تحديد النسل والحد من عرض أنفسهم للعمل. ويستتبع ذلك أنه اذا كان هناك نقص في طلب الأيدي العاملة في البلاد الصناعية التي بدأت نهضتها الصناعية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، فانا نجد في هذه الحالة التفسير الاقتصادي لنمط الخصوبة المتغير الذي يتميز به العامل الماهر في غرب أوروبا وأمريكا عن العامل غير الماهر في البلاد غير الصناعية. وان توكيد أهمية

طلب القوة العاملة على المعروض منها في سوق العمل بالاضافة الى ماقدره مارشال من أن كل نوع من العمل يحتاج الى القدر الضروري من مقومات انتاجه، وهذا يلقي ضوءا على ما يبدو أنه مشكلة ديموقراطية. اذ أن الأبحاث ذات الصبغة الديموقراطية تدل بصفة عامة على أنه كلما ارتفع مستوى المعيشة أو الدخل انخفضت الخصوبة. ولكنه تبين أيضا أنه بتثبيت المهنة فان الخصوبة تتناسب أحيانا تناسبا طرديا مع الدخل. واذا فسر ذلك في صورة الطلب على القوة العاملة فان التفسير يأخذ الصيغة الآتية:

«ان توفير مستوى معين من المهارة في العمل يتطلب مستوى معيناً من المعيشة. فأشد الأعضاء فقرا في مجموعة معينة يستطيع الانفاق على طفل أو طفلين من نوعية ومستوى معين. وزيادة عدد أفراد الأسرة يهدد مستوى معيشتهم. ويترتب على ذلك - من الناحية الاقتصادية - العجز عن اعداد الأطفال للعمل بالمستوى المطلوب من المهارة. ومن الواضح أن الأعضاء الميسورين في مهنة من المهن يمكنهم الانفاق على أبناء أكثر عددا دون التعرض لانخفاض مستوى معيشتهم أو الحاق الضرر بانتاج نفس المستوى من المهارة في العمل».

ويظهر من ذلك أن الدخل يعتبر تفسيراً تقريبياً غير دقيق للاختلاف في معدل الخصوبة، كما يعتبر مؤشراً للدلالة على العلاقة العكسية بينه وبين مستويات الخصوبة في المهن المختلفة. اذ انه للحصول على نوعيه معينة من العمال يستدعى الأمر التضحية بالأعداد في كمية الانتاج ولكن حيث يحدد مستوى المعيشة الضروري لانتاج مستوى معين من المهارة في العمل، فان العلاقة العكسية بين الدخل وبين الخصوبة للعمال في نفس المهنة يحل محلها علاقة مباشرة بين الدخل والخصوبة.

ذلك نموذج سريع يبين خصوبة العلاقة وتعقدها بين علمي السكان والاقتصاد، وأوضحناه من خلال مناقشة لموقف النظريات الاقتصادية التقليدية المحدثه من قضية توفير الأعداد المطلوبة من القوة العاملة (السكان)، وتصور

## العلاقة بين الخصوبة والعوامل الاقتصادية (١) .

كذلك الحال بالنسبة للعلاقة بين علمى السكان والسياسة . من هذا اهتمام طائفة من العلماء بتتبع أثر الظواهر الديموجرافية فى العلاقات الدولية . فنحن نعرف من استقراؤنا لوقائع التاريخ البعيد والقريب أن الزيادة السكانية الكبيرة كثيرا ما كانت سببا فى قيام الحروب الطاحنة بين الدول التى تضخمت شعوبها وقصرت مواردها فى الوقت نفسه عن الوفاء باحتياجاتهم على النحو المنشود من ناحية وتلك الدول التى تتميز بانخفاض عدد سكانها وتعاضم مواردها الأولية . فالكثرة العددية النسبية للأغريق والرومان كانت إحدى العوامل التى ساعدتهم على الغزو وتكوين الإمبراطورية اليونانية والرومانية . ويرجع البعض سهولة انتشار الدعوة الإسلامية إلى حركات الهجرة العربية وتوطن الجاليات العربية فى الأقطار التى قدر للمسلمين أن يفتحوها فيما بعد<sup>(٢)</sup> . إذ ساعدت القبائل العربية التى استوطنت مصر وسوريا وفلسطين الفاتحين المسلمين لأنهم من أبناء عموماتهم . وقد أرجع العلامة الفرنسى الفريد سوفى Alfred Sauvy قيام الحرب العالمية الثانية إلى العامل الديموجرافى . فإن معاهدات الصلح التى أبرمت بعد الحرب العالمية الأولى قد أهملت قضايا السكان ، ولم تعالج مشكلة المهجرات ، خاصة بعد إيقاف هجرة الأوربيين إلى الولايات المتحدة ، وتوقفها عن دول أمريكا اللاتينية . ويفسر العلامة كوكس Cox قيام اليابان بغزو الصين عام ١٩٢٥ وغزو إيطاليا للحبشة وليبيا إلى الضغط السكانى فى كل من اليابان وإيطاليا مع وجود أيديولوجية تبرر حل المشكلة السكانية بالحرب والغزو<sup>(٣)</sup> .

---

(١) أنظر سيدنى كوتنز، النظريات السكانية وتفسيرها الاقتصادى، مرجع سابق، ص ١٠٩ - ١٢٤ .

ويمكن للقارىء أن يتتبع بقية جوانب الموضوع فى فصول الكتاب الأخرى .

(٢) أنظر، عزة النص، أحوال السكان فى العالم العربى، معهد الدراسات العربية العالية، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٥٩ .

(٣) أنظر كتاب كوكس، مشكلة السكان، نقلًا عن أحمد الخشاب المرجع السابق ص ٩٢



هذا ولا يمكننا ونحن بصدد ذكر النتائج الاجتماعية المترتبة على التضخم السكاني على الصعيد الدولي أن نغفل ذكر ما طرأ من تغيير في وسائل الحرب واساليب القتال منذ سنة ١٩٣٥. فان تطور صناعة الطائرات وتقدمها الملحوظ منذ ذلك التاريخ واستخدامها كحاملات للقنابل، ثم اكتشاف القنبلة الذرية والهيدروجينية وأخيرا اختراع الصواريخ عابرة القارات، لاشك أن هذا التطور الذى شهده عالمنا في نصف القرن الأخير كان له أثره في خلق نظرة جديدة الى مسائل توزيع السكان، وعلى الأخص في أوروبا وأمريكا. فلقد أصبح من المرغوب فيه أن يتوزع السكان والصناعات الاستراتيجية في جهات متباعدة وعلى مساحة كبيرة ومتسعة من أراضي الدولة. وهو موضوع مازال محل جدل ونقاش في دوائر علمية وشعبية في العالم الغربى.

\*\*\*



## الفصل الثانى

### المفاهيم الرئيسية فى علم السكان

سنحاول فيما يلى أن نلقى قدرا من الضوء على المفاهيم الرئيسية فى علم السكان التى تدل على المتغيرات والعمليات السكانية الأساسية التى يحتاج كل دارس لهذا العلم أو مشتغل به الى الالمام بها والتمكن منها بشكل واضح . ونود أن نؤكد فى البداية أن فصلا كهذا لا يمكن أن يحيط بكل المفاهيم المتداولة فى الدراسات السكانية، فتلك مهمة أكبر من الأهداف التى وضعت لهذا المدخل الذى بين يدى القارئ. ومن الطبيعى أن يترتب على عملية الانتقاء، وعلى تحديد ما يعد رئيسيا، وما يعد ثانويا، عدد من الأخطاء أو مجالات اختلاف وجهات النظر. وهو أمر لا يسعنا الا أن نعتذر عما قد يكون فيه من خطأ، ونلتمس من أصحاب الفكر الآخر قدرا من الفهم فى حالة اختلاف وجهات النظر. ولكن الثابت على أى حال أن قائمة المفاهيم الواردة فى هذا الفصل سوف تساعد الدارس بكل تأكيد على أن يتلمس طريقه فى أمان الى غمار الدراسات السكانية، وأنها ستكون له عدة نافعة مهما كان فيها من قصور أو انطوت عليه من اختلاف وجهات النظر.

علم السكان هو الدراسة العلمية للمجتمعات البشرية من حيث حجمها وتركيبها وتطورها. وبالتعبير الاحصائى، فان أى مجموعة من العناصر المتميزة يمكن أن نطلق عليها اسم مجتمع. سكان منطقة معينة تشمل مجموع الأفراد الأحياء فى فترة معينة من الزمن القاطنين بهذه المنطقة.

ولذلك يؤكد لين سميث أن عدد السكان هو أهم حقيقة ديموجرافية عن أى اقليم، كبيرا كان أو صغيرا. ومن ثم فأول مهمة تواجه دارس علم السكان هى أن يحدد بقدر ما يستطيع من دقة عدد السكان فى المساحات المختلفة التى يدرسه، وان يجعل أرقامه حديثة بقدر الامكان وذلك بالنسبة لما يدرسه (قارات كانت، أو دولا أو أقاليم، أو دوائر انتخابية، أو محافظة، أو مراكز أو قرى، أو

مدنا، أو مناطق حضرية، أو أقساما أو شياخات، أو أقاليم تعداد . . الخ) .  
والوسيلة الأساسية لذلك هي بلا شك اجراء التعداد الدورى . الا انه من المهم  
أن تجرى تقديرات فى الفترات التى تلى التعدادات، فاذا بوبت الاحصاءات تبويبا  
سليما، وأعطيت أرقاما مستقلة من الأقسام الصغرى التى تنقسم اليها مساحات  
معينة، فقد وضع الأساس لدراسة مثمرة وتحليل مفيد للتوزيع الجغرافى للسكان<sup>(١)</sup>.

### التوزيع الجغرافى :

ولما كان التوزيع الجغرافى أو التوزيع المكانى يتناول كيفية توزيع السكان فى  
المساحة أو القطر الذى يعيشون فيه، فمن الضرورى أن نشير الى التقسيمات  
المختلفة للقطر أو المنطقة تبعا للنظم المختلفة . والعادة أن يقسم الاقليم الذى  
يعيش فيه السكان الى مناطق فرعية . وقد نقسمه لأغراض ادارية الى مناطق ادارية  
أو وحدات ادارية أو أقسام ادارية . وأحيانا تعرف بالأقسام القضائية أو الأقسام  
السياسية . ومن ناحية أخرى قد يقسم الجغرافيون المنطقة الى أقاليم أو مناطق قد  
تناظر وقد لا تناظر الوحدات الادارية .

ومصطلح «إقليم» أو «منطقة» له استعمالات مختلفة . ومن بين هذه  
الإستعمالات الاقليم القطبى، والاقليم الجنوبى . كما أن الجغرافيين يستعملون  
مصطلح الاقليم الطبيعى والاقليم الاقتصادى . أما مصطلح «منطقة طبيعية»  
فيستعمل فى علم الأيكولوجيا (علم البيئة البشرية) للتعبير عن منطقة يشغلها  
سكان لهم خواص مميزة .

وتختلف الوحدات الادارية من قطر لآخر . فمصر مقسمة الى عدة محافظات .  
والمحافظات هى أكبر وحدة ادارية ولها ثلاثة أنواع . أولها محافظة الحضر وهى مدينة  
مكونة من عدة أقسام (أحياء) . وكل قسم (حى) مكون من عدة شياخات .  
والشياخة هى أصغر وحدة ادارية فى محافظة الحضر .

والنوع الثانى هو محافظة الريف . وتتكون من عاصمة المحافظة وعدة مراكز

---

(١) ت . لين سميث، اساسيات علم السكان، ترجمة الدكتور محمد السيد غلاب وفؤاد اسكندر،

مرجع سابق، ص ص ١٥ - ١٦ .

(مدن) . وعاصمة المحافظة هي غالبا أكبر مدينة في المحافظة . وقد تكون مقسمة الى أقسام وشياخات . أما المركز (المدينة) فيتكون من مدينة صغيرة ثم عدد من القرى . والقرية هي أصغر وحدة ادارية في محافظة الريف . وقد يتبعها عدد من التجمعات تسمى التوابع وأحيانا تسمى النجوع .

والنوع الثالث هو محافظة الحدود أو محافظة الصحراء . وتتكون من عدة أقسام . وكل قسم به مدينة وعدة نواح . وكل ناحية قد تتبعها بعض التجمعات . وسوريا مقسمة الى محافظات . ويوجد نوعان لهذه المحافظات . الأول ويمكن اعتباره محافظة حضر ، وتتكون من مدينة كبيرة . والثاني ويمكن اعتباره محافظة ريف ، وتتكون من عدة أقضية . وبكل قضاء مركز قضاء وعدة نواح . والناحية بها مركز الناحية وعدة مخافر . وكل مخفر به مركز المخفر وعدة قرى . وقد يتبع القرية عدد من المزارع .

وفي العراق تنقسم الجمهورية اداريا الى عدة ألوية . ويتكون اللواء من عدد من الأقسية . وكل قضاء يتكون من عدة نواح ، وكل ناحية يتبعها عدد من القرى . والقرية هي أصغر وحدة ادارية في الجمهورية العراقية .

أما ليبيا فتتكون من محافظات . وكل محافظة بها عدة متصرفيات . والمتصرفية تتكون من عدة مديريات . والمديرية هي أصغر التقسيمات الادارية . والمغرب مقسم الى عدة أجزاء يسمى كل منها عمالة ويرأسها عامل . والعمالة تتكون من عدة مراكز . والمركز يتكون من مدينة حضرية وعدة قرى ريفية . والمدينة مقسمة الى عدة مناطق . أما القرية فهي مقسمة الى عدة شياخات .

وتقسم المملكة العربية السعودية الى المناطق الادارية التالية : (★)

(أ) المنطقة الوسطى ، وتوجد بها الامارات الآتية :

١ - امارة منطقة الرياض : ويتبعها وادي الدواسر - حوطة بني تميم - شقراء - المجمعة - الأفلاج - الخرج - الدلم - سدير .

٢ - امارة منطقة القصيم ، ومقرها مدينة بريدة ويتبعها : عنيزة - الرس -

(★) نقلا عن الموسوعة الحديثة المملكة العربية السعودية ، نشر الدار العربية للموضوعات (حسن

الفكهاني)، القاهرة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م المجلد الأول، ص ص ١٨٣ وما بعدها، خاصة ص ص ١٨٣ - ١٨٥ .

البكيرية - المذنب - وعدد آخر من القرى .

٣ - اماره منطقه حائل ، ويتبعها : الروضة - الغزالة - خير - تيماء - موقق ، وعدد آخر من القرى .

وتعتبر هذه أكبر الامارات فى المنطقة الوسطى . وترتبط هذه الامارات بوزارة الداخلية هذا بالاضافة الى بعض الامارات الصغيرة التى ترتبط هى الأخرى بالامارات الرئيسية فى المنطقة .

(ب) المنطقة الغربية ، ويوجد بها الامارات التالية :

١ - اماره منطقه مكة المكرمة ، ويتبعها : جدة - الطائف - رابغ - الباحة .

٢ - اماره منطقه المدينة المنورة ويتبعها : العلا ، المهد - بدر - الحناكية .

(ج) المنطقة الجنوبية ، ويوجد بها الامارات التالية :

١ - اماره منطقه عسير ومقرها أبها ويتبعها : خميس مشيط - وسراة عبيد ، وعدد آخر من القرى .

٢ - اماره حيزان ويتبعها :

صبيا - أبو عريش - فرسان .

٣ - اماره نجران ويتبعها : عدد من القرى وتقدر بـ ٣٥ قرية والقسم الغربى من الربع الخالى .

(د) المنطقة الشمالية ، ويوجد بها الامارات التالية :

١ - اماره القرىات ويتبعها : حقل - والكاف .

٢ - اماره تبوك ويتبعها : الوجه - وضبا .

٣ - اماره الجوف ويتبعها : دومة الجندل - قاره .

٤ - اماره (بدنة) عرعر ويتبعها : رفحة .

(هـ) المنطقة الشرقية ، ومقر الامارة فى الهفوف ثم انتقلت الى الدمام ، ويتبع الامارة المدن التالية :

الهفوف - المبرز - الخبر - القطف - الجبيل - رحيمة - والمنطقة المحايدة .

وفى عام ١٣٥٩هـ (١٩٣٩م) صدر لأول مرة نظام الأمراء يبين واجبات ومسئوليات الأمراء وهم الحكام الاداريون . وينص النظام على أن «يعين فى كل

بلد حاكم ادارى يسمى أميراً لذلك البلد». ويعاون الأمير فى كل منطقة مجلس إدارة تحت رئاسته مؤلف من عدد من الأعضاء يجرى انتخابهم كل عامين .  
وإذا كان مجلس الوزراء قد أدرك منذ البداية الحاجة الى نظام للمقاطعات ، فقد ظل الأمر زمناً طويلاً مجرد أمنية حتى تم تحقيقها بصدر قرار مجلس الوزراء فى جمادى الأولى عام ١٣٨٣هـ الموافق أكتوبر عام ١٩٦٣م متضمناً نظام المقاطعات .  
وقد تم التصديق على هذا القرار بموجب المرسوم الملكى رقم ١٢ الصادر فى ١٣٨٣/٥/٢١هـ .

ويقع هذا النظام فى أربعة أبواب ، يتضمن الباب الأول منها التقسيمات الادارية ، والثانى الحكام الاداريين ، والثالث مجالس المقاطعات ، والرابع أحكام عامة لمجالس المقاطعات .

ويقسم النظام المملكة ادارياً الى عدد من الأقسام الرئيسية «مقاطعات» والفرعية «مناطق» والثانوية «مراكز» . ويقوم هذا التقسيم على اعتبارات العامل الجغرافى ، وعدد السكان ، وظروف البيئة ، ووسائل المواصلات ، والأمن . ويصدر بتحديد وتعيين المقاطعات والمناطق والمراكز قرار من مجلس الوزراء بناء على اقتراح وزير الداخلية .

ويرأس المقاطعة حاكم ادارى مرتبط بوزير الداخلية ادارياً ويمثل الحكومة المركزية فى المقاطعة ، ويعاون الحاكم الادارى فى المقاطعة وكيل يقوم مقام الحاكم عند غيابه .

ويرأس المنطقة محافظ مرتبط بحاكم المقاطعة الادارى . وينوب عنه فى إدارة المنطقة .

ويرأس المركز رئيس مرتبط بالمحافظ وينوب عنه فى إدارة المركز .

#### خصائص السكان :

أما القسم الثانى الأساسى من أقسام الديموجرافيا فى رأى لين سميث فهو ذلك الذى يتعلق بتكوين السكان أو خصائصهم . ويستخدم خبراء التعداد والقائمون بتحليل احصاءات السكان هذين التعبيرين للإشارة الى الصفات

العامة الواضحة التى تميز شخصا عن آخر . وهى رغم ذلك ذات دلالة غاية فى الأهمية . وتستخدم هذه الصفات كأساس لتصنيف السكان الى طوائفهم الأساسية الكبرى .

ويحدد سميث أبرز الخصائص السكانية التى يتم تصنيف السكان وفقا لها بأربع صفات هى : النوع ، والسن ، وسكنى الريف والحضر ، والسلالة أو اللون . وجميعها كما نعلم ذات أهمية كبيرة فى التحليل الديموجرافى . يصف سميث تلك الصفات الأربعة بأنها من أول الأساسيات ، بمعنى أن البيانات الخاصة بها يجب أن تقيد فى التبويات المتقاطعة (المقارنة) مع البيانات المتعلقة بجميع الخصائص الأخرى . فهى فى الحقيقة الخيوط الأربعة الأساسية فى صلب التبويات الحديثة لتعدادات السكان . فمثلا لابد لكى يكون جدول الحالة الزوجية للسكان ذا مغزى أن يوضح البيانات مقسمة تقسيما صحيحا على حسب العمر والنوع والسلالة والسكن ، بحيث نستطيع من دراستنا لأحد أعمدة الأرقام أن نستخلص معلومات عن السكان (البعض أو الزوج) ، وسكان الحضر أو الريف ، والذكور أو الإناث لكل فئة من فئات الأعمار .

ويمكن تصنيف السكان الى فئات (أو الى أقسام سكانية) على أساس النوع ، بحيث تنهيا لنا بيانات عن التوزيع النوعى sex distribution للسكان<sup>(١)</sup> .

### التركيب العمرى :

كذلك يعد السن أو العمر مميزا أساسيا آخر لتركيب السكان . ويعبر عنه عموما

---

(١) التركيب النوعى أو التركيب الجنسى أو التوزيع النوعى أو التوزيع الجنسى للسكان يقاس عادة بنسبة العدد الكلى لأحد الجنسين الى المجموع الكلى للسكان أو الى العدد الكلى للجنس الآخر . وحينما نذكر جنس الذكور فاننا نتكلم غالبا عن الذكور فى السكان . ونسبة الذكور هى نسبة الذكور لمجموع السكان ، ونسبة الجنس هى نسبة عدد أحد الجنسين للجنس الآخر . فنسبة عدد الرجال الى عدد النساء مثلا تسمى نسبة الذكور . وتستعمل كلمتا ذكور وإناث عادة فى الديموجرافيا بدلا من رجال أو نساء للإشارة الى الأشخاص من كل من الجنسين فى جميع الأعمار بها فى ذلك الأولاد والبنات . انظر :

المعجم الديموجرافى المتعدد اللغات ، المجلد العربى ، ترجمة الدكتور عبد المنعم الشافعى والدكتور عبد الكريم الياق ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٤٨ .



بالسنين، أو السنين والشهور، الا في حالة الأطفال الصغار جدا حيث يعطى السن بالشهور والأيام أو بالسنوات وكسورها العشرية<sup>(١)</sup>. وعلى هذا الأساس يمكن تصنيف السكان الى فئات عمرية age groups هي التي تعطينا التوزيع العمري أو التركيب العمري age composition لهؤلاء السكان.

ويعطى التوزيع العمري للسكان اما بسنوات العمر المفردة أو بفئات الأعمار التي قد تكون فئات عمر خمسية أو فئات أعمار واسعة، مثلاً من صفر- ١٩ سنة ومن ٢٠ - ٥٩ سنة، وستين سنة فأكثر. وفي بعض الأحيان يعطى التوزيع العمري أو التركيب العمري للسكان بتصنيفهم على حسب سنة الميلاد. ويمثل التوزيع العمري بياناً بهرم السن أو بهرم أعمار السكان. وهو عبارة عن مدرج

---

(١) والاحصائيون غالباً ما يقربون العمر الى عدد السنوات الكاملة التي عاشها الشخص. ويقال له العمر في آخر عيد ميلاد. وحينما يحسب كسر السنة الأخيرة من العمر على أنه سنة كاملة - كما هو الحال في بعض عمليات التأمين - فاننا نتكلم عن العمر في عيد الميلاد المقبل. وأحياناً يعطى العمر في أقرب عيد ميلاد حين يكون العمر الحقيقي قد قرب الى أقرب عدد صحيح. ويستخدم اصطلاح العمر المضبوط خاصة في حساب جداول الحياة لتسجيل تاريخ بلوغ الفرد يوم ميلاده. فمثلاً يبلغ الشخص تمام الخامسة والعشرين من عمره في عيد ميلاده الخامس والعشرين. والشخص الذي عمره ٢٥ سنة يكون بين العمر المضبوط ٢٥ سنة والعمر المضبوط ٢٦ سنة. وتستخدم الديموجرافيا بعض الاصطلاحات المأخوذة من اللغة الدارجة - برغم افتقارها الى الدقة - لتمييز مراحل العمر المختلفة فالحياة تبدأ بالطفولة. والطفل عموماً هو الشخص الذي لم يصل بعد الى سن البلوغ. ويسمى الطفل في أيامه الأولى وليداً أو مولوداً. أما الرضيع فهو الطفل الذي لم يتم فطامه من أمه. وقد تستخدم كلمة طفل أو طفل صغير في حالة الطفل الذي لم يبلغ السنة الأولى من عمره. ومع ذلك - ففي اللغة الدارجة - قد تشير هذه الكلمة الى الطفل بعد السنة الأولى من عمره بقليل. ويطلق على الأطفال الذين لم يبلغوا السن الاجبارية للتعليم اصطلاح أطفال قبل سن التعليم. أما طفل المدرسة فهو الطفل الذي يذهب الى المدرسة. وتعقب الطفولة المراهقة التي تتميز بالبلوغ. والمراهق هو الشخص الذي يجتاز فترة المراهقة. وتطلق كلمة صغار السن أو الاحداث على الرجال والنساء الذين يقتربون من سن الرشد. أما الذين وصلوا الى سن البلوغ، فيسمون البالغين. وتبدأ الشيخوخة عند سن التقاعد أى حوالى ٦٠ أو ٦٥ سنة. والذين جاوزوا هذه السن يعتبرون شيوخاً. أنظر: المعجم الديموجرافى المتعدد اللغات، المجلد العربى، مرجع سابق، ص ص ٤٨ - ٤٩.

تكرارى يبين السكان على حسب السن والنوع، ويسمى هذا الاسم نظرا لشكله الهرمى. ويسمى أحيانا الهرم السكانى للاختصار. (١)

وبمقارنة هرم السن فى فرنسا - الذى يشبه خلية النحل - - وهرم السن الأكثر انتظاما فى الهند، يتضح لنا الاختلاف بين شعب هرم يواجه التناقض المرتقب (٢)

---

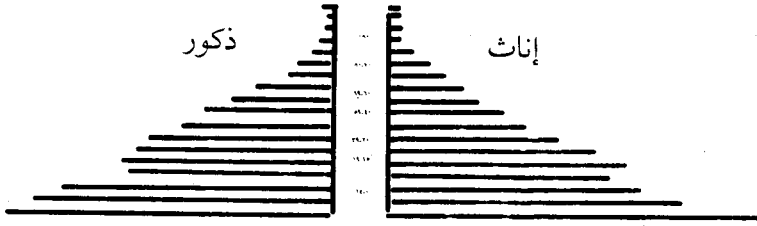
(١) المرجع السابق: ص ٤٩.

(٢) يشرح دنيس رونج هذا النمط (السكانى) من المجتمعات على النحو التالى: أدت التغيرات الاجتماعية والاقتصادية المستمرة التى شهدتها القرون القليلة الماضية الى تغيير النمط الديموجرافى مرتين فى المجتمعات الغربية. اولاهما ما يمكن تسميته بالثورة الديموجرافية الأولى وتمثل فى النمو السريع للسكان نتيجة لانخفاض نسب الوفيات. ثم تلتها الثانية التى تتمثل فى انخفاض معدلات الزيادة الطبيعية نتيجة للانخفاض السريع فى نسب المواليد فى الحضارات الصناعية الناضجة.

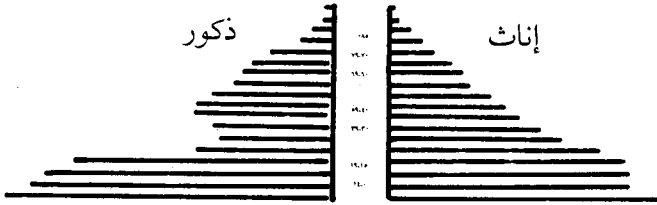
وإذا صرفنا النظر الآن عن الأسباب المعقدة لانخفاض نسب المواليد فى أكثر بلدان العالم تقدما، فانا نستطيع أن نقرر مبدئيا أن انخفاض الخصوبة قد غير من امكانيات النمو فى المستقبل. وإذا كان التغير الذى طرأ على نسب الوفيات هو العامل الحاسم فى معدلات النمو السكانى فى المجتمعات ذات امكانيات النمو السريع، والمجتمعات ذات النمو الانتقالى، فإن اتجاه نسب المواليد هو العامل الأساسى لنمو السكان مستقبلا فى المجتمعات ذات التناقض المرتقب.

وتؤدى الخصوبة المتناقصة الى تغيير تركيب السكان من حيث السن، إذ ترتفع نسبة متوسطى وكبار السن طالما يطول أمد الحياة نتيجة استمرار التقدم الطبى. ولايكفى الأطفال القليلو العدد الذين يولدون كل عام لأن يحلوا محل آبائهم وأمهاتهم الذين جاءوا الى الوجود فى عهد الخصوبة المرتفعة. ويتضح لنا هذا باختصار إذا قارنا فئات السن الثلاث الرئيسية فى مناطق مختلفة بمثيلاتها فى مناطق عرفت التصنيع منذ وقت بعيد. ففي الشرق الأدنى نجد ٤٠ ٪ من السكان يقل عمرهم عن خمسة عشر عاما (صغار)، ٥٤ ٪ يتراوح عمرهم بين خمسة عشر وستين عاما (بالغون)، ٦ ٪ فقط يزيد عمرهم على ستين عاما (شيوخ). بينما تبلغ هذه النسب فى أوروبا الشمالية الغربية والوسطى ٢٤ ٪، ٦٢ ٪، ١٤ ٪ على الترتيب. أنظر دنيس رونج، علم السكان، ترجمة الدكتور محمد صبحى عبد الحكيم مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٢٦ - ٣١.

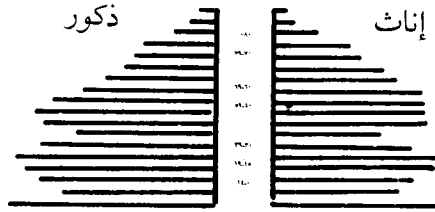
الهند ١٩٣١



اليابان ١٩٤٥



فرنسا ١٩٤٨



### تركيب السن والنوع

في ثلاثة أقطار ينتمي كل منها إلى أحد أنماط النمو السكاني

تركيب السكان من حيث النوع والسن في ثلاثة أقطار ينتمي كل منها إلى أحد الأنماط الرئيسية للنمو السكاني . وهذه هي الرسوم التي يطلق عليها اسم الهرم السكاني أو أهرام السن . . ويوضح الجانب الأيسر من الهرم السكان الذكور موزعين على حسب فئات السن ، ويوضح الجانب الأيمن السكان الإناث . أما الأرقام المكتوبة في أسفل الهرم فهي عبارة عن نسب مئوية .

وبين شعب فتى لديه امكانيات للنمو السريع (١). ومهما يكن الأمر فالملاحظ أن فئة من تقل سنهم عن أربع سنوات في فرنسا أكبر بكثير من الفئات الأخرى التي يقل عمرها عن عشرين سنة. وهذا يعكس نسب المواليد المرتفعة في سنوات ما بعد الحرب. أما في الهند فإن الفروق بين فئات السن المتتابعة أكثر انتظاماً، لأن الوفيات تلتهم أعداداً كبيرة من مواليد كل فئة من فئات السن. ولا تختلف الوفيات كثيراً في الحجم من عام إلى آخر. ومن المحتمل أن تكون قلة نسبة فئة السن (١٥ - ١٩ سنة) راجعة إلى الوفيات الكثيرة التي نجمت عن وباء الأنفلونزا الذي حدث

(١) يعرف رونج هذا النمط (السكاني) من المجتمعات على النحو التالي: يتمثل النمط السكاني في معظم المجتمعات الزراعية ذات البناء الاجتماعي القبل التقليدي أو الريفي، والتي لم تعرف مطلقاً التصنيع وحياء المدينة. ونسب المواليد في هذه المجتمعات مرتفعة جداً، ولكن تقابلها نسب وفيات مرتفعة، وعلى ذلك فإن حجم السكان يظل ثابتاً على وجه التقريب. وترجع نسب المواليد المرتفعة إلى نظام الأسرة ذات الدعائم القوية وإلى تقاليد الزواج في المجتمعات الريفية. ولذلك فإن نسبة الزيادة الطبيعية تحددها الذبايات التي تتعرض لها نسبة الوفيات. وقد تختلف معدلات النمو السكاني كثيراً من عام إلى آخر بسبب الأوبئة والمجاعات والحروب وغيرها من الكوارث الطبيعية التي ترفع من نسبة الوفيات، أو بسبب الرخاء الذي يعمل على خفض هذه النسبة. وعلى أي حال فإن القوى الطبيعية تميل إلى أن تلغى بعضها البعض الآخر على المدى الطويل. ولذلك فإن السكان أما يشهدون نمواً بطيئاً للغاية وأما يتوقفون عن النمو.

وعلى كل فإن السكان في هذا النمط ذوو امكانيات للنمو السريع ذلك أن الانخفاض الحاسم الذي تتعرض له نسب وفيات الأطفال سوف يسمح بأن يبقى حياً نسبة أكبر من المحصول السنوي الهائل من الأطفال، وأن يصبح هؤلاء الأطفال أنفسهم آباء وامهات في المستقبل. وفضلاً عن ذلك فإن تركيب السكان من حيث العمر يساعد على استمرار الخصوبة المرتفعة لأن الأمد القصير للحياة قد ترتب عليه تركيز واضح للسكان في مجموعات السن الشابة التي ينبثق منها الآباء والأمهات. ففي الهند مثلاً - وهي أمة ما زالت تعيش في هذه المرحلة من النمو السكاني - يبلغ عدد الأطفال دون الخامسة سبعة أمثال الشيوخ فوق الخامسة والستين، بينما في الولايات المتحدة تتساوى المجموعتان في العدد تقريباً.

وقد أدى التوحيد السياسي إلى تحسين أساليب الزراعة فزادت الانتاجية الزراعية، وتوفر الغذاء بدرجة كافية، وتقدمت وسائل المواصلات والصحة العامة وتحسنت الرعاية الطبية الحديثة. وكل هذا من شأنه أن يخفض نسب الوفيات دون أن يؤثر في بادئ الأمر على نسب المواليد المرتفعة. وقد تؤدي الإصلاحات الأقل أهمية، مثل توفير المياه النقية والقضاء على البعوض الناقل للأمراض، إلى تأثير حاسم على الوفيات. وإذا استمر الهبوط الطفيف في نسب الوفيات الناتج عن التقدم في مختلف مرافق الحياة، فإنه لن يلبث أن يتمخض عن نمو سريع انفجاري أنظر دنيس رونج، المرجع السابق، ص ٢١ - ٢٣.

سنة ١٩١٨ بين الأطفال الذين كانت تقل سنهم في تلك السنة عن عشر سنوات . ويمثل هرم السن في اليابان حالة وسط بين نمط التناقص المرتقب ونمط امكانيات النمو السريع . فقد عمل هبوط الوفيات على زيادة الحجم النسبي لفئات السن الكبيرة اذا قورنت بالهند . ولكن اذا قورنت بفرنسا فان الخصوبة المرتفعة أدت الى اتساع قاعدة الهرم السكاني .

وتوضح الأشكال الثلاثة لأهرام السن في هذه الدول الثلاث - كذلك - أثر الأحداث التي تحللت تاريخها الحديث . ففئة السن (٣٠ - ٣٤ سنة) وهى فئة صغيرة الحجم في فرنسا تمثل الجيل الذى ولد بين عامى ١٩١٤ - ١٩١٨ حينما أثر غياب الذكور المشتركين في الحرب عن وطنهم تأثيرا بالغا في خفض نسب المواليد . وفئة السن (٥ - ٩ سنوات) الصغيرة الحجم أيضا - تمثل الجيل الذى ولد في مثل هذه الظروف أثناء الحرب العالمية الثانية . أما في اليابان فان الذكور من فئات السن القادرة على الاشتراك في الحرب قد قضى عليهم ، الأمر الذى ترتب عليه عدم توازن ملحوظ في نسبة الجنسين عند هذه الأعمار . كذلك تذكر الفجوة الموجودة بين الذكور عند هذه الأعمار بالخسائر البشرية الفادحة في الحرب العالمية الثانية (١) .

من هذا يتضح أن السن (العمر) هى أهم خاصية مميزة لأى شخص وهى المحدد الأساسى لسلوكه . ولهذا السبب كانت البيانات الخاصة بتوزيع أعمار السكان ذات أهمية قصوى في علم السكان . وتتوقف القيمة النهائية للمعلومات الباهظة التكاليف التي يجمعها تعداد السكان ونظم التسجيل في دولة ما على مدى استخدام تصنيفات مناسبة للأعمار ، وربطها بجميع التصنيفات الفرعية الأخرى . ويجب على دارس السكان أن يكون حريصا أشد الحرص عند دراسته لهذا العامل كى يتأكد أن العلاقات الأخرى ومظاهر التباين التي يسعى الى اختبارها أو اثباتها ليست انعكاسا لفروق أو أوجه شبه في التركيب العمرى للسكان الذين يعقد بينهم المقارنة (٢) .

(١) دنيس رونيغ ، علم السكان ، مرجع سابق ، ص ص ٣١-٣٤ .

(٢) ت . لين سميث ، أساسيات علم السكان ، مرجع سابق ، ص ١٧ .

## سكنى الريف والحضر:

أما الخاصية الثالثة للسكان التى يجب على دارس السكان أن يضعها دائما نصب عينيه - فى رأى لين سميث - فهى سكنى الريف والحضر. فهو يهتم بجمع معلومات عن هذه الخاصية من بدء دراساته الديموجرافية وحتى نهايتها. فبعد تجارب طويلة قام بها الخبراء المختصون بتبويات تعداد الولايات المتحدة نجدهم يضعون التقسيم الحضرى والريفى للسكان على رأس قائمة المجموعات المعقدة للتصنيفات المستخدمة فى تقارير التعدادات التى تجرى كل عشر سنوات. فالجدول رقم واحد فى التقارير الخاصة بالدولة، وبالولايات يقسم السكان الى حضريين وريفيين من غير أصحاب المزارع. ويتكرر ظهور هذه الفئات فى جزء كبير من الجداول التالية. والسبب فى ذلك أن الخصائص والعمليات الديموجرافية للأفراد الذين يعيشون فى الريف تختلف اختلافا جذريا عن تلك التى تميز سكان المدن. وتوضح لنا المؤلفات والدراسات السكانية كيف أن تصنيف السكان الى قطاعات ريفية، وحضرية، أو الى فئات متنوعة فى مركب ريفى حضرى، يعتبر من أهم الأمور التى يعنى بها التعداد الذى يتولاه خبراء ذوو كفاءة عالية، وأنه من أهم المعالم التى لاغنى عنها للمشتغلين بتحليل احصاءات السكان (١).

## السلالة أو اللون:

والسلالة أو اللون هى الخاصية الرابعة فى مجموعة الخصائص السكانية الرئيسية فنجدها عند سميث - على سبيل المثال - وعند كثير من مؤلفى المراجع الأساسية فى علم السكان تمثل أهمية بارزة. وقد يكون لهذا الموقف مبرره فى ضوء التركيب السكانى والمشكلات السكانية لمجتمعات عرفت التمييز العنصرى (على أساس الانتماء العرقى، أو على أساس اللون). ولكنها فى رأينا ليست بنفس الدرجة من الأهمية فى مجتمعاتنا العربية الاسلامية التى تأسست على التسامح وعلى الايمان الراسخ بالمساواة الكاملة والمطلقة بين أبناء كل الأجناس طالما كانوا يدينون بعقيدة

---

(١) لين سميث، المرجع السابق، ص ١٨.

الاسلام. فلا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى. أما فى داخل الوطن الواحد فلم تعرف المجتمعات الاسلامية تمييزا بين المواطنين بسبب الجنس أو اللون طالما امثلوا المعايير المجتمع ونظمه والتزموا تعاليم دينهم ولم يتدخلوا فى شئون غيرهم. ولكننا نجد عالما مثل سميث يبرر أهمية هذا النوع من المعلومات فى ضوء الظروف التاريخية لكثير من المجتمعات. حيث يشير الى أن الجماعات البشرية قد علفت منذ أقدم العصور أهمية على الفروق فى لون البشرة، ونسيج الشعر وغير ذلك من الخصائص المميزة للانسان. كذلك استخدمت هذه المعايير منذ أزمنة سحيقة كأساس لتقسيم البشرية الى فئات كبرى كالسلالات البيضاء والسوداء والصفراء. وليس من الأهمية فى شىء - كما يشير سميث - أن الاكتشافات والنظريات العلمية المعاصرة (فى علوم النفس والأحياء والأنثروبولوجيا والاجتماع) لا تؤيد الاعتقاد بأن هذه الخصائص الجسدية لها ارتباط ما بالذكاء الفطرى، أو الطاقات الموروثة أو القدرات الخلقية. ولذلك يؤكد أنه مادام هناك جزء كبير من مجتمع ما يعتقد أن هذه الصفات الجسدية لها دلالتها، فانها سوف تستمر كأساس لتقسيمات رئيسية للسكان (١)

وفى تعداد الولايات المتحدة مثلا يظهر تصنيف السكان الى بيض وغير بيض، وتقسيم غير البيض الى زنوج وسلالات أخرى، فى جزء كبير من التبويات. الا أن الأمر فى الواقع العملى ليس بهذه السهولة التي يبدو بها الموضوع للوهلة الأولى، أو للشخص غير المتخصص، خاصة عند التصدى لعمل التعدادات. اذ يثير المعجم الديموجرافى الدولى الذى سبقت الاشارة اليه عدة مرات عددا من المشكلات النظرية والعملية المتصلة بمفهوم السلالة أو العرق. حقيقة ان كلمة جنس - كما يقول المعجم المذكور - تستعمل للدلالة على مجموعة من الأشخاص الذين يتفقون فى صفات جسمية معينة منقولة بالوراثة. ولكننا نجد اللغة الدارجة - عند أغلب الشعوب - تستعمل هذه الكلمة بشكل غير دقيق غالبا. اذ تطلق على

---

(١) المرجع السابق، ص ١٨ - ١٩

مجموعة الأشخاص الذين تربطهم ثقافة موحدة، أو حتى على الناس الذين يعيشون في منطقة واحدة.

ثم هناك مصطلح آخر كثير الاستعمال هو «جماعة الجنس» أو «جماعة العرق الواحد» وهذا أيضا ليس له معنى موحد. والشعب عموما مجموعة من الأشخاص يربطهم تاريخ موحد أو ثقافة موحدة. ومن هنا احتمالات حدوث الخلط بين المفهومين. والأشخاص الذين يعيشون في منطقة ما ويختلفون اختلافا بينا عن أغلبية السكان يسمون «أقليات». وقد تكون الأقليات على سبيل المثال: أقليات عنصرية، أو أقليات عرقية، أو أقليات قومية، أو أقليات لغوية (١).

أما عن تمييز الأفراد على حسب لون البشرة، فقد أشرنا الى تقسيم السكان في تعداد الولايات المتحدة الى بيض وغير بيض. وتلاحظ هنا أن اختلاط الأجناس مختلفة الألوان يسمى تهجينا. والشخص الذي يولد نتيجة لهذا الاتحاد يكون مغلطا أو هجيناً (٢).

#### الموطن الأصلي:

وهناك طائفة أخرى من الخصائص السكانية التي تضيفها بعض المراجع، وتحصر على جمع معلومات عنها خاصة في التعدادات بسبب أهميتها في الكشف عن حقيقة الظروف والمشكلات السكانية. من هذا تأكيد لين سميث على المواطن الأصلية للسكان باعتبارها من الخصائص ذات الأهمية الكبيرة خاصة في الدول

---

(١) أنظر المعجم الديموجرافي في المتعدد اللغات، مرجع سابق، ص ٥٠.

(٢) وتختلف المصطلحات والمسميات من بلد لآخر. فنجد في جنوب أفريقيا على سبيل المثال أن كلمة ملون Colored تستخدم للدلالة على السكان الذين ليسوا من اصل أوروبى ولا هم من جنس البانتو الصرف (البانتو هم سكان المناطق الاستوائية والجنوبية الأصليين بأفريقيا) ولكنهم ولدوا نتيجة للتهجين. أما في الولايات المتحدة فيسمى كل من ليس أبيض ملونا. ونتيجة تزاوج البيض والزنج تسمى «خلاسا». وفي أمريكا اللاتينية تسمى السلالة الناتجة من تزاوج الأوربيين والهنود الأمريكيين «المولد الهندى» وتسمى السلالة الناتجة من تزاوج الأوربيين والاسيويين «المولد الآسيوى» أنظر:

المعجم الديموجرافي المتعدد اللغات، مرجع سابق، ص ٥١ - ٥٢.



التي استقبلت أو تستقبل أعدادا ضخمة من المهاجرين : كالولايات المتحدة، وكندا، وأستراليا، والأرجنتين، والبرازيل، وبعض بلاد منطقة الشرق الأوسط.

ويشير سميث الى أننا نجد - على سبيل المثال - في التقارير الخاصة بكثير من تعدادات الولايات المتحدة أن البيانات المتعلقة بالمواطن الأصلية للسكان تحتل مكانا هاما، وذلك لاعتبارات عدة متنوعة. أولها أن المهاجرين يكونون نسبة مرتفعة من سكان البلاد. ثم ان المنظمات التي تمثل مجموعات القوميات المختلفة كثيرا ما تتمتع بأهمية سياسية على مسرح السياسة الداخلية. ثم ان هذه البيانات لا تقتصر فائدتها على ارتباطها بالأصل القومي والسلالى للسكان في حد ذاته. بل انها ذات أهمية في مراجعة النتائج المتعلقة بالهجرة من البلاد واليها، تلك النتائج التي جاءت نتيجة لدراسة سجلات الهيئات المسؤولة عن تطبيق قوانين الهجرة الى الولايات المتحدة (١).

---

(١) أنظر سميث، المرجع السابق، ص ١٩. ويقدم المعجم الديموجرافي الدولي بعض الملاحظات حول تضمين هذه النقطة في استمارات الاحصاءات أو استمارات التعداد. فبينه ان سكان دولة ما قد يكونون «رعايا» أو «مواطني» هذه الدولة حيث يتمتعون بحقوق سياسية معينة وقد يكونون غرباء أو أجانب من مواطني دولة أخرى. وقد لا يكونون رعايا لأية دولة اطلاقا، ويطلق عليهم عديمو الجنسية. وكان لكلمة رعية فيها مضى مدلول استعبادي، ولكنها فقدت هذا المعنى، واستعملت مرادفا لكلمة مواطن. ومع ذلك ففي بعض الحالات - خاصة في المستعمرات - يفرق بين الرعية والمواطن، كالتمييز بين ال British وال English عند الانجليز. والمواطنون في دولة معينة يحصلون عادة على جنسية هذه الدولة. وكلمة جنسية تستخدم حاليا كمترادف لكلمة مواطنة. ولكن في بعض الحكومات متعددة القوميات يوجد فرق بين الجنسية السياسية والجنسية العنصرية او القومية العنصرية والعرقية. وقد يكتسب الغرباء جنسية الدولة التي يقيمون فيها بالتجنس فيصبحون متجنسين، وقد تسحب شهادات التجنس في بعض البلاد فيعاني بذلك - الشخص المتجنس فقد جنسيته. وقد يحصل بعض الأشخاص احيانا على اكثر من جنسية أى يحصل على ازدواج الجنسية. وهناك فرق بين الغرباء المقيمين الذين يعيشون عادة في بلاد غير بلادهم والغرباء الزائرين الذين يوجدون في هذه البلاد لفترات قصيرة نسبيا. والأشخاص المولودون في البلد الذى يعيشون فيه يسمون «أهالى» ذلك البلد. واذا كان اسلافهم قد عاشوا هناك مدة طويلة يسمون سكان البلد الأصليين. والاحصاءات تفرق عادة بين المواطنين بالولادة والمولودين بالخارج. انظر:

المعجم الديموجرافي الدولي، ص ٥٠

## الحالة الزوجية :

ومن العناصر الأخرى ذات الأهمية الكبيرة من وجهة نظر التحليل الاجتماعي للسكان موضوع الحالة الزوجية . ويتضمن كل تعداد حديث أسئلة متعلقة بهذا الموضوع . وتفرغ الاجابات من هذه الأسئلة موزعة على الخصائص السكانية التي ذكرناها آنفا . وتولى معظم التعدادات أهمية كبيرة لهذه الظاهرة الديموجرافية الهامة .

ونحن في دراستنا للحالة الزوجية للسكان نتناول الزواج من الوجهة الكمية . والزواج عقد شرعى للنكاح أو الاقتران بين ذكر وأنثى بالشكل الذى تنص عليه قوانين المجتمع وتجربى عليه عاداته ، فتترتب عليه بينها حقوق وواجبات . ولاشك أننا يجب أن نؤكد هذه النقطة لأن نوعية الأسئلة التى تتضمنها استمارة التعداد تتحدد فى ضوء نظم الزواج وقوانينه المعمول بها فى المجتمع محل الدراسة . فنحن فى تعداد الولايات المتحدة مثلا لايمكن أن نجد بيانات عن الزوجة الأولى ، والثانية والثالثة والرابعة (فى عصمة الزوج فى وقت واحد) لأن قوانين الزواج فى المجتمع الأمريكى لاتبيح هذا . بينما يجب أن نفسح لذلك مكانا مناسباً فى استمارات التعداد التى نجرىها فى بلاد اسلامية تبيح هذا النظام وهو تعدد الزوجات .

ثم ان اختلاف نظم الزواج بين المجتمعات سترتب عليه تكييف خاص ، يختلف من مجتمع لآخر ، لطبيعة ونظم القرابة بين أولئك الزوجات من ناحية ، وبين أبنائهن من ناحية ثانية ، وبين تحديد فئات المحارم لكل مستوى من ناحية ثالثة وهكذا .

ثم اننا نجد بعض المجتمعات تفرق بين الزواج المدنى فلا تعترف رسميا الا به وبين الزواج الدينى أو الشرعى الذى تعول عليه مجتمعات أخرى . أما اذا كانت العلاقات بين الجنسين ليست لها صفة الشرعية أو القانونية ، فانها تعد اقترانا غير شرعى أو غير قانونى (زنا أو سفاح) (١)

(١) أنظر المعجم الديموجرافى الدولى ، مرجع سابق ، ص ص ٧٠ - ٧١ .

## العمالة والمهن :

هناك كذلك موضوع العمالة والمهن والقوى العاملة وما يتصل بها من أمور وهى تحتل مكانة هامة فى تعدادات السكان الحديثة . وفى هذا الصدد يمدنا المعجم الديموجرافى الدولى ببعض التحديدات الدقيقة التى تتصل بالنشاط الاقتصادى والعمالة . فنرى فى البداية أن التعدادات (المصدر الأول للبيانات السكانية) تفرق بين السكان العاملين (أو السكان الذين ليس لهم نشاط اقتصادى) <sup>(١)</sup> . وعلى العموم يشمل السكان العاملون الأفراد الذين يشتركون فى إنتاج السلع والخدمات الاقتصادية بما فى ذلك العاملون لحساب الأسرة بدون أجر فى مشروع اقتصادى وكذلك الأشخاص العاملون بأجر . وفى بعض الأحيان يعتبر الأشخاص الذين يباشرون مهنة تكسبية فقط هم السكان العاملين . أى باستبعاد ربات البيوت اللاتى يؤدين الأعمال المنزلية بدون أجر . والطلبة والعمال المتقاعدين . الخ . والسكان الذين ليس لهم نشاط اقتصادى يعرفون أحيانا بالمعولين . بمعنى أنهم يعيشون على إنتاج السكان العاملين . ونسبة السكان العاملين الى جملة السكان تحتسب عادة بالإشارة الى مجموعة جنس وسن معينة أو أية فئة أخرى . وتسمى معدل النشاط أو معدل الاشتراك فى قوة العمل أو معدل المساهمة فى قوة العمل <sup>(٢)</sup> .

كذلك يستعمل المفهوم الخاص بالعامل المكتسب والمفهوم الخاص بقوة العمل فى قياس السكان العاملين . ووفقا لمفهوم العامل المكتسب فان السكان العاملين هم الأشخاص الذين لهم حرف أو مهنة يمارسونها عادة . وطبقا لمفهوم قوة العمل فان السكان العاملين هم مجموعة الأشخاص الذين يعملون فى مهنة تكسبية أو يرغبون أو يبحثون عن مثل هذا العمل فى أثناء فترة معينة تسبق البحث .

---

(١) المصطلحان سكان مكتسبون وقوة العمل يستعملان عادة كمرادفين للسكان العاملين والسكان الذين لهم نشاط اقتصادى . كما يستعملان أيضاً فى معنى آخر مرتبط بمفهوم المكتسبين أو مفهوم قوة العمل .

(٢) فى مقابل هذا تحسب نسبة الاعالة بأنها نسبة السكان الذين ليس لهم نشاط اقتصادى الى السكان المكتسبين . وغالبا يكون حساب هذه النسبة للسكان المذكور فقط . المعجم الديموجرافى ، مرجع سابق ، ص ٥٤ .

ويميز الديموجرافيون بين الأفراد المشتغلين والأفراد المتعطلين من السكان العاملين باستخدام التصنيف الخاص بالحالة العملية. وعلى أساس مفهوم قوة العمل يحسب فقط الأفراد الذين كانوا يبحثون فعلا عن عمل خلال الفترة المعينة على أنهم متعطلون. أما الأشخاص الذين يبحثون عن عمل ولم يسبق لهم الاشتغال فيسمون عمالا غير متمرنين أو يسمون أحيانا عمالا جددا. والباقي من أفراد قوة العمل يعتبرون قوة عمل متمرنة أو عمالا متمرنين.

أما التصنيف المهني أو الحرفي للسكان العاملين فيبين هؤلاء الأفراد موزعين على حسب المهنة أو الحرفة. والمجموعة المهنية أو الفئة المهنية أو الحرفية قد تشمل عددا من المهن لتقاربها في الوضع الاجتماعي أو لأنها مرتبطة بشكل ما ببعضها البعض.

كذلك يصنف السكان العاملون على حسب الحالة العملية (مثل: مستخدم، صاحب العمل... الخ). ويفرق هذا التصنيف بين أصحاب الأعمال والمستخدمين<sup>(١)</sup> أو المستأجرين من ناحية، وبين المشتغلين لحسابهم أو المشتغلين المستقلين من ناحية أخرى. والنوع الأخير لا يستخدم عمالا بأجر. ولكن قد يساعدهم عاملون لحساب الأسرة بدون أجر أو مساعدو الأسرة الذين يميزون عادة كمجموعة منفصلة. وبالجمع بين كل من التصنيف المهني والحالة العملية يمكن تكوين تقسيمات الحالة الاجتماعية.

ويميز الديموجرافيون أحيانا بين كثير من المجموعات الفرعية الخاصة بفئة المستخدمين. ومن هذه المجموعات الفرعية المشتغلين بالمنازل. وهم الذين يعملون في منازلهم. وقد يكون عملهم هذا لأصحاب أعمال متعددين. ومن بين المستخدمين يفرق أحيانا بين العمال اليدويين أو العمال الانتاجيين والعمال غير اليدويين أو الكتبة وغيرهم. والعمال اليدويون يمكن تقسيمهم بعد ذلك بالنسبة الى مهاراتهم. فيفرق بين العمال المهرة والعمال نصف المهرة والعمال غير المهرة. أما

---

(١) هناك بعض البلاد التي تطلق لفظ مستخدم على الدرجات الدنيا من المشتغلين في الدواوين

الحكومية، منها على سبيل المثال المملكة العربية السعودية.

تلاميذ الصناعة فيوضعون أحيانا كفئة فرعية من المستخدمين . وهناك علاوة على هذا نوع آخر من تصنيف المستخدمين ، هو تقسيم - على أساس نظام دفع الأجر - الى مشغلين بأجر وقد نسميهم بعمال اليومية أو عمال المياومة . ويدفع لهم الأجر يوميا أو أسبوعيا . ثم المستخدمين بمرتبات أو من قد نسميهم بالموظفين وتدفع لهم مرتبات شهرية أو لفترات أقل من الشهر (كل أسبوعين أو كل ثلاثة أسابيع مثلا) .

أما في الزراعة فيستخدم الديموجرافيون تصنيفا خاصا مختلفا على حسب طبيعة العمل الزراعى . فالزارعون هم الذين يزرعون الأرض من أجل الربح . ومن بين هؤلاء يفرق بين المزارعين الملاك الذين يملكون أرضهم والمزارعين المستأجرين الذين يستأجرون الأرض من أصحابها . أما العمال الزراعيون فهم الأشخاص الذين يستخدمهم المزارعون للعمل في الأرض .

وهناك أخيرا تصنيف السكان على حسب النشاط الاقتصادى فنحدد السكان المشغلين بالصناعة (ويعتمد هذا التصنيف الداخلى على طبيعة المنشأة أو المؤسسة التى يعمل بها الفرد) ، والسكان المشغلين بالزراعة . أو يتم التصنيف بطريقة أخرى بتقسيم السكان الى سكان مشغلين بالزراعة وسكان مشغلين بغير الزراعة . أما مستخدمو الحكومة أو موظفو الحكومة وكذلك أفراد القوات المسلحة أو العسكريون فانه يتم اظهارهم منفصلين فى الاحصاءات السكانية . أما المستخدمون فى المشروعات العامة فيحسبون ضمن باقى السكان المشغلين فى الصناعات كقاعدة عامة (١) .

هذا وتتضمن دراسة النشاط الاقتصادى تحديد السن عند بداية العمل ، والسن عند ترك العمل أو السن عند التقاعد . والفترة بين السن عند بداية العمل والسن عند التقاعد تسمى عمر العمالة . وأحيانا يحسب توقع عمر العمالة للأشخاص الذين من جنس و سن معينة بتلك الطريقة التى يحسب بها توقع الحياة (أو توقع

---

(١) الموظف الحكومى هو مستخدم فى الحكومة (مستخدم بالمعنى العام) . أما الموظف العام فهو مستخدم فى

هيئة عامة . وتفرق الاحصائيات دائما بين الموظفين الحكوميين والموظفين غير الحكوميين .

أمد الحياة) . وهذا يبين متوسط طول الفترة التي يستمر فيها جيل من الأشخاص كأفراد في قوة العمل (١)

ويلاحظ لين سميث بحق أن المهنة هي التي يمكن أن تعتبر صفة سكانية، وإن كانت دراسة المهنة دراسة صحيحة سوف تشمل - كما اتضح لنا من التعريفات والتحديدات السابقة - المعلومات الأخرى .

ومع ذلك فإن الديموجرافي لا يحتكر دراسة الصفات المهنية بالدرجة التي يحتكرها مظاهر أخرى كثيرة لتركيب السكان في مجتمعه . إذ أن هذا الموضوع سوف يقوده حتما إلى الخوض في دراسة ظواهر اجتماعية واقتصادية أخرى تتعدى نطاق الديموجرافيا إلى حد كبير .

#### الحالة الاجتماعية للسكان :

تمثل الحالة الاجتماعية للسكان مظهرا آخر من المظاهر التي يجمع التعداد الحديث عنها تلالا من المعلومات، على حد تعبير لين سميث (٢) ويشير سميث إلى أن هذه المعلومات ما تزال في حاجة إلى الفحص والدراسة . مع مراعاة أن طبيعة مثل هذه البيانات تحتم أن يتم تحليلها بواسطة متخصصين في فروع أخرى خارج نطاق الديموجرافيا، كعلماء الاجتماع، التربية .. الخ .

ومن أبرز المعلومات التي تدل على الحالة الاجتماعية للسكان تلك المتصلة بالأمية ومعرفة القراءة والكتابة والحالة التعليمية وأنواعها ومستوياتها . ولهذا تهتم الإحصاءات السكانية بتصنيف السكان على حسب الحالة التعليمية . فلدينا أولا الأمي، وهو الذي لا يعرف القراءة والكتابة، وذلك الذي يعرف القراءة والكتابة . والشخص الذي يعرف القراءة ولكنه لا يعرف الكتابة يسمى شبه أمي . وأحيانا تحسب هذه الفئة ضمن الأميين، بينما نجد في أحيان أخرى دولا تحسبها ضمن غير الأميين . وكلمة شبه أمي تستخدم في اللغة الدارجة للإشارة إلى الشخص الذي يقرأ ويكتب ولكن بصعوبة . والإحصاءات التي تتناول هذه المجموعات من

(١) هذه المفاهيم نقلا عن المعجم الديموجرافي المتعدد اللغات، مرجع سابق، ص ص ٥٤ - ٥٨ .

(٢) أنظر سميث، أساسيات علم السكان، مرجع سابق، ص ٢٠ .

الأشخاص تسمى احصاءات تعليمية . وكثيرا ما تعرف الحالة التعليمية على أساس سنوات الدراسة الكاملة أو على أساس أعلى شهادة أو دبلوم أو درجة علمية منحت . ومن الواضح والبديهي أن مثل هذه الشهادات تختلف من بلد لآخر على حسب نظام التعليم السائد فيه .

وتفرق الاحصائيات عادة بين مستويات تعليمية متعددة أو مراحل تعليمية ، قد تكون ثلاثة (التعليم الابتدائي ، والتعليم الثانوي ، والتعليم العالي) ، وقد تكون أربعة (الابتدائي - والاعدادي - أو المتوسط - والثانوي ثم العالي) . وتختلف نظم التعليم باختلاف الأقطار . ففي مصر تبتدىء مرحلة التعليم الابتدائي بعد الحضانة في السنة السادسة من العمر ومدتها ست سنوات . ويلى ذلك المرحلة الاعدادية ومدتها ثلاث سنوات ، ثم المرحلة الثانوية ومدتها ثلاث سنوات أخرى . وأخيرا المرحلة الجامعية وتراوح بين أربع سنوات وست سنوات على حسب نوع الدراسة .

وفي العراق تبدأ مرحلة التعليم الابتدائي ومدتها ٦ سنوات بعد الحضانة أو الروضة . ويلى ذلك الدراسة المتوسطة التى تستغرق ثلاث سنوات . ثم الدراسة الثانوية أو الاعدادية ومدتها سنتان . وأخيرا الدراسة الجامعية التى تختلف على حسب نوع الدراسة .

وكذلك فى المغرب هناك التعليم الابتدائي ويتلوه التعليم الثانوي الذى يتكون من مرحلتين : السلك الأول ، والسلك الثانى . وهناك أخيرا التعليم الجامعى .

أما المملكة العربية السعودية فهناك التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي (وفى مستواه معاهد اعداد المعلمين والفنيين) ثم التعليم العالى .

وتميز الاحصائيات المدرسية علاوة على هذا بين عدد التلاميذ المقيدى وعدد التلاميذ المنتظمين . والمقارنة بين هذين الرقمين هى التى تعطى نسبة المواظبة <sup>(١)</sup> والتعليم الالزامى يعنى وجود مراحل من الأعمار ملزمة قانونا بالالتحاق بالمدارس . وهذا يجعل من الممكن تحديد عدد الأولاد فى سن التعليم أو الأفواج

---

(١) المعجم الديموجرافى ، ص ص ٥٢ - ٥٣ .

المدرسية وفقا لهذا الأساس القانونى . وبديهى أن بعض الدول لا تتيح لها امكانياتها  
استيعاب كل الأولاد الذين فى سن الالتزام .

ومن الواضح أن الديموجرافى وان كان حريصا على جمع كل هذه البيانات سواء  
عن طريق استمارة التعداد أو عن طريق الأجهزة والمؤسسات التربوية المتخصصة ،  
الا أن تحليل هذه الحقائق واستخلاص العلاقات بينها واتجاهاتها يقع بطبيعة الحال  
فى اختصاص عالم الاجتماع المهتم بدراسة التربية (المتخصص فى علم الاجتماع  
التربوى) ، وفى اختصاص التربوى عند تحليله لنتائج جهود تلك المعاهد . كما  
تدخل كما أشرنا فى نطاق دراسة الديموجرافى .

#### الانتماءات الدينية :

وتعتبر الانتماءات الدينية من الخصائص الاجتماعية للسكان التى لا يمكن  
التهوين من أهميتها . فالواقع أن المجتمع الانسانى قد شهد عصورا تاريخية كثيرا  
ماكانت صفة الفرد الدينية (من حيث كونه مسيحيا أو يهوديا ، كاثوليكيا أو  
بروتستانتيا ، مسلما أو كافرا . الخ) هى أكثر خصائصه أهمية على الإطلاق . ولهذا  
تتضمن كثير من التعدادات الحديثة أسئلة عن الإنتماءات الدينية ، مثل تعدادات  
البرازيل ، وكندا ، وباكستان ، ومصر . . . الخ (١)

وهنا يلاحظ المعجم الديموجرافى الدولى (ص ٥٢) أن الاحصائيات الدينية  
تقسم السكان على أساس ولائهم الدينى . ولذلك ينبى الى ضرورة ملاحظة الفرق  
بين الأديان العامة أو الملل وبين طوائفها الأساسية أو فرقها أو المذاهب أو النحل .  
كما تهتم بعض التعدادات بتسجيل نوعية الأشخاص الذين ليس لهم دين معين  
وتشير اليهم باسم ملحدين أو زنادقة أو كفارا .

---

(١) سميث ، أساسيات علم السكان ، مرجع سابق ، ص ٢٠



## الفصل الثالث

### الوقائع الحيوية

الحقيقة أن الوقائع الحيوية الى جانب الهجرة تمثل أبرز العمليات التى يهتم الديموجرافى بتحديدھا وتتبعھا ورصد اتجاهاتها وتفسير تلك الاتجاهات . ذلك أن أى تغير فى حجم سكان مجتمع من المجتمعات انما هو حصيلة ثلاث عمليات : المواليد، والوفيات، والهجرة . فهذه المتغيرات الثلاث هى التى تعمل على تحديد النمو السكانى وتوجيهه وجهة معينة، وتتدخل كذلك فى تعيين وابرار الخصائص السكانية لشعب من الشعوب .

وتتدرج تلك العمليات الثلاث من حيث أهميتها وحتمية حدوثها . فالوفاة هى أكثر تلك العمليات الثلاث أهمية وحتمية لأنها ظاهرة انسانية عامة أولا، ولأنها تحدث - كقاعدة وبصرف النظر عن الاستثناءات القليلة النادرة - دون تدخل الارادة البشرية . فالانسان لا يملك دفع الموت، وهو بالطبع نادرا ما يقبل عليه طواعية . ومن هنا حرص أغلب الكتابات الأساسية فى علم السكان على تقديم الكلام عن موضوع الوفيات . والقاعدة البارزة الأخرى التى نخرج بها من دراستنا للوقائع الحيوية فى أى مجتمع هى أن عدد حالات الوفيات التى تقع فى أى مجتمع - فى الظروف العادية - أقل عددا من حالات المواليد الذين يخرجون الى الوجود .

ولذلك نجد القاعدة السكانية العامة على امتداد التجربة الانسانية أننا اذا طرحنا عدد الوفيات من عدد المواليد فى أى جماعة تبقى لنا رقم يمثل الزيادة الطبيعية لسكان تلك الجماعة . وموضوع الزيادة الطبيعية هذا هو واحد من أبرز وأهم موضوعات علم السكان، وأكثرها طرافة على الاطلاق .

الا أن أفراد شعب من الشعوب لا يعيشون فى حالة ثبات واستقرار مكانى (أو جغرافى) كامل، فهم فى حالة حراك جغرافى مستمر، ينتقلون من مكان الى مكان لعوامل وظروف شتى تدفعهم الى تلك الهجرة . . . ولذلك لايمكن فى الحقيقة أن

نحدد الزيادة الطبيعية للسكان دون أن نأخذ في اعتبارنا الأرقام الدالة على حجم حركة الهجرة، داخلية كانت أو خارجية. ويتضح لنا ذلك مما يلي ببساطة، قد يكون الفارق (أو حاصل الطرح) بين أعداد المواليد والوفيات ضئيلاً نسبياً، ولكننا نجد مع ذلك حركة هجرة وافدة ضخمة الى المجتمع، بحيث نكون بصدد زيادة طبيعية كبيرة في حجم السكان. ولنتأمل الموقف المعاكس : قد يكون الفارق (أو حاصل الطرح) بين أعداد المواليد والوفيات ضخماً جداً، ولكننا نجد مع ذلك حركة هجرة نازحة ضخمة من المجتمع، حيث نكون في النهاية بصدد زيادة طبيعية طفيفة في حجم السكان. اذن ليكن واضحاً لنا كل الوضوح أن أعداد المواليد والوفيات لا تستطيع أن تحدد لنا وحدها حجم الزيادة الطبيعية في السكان، بل لابد أن نضيف موضوع الهجرة، ونرصد تحركاتها واتجاهاتها رصدًا دقيقاً.

الا أننا نجد بعض علماء السكان يؤكد مع ذلك أن معدلات المواليد هي العامل الحاسم في تحديد التغير الذي يطرأ على عدد السكان وتوزيعهم في مساحة ما. وان موضوع المواليد يجب لهذا السبب أن يحظى بأكبر اهتمام من جانب الباحثين في علم السكان. أولاً لأن زيادة معدلات المواليد أو انخفاضها مسألة اختيار انساني خاص، فالانسان قد يقبل على الانجاب، وقد يقل ميله اليه، والمجتمع قد يشجع أبناءه على التناسل، وقد يفرض من الاجراءات والقيود ما يقلل من معدلات هذا النمو. والاعتبار الثاني أن المواليد على خلاف الوفيات تخضع لظروف وعوامل ومتغيرات حضارية معقدة، يجب أن نكشف النقاب عنها، اذا ما أردنا الوصول الى مزيد من الفهم لحركة النمو السكاني في مجتمعات.

ونحن نعلم أن التحديد الاختياري للخصوبة (اي التحكم في عدد المواليد) اوسع انتشاراً في الحضارة الغربية المعاصرة منه في المجتمعات الأخرى. وان كانت كل بلاد العالم - حتى المتخلف منها - قد بدأت تنتشر فيها حركات تحديد الخصوبة اختياريًا بسبب خروج المرأة الى العمل، أو تغير وضعها في المجتمع، أو اعتبارات أخرى كثيرة. يضاف الى كل هذا أن كافة المجتمعات السكانية تنظم الخصوبة تنظيمًا اجتماعيًا الى حد ما ويلاحظ دنيس رونج - بحق - أن التقاليد والنظم

الحضارية تفرض - حتى في معظم المجتمعات المتأخرة - قيودا على امكان تحقيق الخصوبة الكامنة تحقيقا كاملا، وهذه تختلف عن الخصوبة الفعلية التي يقصد بها عدد المواليد الذين تم انجابهم فعلا (١).

#### الهجرة:

ينبها رونج في كتابة علم السكان الى حقيقة طريفة وهي أن الهجرة لاتلعب أى دور في تحديد حجم سكان العالم ككل (ص ١٢٥)، من المرجع المذكور). وهذا حق طالما أن سكان هذا الكوكب لا يهاجرون الى كواكب أخرى. ولكن دلالة الهجرة وأهميتها كعملية سكانية لا تؤثر الا في حجم سكان منطقة أصغر، قد تكون قارة بأكملها (كالهجرة النازحة من أوروبا، وهي نفسها كهجرة وافدة الى الأمريكتين وبعض بلاد العالم الأخرى)، وقد تكون منطقة أو اقليما، أو تكون دولة. هذا علاوة على تأثيرها القوى على انتشار وتوزيع سكان مجتمع معين في حالة الهجرة الداخلية.

وينبه رونج أيضا الى أن الهجرة تختلف تماما عن الخصوبة والوفاة فهي ليست حتمية مثل الوفاة. كما أنها ليست ضرورية لبقاء النوع البشرى مثل التناسل، وذلك لأنها لاتستند الى أساس بيولوجى . . فضلا عن ذلك فان الحوافز التي تدفع الناس الى الهجرة أقل تجانسا من نظرتهم تجاه الوفاة أو انجاب الأطفال (٢) ولهذا السبب الجوهري لايمكن أن تدرس الهجرة في جانبها الديموجرافى فقط . ذلك لأن الأسباب والآثار الديموجرافية للهجرة ليست سوى عامل واحد فقط من عوامل تجربة بشرية وعملية اجتماعية معقدة. ولذلك تتضمن الهجرة عدة موضوعات بعضها ديموجرافى، وبعضها الآخر ذو دلالة ديموجرافية محدودة مثل: تنوع الدوافع الفردية للهجرة، وتمثل المهاجرين للثقافات في أوطانهم والتفكك الاجتماعى والانحلال الفردى الذى يتعرضون له غالبا في المجتمعات الجديدة،

---

(١) دنيس رونج ، علم السكان ، مرجع سابق، ص ٧٠

(٢) رونج ، علم السكان، مرجع سابق، ص ١٢٥ .

والتجديدات التي يدخلونها على أساليب الحياة في المجتمعات التي يستقرون فيها<sup>(١)</sup> وسوف نتناول موضوع الهجرة بشيء من التفصيل في الباب الرابع من هذا الكتاب حيث نغطي الموضوع في جوانبه المتنوعة الديموجرافية والاجتماعية على حد سواء.

\* \* \*

(١) المرجع السابق، ص ١٢٦.

## مصادر البيانات السكانية

إذا كانت تلك هى العمليات الحيوية الأساسية التى تتدخل فى تحديد حجم التغير السكاني واتجاهاته، فعلى الديموجرافى أن يجمع عنها أوفى قدر من البيانات الدقيقة، لأنه بدون هذه البيانات لا تقوم لهذا الميدان قائمة على الاطلاق.

والبيانات السكانية أنواع : بعضها يحصل عليه المشتغل بعلم السكان من السجلات الحكومية بأنواعها المختلفة، والتى تسن الدول القوانين المختلفة لالزام الناس بتسجيل وقائعهم الحيوية الأساسية فيها. وهناك بيانات أخرى يحصل عليها الديموجرافى من التعدادات التى تجربها أغلب حكومات العالم بصفة دورية للوقوف على المعلومات الأساسية عن أبناء الدولة ورسم سياستها وخططها على أساسها. وهناك أخيراً طائفة ثالثة من البيانات الديموجرافية التى لا يجد عالم السكان مفراً من البحث عنها والحصول عليها بنفسه لخدمة أغراض بحثه والقاء الضوء على الجوانب والموضوعات التى لا يغطيها النوعان السابقان من البيانات.

وسوف نتناول فيما يلى كل نوع من هذه المصادر بكلمة سريعة فى الجزء الباقى من هذا الفصل.

### ١ - تسجيل الوقائع الحيوية :

ويقوم هذا النوع من البيانات السكانية على الاحتفاظ بسجلات منتظمة ومفصلة للمواليد والوفيات بين السكان أو مجموعات السكان موضوع البحث والتحليل. ولذلك يقال ان البيانات السكانية الأساسية لا يتم الحصول عليها عن طريق التعداد، بل عن طريق التسجيل. والجدير بالملاحظة أن هذا الأسلوب هو أنسب أسلوب ممكن لتسجيل تلك الوقائع وقت حدوثها، ويكاد يكون من المستحيل الامام بها عن غير هذا الطريق.

وتبرر هذه الأهمية حرص كل دولة على أن تخلق نظاماً دقيقاً لتسجيل المواليد والوفيات وغيرها من الوقائع الحيوية الهامة، بحيث تحصل على سجلات تفصيلية لها. فالتسجيل عادة اجبارى فى الغالبية العظمى من دول العالم.

والملاحظ الى جانب ذلك أن عملة التسجيل بطبيعتها أصغر حجما وأبسط من عملية التعداد. ذلك أن العمل الإداري والمكتبي التي يؤديها مستمر على مدار العام، (وليس مركزا في ليلة أو أيام معينة كالتعداد) وهو من كثرة تكراره يتحول الى روتين بسيط لا يرتبط بأى تعقيدات أو مشكلات.

الا أن هذا الأسلوب في العمل تعيبه في نفس الوقت - بحكم طبيعته تلك - بعض أوجه القصور. اذ نجد على سبيل المثال أن تصنيف بعض السمات الشخصية لأصحاب تلك الوقائع التي نحتفظ بسجلات لها يمثل مشكلة ليست بالهينة. فهناك أنواع عدة من الوقائع، ينبغي أن نعرف كلا منها تعريفا دقيقا، معنى هذا أنه ليس لدينا «رقم كلى» أو «مجموع» لتلك الوقائع يكون بمثابة اطار نقيس عليه بقية الأرقام، أو نحكم من خلاله على بقية الأرقام. ونوضح تلك الملاحظة فنقول أن حالات الميلاد وقائع حيوية، وكذلك حالات الوفيات، وحالات الزواج، والطلاق... الخ، ولا يوجد رقم كلى أو مجموع يمكن أن يجمع تلك الوقائع الحيوية جميعا تحت بند واحد. فأنا مثلا لا أستطيع أن أحدد هل عدد حالات الزواج التي عقدت في هذا المجتمع على امتداد العام المنصرم رقم كبير أم قليل في ضوء ارقام الوقائع الحيوية الأخرى. بل اننى لابد أن أقارن الرقم نفسه بأرقام حالات الزواج السابقة في هذا المجتمع في أعوام سابقة، ثم ألقى الضوء على علاقة هذه الواقعة الحيوية بالظروف الاجتماعية والاقتصادية الأخرى. أى اننى فى التحليل يجب الا أنظر الى أرقام بقية الوقائع الحيوية التي تمت أو تتم فى نفس المجتمع.

يضاف الى تلك المشكلة بعدد عام آخر يتصل بتحديد المفاهيم المستخدمة تحديدا دقيقا. وحتى لو حدث وتوفرت أمام الموظف المختص تعريفات محددة - وفقا للنظم المعمول بها فى كل دولة - فإن مسألة اتباعها والالتزام بها التزاما دقيقا أمر على جانب كبير من الصعوبة. ولعل هناك ما يبرر التماس العذر للموظف القائم بعملية التسجيل. فهو فى العادة يحصل على جزء كبير من البيانات التي يدونها من أشخاص قد لا تربطهم بالوقائع الحيوية التي يدونها صلة مباشرة. ولعل أبسط

وأوضح مثال على ذلك وقائع الموت، فالمبلغ عنها في جميع الأحوال ليس هو الشخص الذى جرت له الواقعة. وكثيرا ما يتم التبليغ عن واقعة الميلاد بواسطة بعض الأقارب البعيدين أو بعض الجيران. . . الخ وهؤلاء المبلغون قد لا تتوفر لديهم في كثير من الأحوال المعلومات التفصيلية المطلوبة بكاملها. ثم هناك أمر آخر أكثر أهمية: انه قد لايتوفر لديهم الدافع لاعطاء معلومات وبيانات دقيقة عن الوقائع التى يبلغون بحدوثها.

وقد حرصت أكثر التشريعات الاجتماعية (والصحية بشكل خاص) على تحديد مفاهيم الوقائع الحيوية المختلفة. ولكننا نجد مع ذلك أن فكرة «الولادة الحية» من الأمور التى تواجه صعوبات في عملية التسجيل الاحصائى. فالحياة من الأمور غير المؤكدة اطلاقا في اللحظات الأولى، وربما الأيام الأولى، بعد ميلاد الطفل. وهناك عدد كبير جدا من الحالات التى لا يمكن أن تصنف تصنيفا متسقا دون استخدام معايير وقواعد عديدة مفصلة. ليس هذا فحسب، بل ان الوليد الذى يموت عقب ولادته مباشرة او بعدها بقليل، قد يختلط مع الوليد الميت، ولا يستطيع أن يقرر هذا الأمر بوضوح الا وجود طبيب متخصص لحظة الميلاد. وهو أمر كما نعرف ليس قاعدة في أغلب بلاد العالم، خاصة النامية.

وحتى لو افترضنا وضوح أمور الحياة والموت أمام الأشخاص الذين يشهدون تلك الوقائع، فاننا لانستطيع بحال من الأحوال أن نتصور أنهم معصومون من الوقوع في الخطأ بحسن نية. هذا كله علاوة على الأخطاء التى يمكن أن تترتب على الإهمال في عملية التبليغ. ويؤثر هذا الإهمال على اكتمال البيانات المطلوبة، أو دقتها، أو سرعتها. . . الخ. ويكفى أن نلاحظ في هذا الصدد أن هناك كثيرا من المجتمعات التى ترجىء عملية التبليغ بضعة أشهر او الى أن يكتمل انقضاء عام من عمر الطفل. في هذه الحالة يعد التبليغ المتأخر تشويها لاحصائيات العاميين: العام الذى وقعت فيه الولادة ولم يبلغ عنها، والعام الذى لم تقع فيه الولادة وسجلت فيه. لكل هذا لايجوز للباحث أن يقبل أى أرقام أو معدلات خاصة بالمواليد أو بوفيات الرضع دون أن تدرس بعمق ويلاحظ ملاحظة شاملة

متأنية نظام التسجيل المعمول به في البلد، وعادات الناس وميولهم ازاء هذا التسجيل ونظرتهم اليه ومفهومهم عنه . . الخ . هذا من جانب ويلاحظ من جانب آخر موقف الموظفين القائمين على التسجيل ومدى جديتهم في تطبيقه والالتزام بالقواعد والنظم المبلغة اليهم للعمل بمقتضاها . . . الى آخر ذلك من أمور .

وقد اتضح من مناقشتنا السابقة أن تسجيل الوقائع الحيوية يتضمن عدا واقعتي الموت والميلاد الوقائع التالية: الهجرة، والزواج، والطلاق والتبني (وهو نظام يرفضه التنظيم الاسلامي الصحيح للمجتمع، ولكنه نظام معمول به في بعض المجتمعات)، ووفيات الأجنة . . الخ .

يضاف الى هذا أن بعض هذه الوقائع او جميعها يقترن تسجيله بتسجيل بعض معلومات عن السمات الشخصية للأفراد المتصلين بها: كالعمر والنوع، والحالة الزوجية، والديانة، وما الى ذلك من معلومات وتمثل تلك السمات الشخصية الاساس الذي تعتمد عليه عملية التصنيف الاحصائي لتلك البيانات فيما بعد .

## ٢ - المسموح كمصدر للبيانات

المسموح أداة من أدوات جمع البيانات التي يجد دارس علم السكان نفسه مضطرا الى اللجوء اليها للحصول على بعض البيانات التي لا يستطيع الحصول عليها من مصادر البيانات الأخرى، والتي يمكن أن تخدم أغراض بحثه وتلقى الضوء على بعض الجوانب والموضوعات التي ليست متضمنة في المصادر الأخرى .

والحقيقة أن المسح يمكن أن يزودنا بنفس نوعيات البيانات الاحصائية التي تهيؤها لنا سجلات الوقائع الحيوية وعمليات التعداد . ومعنى ذلك أنه لو كانت عملية تسجيل تلك الوقائع تتم بدقة كبيرة وبوعى ناضج وكانت عملية التعداد مستوفية كل الشروط والمواصفات العلمية، فإن عالم السكان لا يشعر الحاجة كثيرا الى اجراء مسوح بنفسه للحصول على بيانات خاصة . ولكن يجب أن نوضح للانصاف أنه مهما بلغ المجتمع من تقدم في نظمه الاحصائية والادارية فإن عالم السكان لا يمكن أن يستغنى كلية عن اجراء مثل هذه المسموح، لأن جوانب البحوث والمشكلات التي يكشف عنها نمو العلم تلقى على الباحث يوميا مهام



متجددة تدفعه حتما الى التفكير فى اجراء هذا المسح أو ذاك للحصول على مزيد من البيانات الخاصة.

والمسح قد يشبه عملية التعداد بصفة عامة، ولكن بصورة مصغرة بطبيعة الحال. فهو يقوم على سؤال أفراد العينة أو أفراد مجتمع البحث عن بعض الوقائع والظروف والسمات الخاصة بهم. وبهذه الوسيلة يمكن للمسح أن يجمع معلومات عن أى موضوع سكاني، حتى بما فى ذلك تسجيل الوقائع الحيوية. ففى هذه الحالة يسأل الباحث أفراد العينة أو مجتمع البحث عن الوقائع التى حدثت لهم خلال الشهر الماضى أو العام الماضى فى أسرهم أو فى قريتهم أو الحى الذى يعيشون فيه. وقد يخدم المسح غرضا غير الحصول على بيانات معينة، كأن يجرب نظاما جديدا لتسجيل الوقائع الحيوية ليعرف مزاياه وعيوبه. وربما يستهدف المسح تسجيل تلك الوقائع وقت حدوثها بالفعل أى لا يقتصر على سؤال الأفراد عن الوقائع التى حدثت لهم فى فترة ماضية، وإنما يتفرغ الباحث لرصدها على الطبيعة وتسجيلها وقت حدوثها.

وهكذا يمكن أن يكون المسح عبارة عن عملية تسجيل عادية، ولكنها تخدم أغراضا خاصة محددة، قد لاتؤديها النظم الحالية بكفاءة أو تعجز عن اداؤها تماما. كما انه قد يستهدف فى بعض الأحيان مجرد الوقوف على الأحوال السكانية لأحد المجتمعات المنعزلة أو التى حالت ظروف معينة دون القيام بعملية التسجيل الطبيعى الروتينية فيها.

ولا يميز المسح أنه يخدم أغراضا محددة فحسب، ولا أنه أصغر نطاقا وأقل حجما من التعداد، ولكن مما يميزه علاوة على ذلك أنه يقتصر فى أغلب الأحوال على شريحة صغيرة من السكان نسميها «عينة». وقد حقق الاحصاء تقدما علميا فريدا اليوم فى طرق اختيار العينات وضمان حسن تمثيلها للمجتمع الكبير. وفتحت بذلك آفاقا جديدة أمام اجراء العديد من المسوح المفيدة والتى يمكن أن تخدم علم السكان خدمة أكيدة. ولاشك أن اسلوب العينة يعمل على تقليل عدد أفراد مجتمع البحث مما يؤدى بدوره الى نتيجتين هامتين: الأولى خفض تكاليف البحوث

وامكانية اجراء البحث فى فترة زمنية وجيزة، والثانية امكانية تحقيق عملية الجمع بأكبر قدر ممكن من الدقة.

وكما أن العينة يمكن أن تكون مفيدة بهذا الشكل الكبير لتقدم البحث العلمى، فإنه يرتبط بها مع ذلك بعض المشكلات وأوجه القصور التى يجب أن نلتفت إليها. ذلك أن أى خطأ فى تمثيل العينة لمجتمع البحث الكبير يمكن أن يجعل الأرقام والبيانات منحرفة عن الواقع وغير دالة عليه دلالة دقيقة. وإن كانت هناك كثير من التقنيات الحديثة التى تضمن - لمن يريد - صدق تمثيل العينة لمجتمع البحث. وإن كان يجب أن يكون معلوما بهذه المناسبة أن طريقتى التعداد والتسجيل يمكن أن تقع فى هذا النوع من الخطأ، لأنها لا يمكن أن يكونا كاملين مائة بالمائة، ولا يمكن أن تكون بياناتهما معبرة عن الواقع تعبيرا صادقا مائة بالمائة. ولذلك لانغالى كثيرا إذا قلنا إن أسلوب المسح بالعينة لو أحسن تطبيقه وروعيت عند اختياره كل القواعد والاشتراطات العلمية يمكن أن يقدم لنا بيانات دقيقة وسريعة ومضمونة بنفقات قليلة نسبيا. بل إنها قد تفوق فى دقتها بيانات التعداد وبيانات الوقائع الحيوية.

### ٣ - بيانات التعداد:

التعداد هو المصدر الأساسى للمعلومات عن حالة السكان. فى حين أن الاحصاءات الحيوية تمثل المصدر الأساسى - كما رأينا - لدراسة حركة السكان أو تغير السكان، أو ما يسمى أحيانا حركة السكان العامة. ويشير المعجم الديموجرافى الدولى إلى أن احصاءات حركة السكان قد تقتصر أحيانا على الحركة الطبيعية فقط بدون احتساب الحركة بين السكان موضوع الدراسة وأى سكان آخرين. ولكن المنطقى والقائم فعلا أن احصاءات الهجرة تمثل جزءا لا يتجزأ من احصاءات حركة أو تغير السكان<sup>(١)</sup>.

---

(١) أنظر المعجم الديموجرافى المتعدد اللغات، مرجع سابق، ص ٣٥ وما بعدها، وعن هذا

المصدر نقلنا أبرز تعريفات المصطلحات الأساسية.

وتجرى تعدادات السكان للحصول على البيانات المطلوبة عن حالة السكان في وقت معين. والشائع أن تجري الدولة تعدادا لكل سكانها في وقت واحد، بحيث تغطي عملية التعداد كل من على أراضي الدولة، بل أولئك الذين ترعاهم سفاراتها في الخارج أيضا. وفي هذه الحالة يسمى هذا التعداد «التعداد العام». إلا أن هناك أنواعا أخرى من التعداد هي «التعداد الجزئي» حين يعد قطاع من السكان فقط كالأفراد المنحدرين من أصل أوربي مثلا. ومع ذلك يمكن القول بشكل عام بأن مصطلح تعداد مازال يعنى أن هناك شمولاً تاماً في احصاء السكان المدروسين، أى أنه - على حد تعبير المعجم الديموجرافى - يتم عد كل فرد من السكان.

ونظراً لأهمية التعدادات في حياة الأمم كركيزة لكل تخطيط ولكل سياسة وجدنا الغالبية العظمى من دول العالم تسن التشريعات التى تلزم المواطنين باعطاء البيانات المطلوبة لموظفى التعداد<sup>(١)</sup>. وهكذا نجد عادة أن التعدادات اجبارية في كل بلاد العالم. وهى من هذه الناحية تختلف عن البحوث أو الدراسات الاختيارية التى يجريها باحث أو عدة باحثين.

وتجمع بيانات التعداد على استمارات خاصة تعد لهذا الغرض لتخدم الجوانب المختلفة التى يراد جمع بيانات عنها. وتطلق على تلك الاستمارات أسماء مختلفة، ولكن أكثر تلك الأسماء شيوعاً هو لفظ «استمارة» أو «استمارة التعداد». ومعظم النماذج المستخدمة عبارة عن صحف استبيان، أى يقوم المستجيبون بملئها بأنفسهم، ولكن القاعدة في البلاد النامية أن يتولى ملؤها العدادون من واقع البيانات التى يدلى بها المستجيبون. وفي أحيان أخرى تحصل الهيئات القائمة على اجراء التعداد (التي يطلق عليها اسم مصلحة الاحصاء، أو مصلحة الاحصاءات العامة) على بعض البيانات أو الافادات أو التفاصيل عن طريق

(١) الأشخاص الذين يجمعون بيانات التعداد يسمون الباحثين أو المشتغلين بالميدان أو العدادين، ويلاحظ

المعجم الديموجرافى أن المصطلح الأخير «العدادون» يقتصر استخدامه غالباً على الذين يجمعون بيانات التعداد.

ويعمل العدادون عادة تحت اشراف المفتشين أو المشرفين. أنظر المرجع السابق، ص ٣٧.

استخلاصها من بعض الوثائق التي ليست مستخدمة أساسا لأغراض إحصائية .  
وقد تكون استمارة التعداد استمارة فرد، وهي التي تحتوى على معلومات تخص فردا واحدا، أو قد تكون استمارة أسرة، أى تحتوى على معلومات تخص كل عضو من الأسرة أى قد تكون استمارة جماعية . وهي التي يدون فيها العداد البيانات تباعا لجميع الأشخاص الذين يعدهم . كما قد توجد استمارات خاصة لسكان المؤسسات تسمى استمارات المؤسسات .

من العرض السابق يتضح أن هناك فروقا بارزة بين بيانات السجلات وبيانات التعداد، أنه من الخطأ الخلط بينهما أو استخدام أحدهما بدلا من الآخر . فالتعداد ينطوى على جمع بيانات عن طريق السؤال المباشر، أما التسجيل فلا . والتسجيل يستمر بلا انقطاع على مدار العام وكل الأعوام، أما التعداد فيتم جمع بياناته في وقت معين فقط، وإن كان دوريا كما أشرنا .

وبوسعنا القول بأن التعداد العام لأى دولة هو أفضل مصدر للحصول على معلومات عن اجمالى عدد سكانها في وقت اجراء التعداد . ولو أن هذا الرقم الاجمالى يكون في العادة عبارة عن مسألة تقديرية، لأن هناك بعض فئات الناس الذين لايمكن أن تغطيهم عمليات الاحصاء فلا يدخلون في بيانات التعداد . فهناك أفراد يهربون من عمليات التسجيل ومقابلة العدادين . كما أن الظروف تقتضى اتخاذ اجراءات وأساليب خاصة لاحصاء الأطفال الرضع، وهناك خلاف على تضمين الأشخاص المسافرين وقت اجراء التعداد: هل يدخلون في محال اقامتهم المعتادة، أو في أماكن تواجدهم وقت اجراء التعداد . ففي الحالة الأولى هناك احتمال أن يتم اسقاطهم، وهناك احتمال في الحالة الثانية أن يتم حصرهم مرتين وهكذا، كذلك الأفراد الذين لاتعرف لهم عناوين دائمة أو ليس لهم سكن ثابت (وهؤلاء كثرة في أغلب البلاد النامية) . وهناك كذلك مشكلات حول حصر نزلاء المستشفيات أو السجون أو غيرها من المؤسسات . وماذا أيضا عن سكان المناطق النائية أو المنعزلة التي يتطلب الوصول اليها نفقات أو امكانيات هائلة . . كل تلك فئات تجعل من المستحيل القطع بأن بيانات أى تعداد يمكن أن تكون

كاملة أو دقيقة مائة بالمائة (١).

من أجل ذلك تحرص أغلب مصالح الاحصاء في بلاد العالم المختلفة على اجراء بعض الاختبارات اللاحقة للعد أو كفالة بعض ضوابط الجودة. فقد نجد علاوة على هذا بعد ورود استمارات التعداد وتجهيزها للعمليات الحسائية المختلفة أن نكتشف أن هناك بعض الأسئلة التي لم يجب عنها أو بعض الاجابات غير الكافية أو غير الملائمة. وحصول ذلك كله عدم دقة في بيانات التعداد. ويمكن ملاحظة أثرها في زيادة تكرار الفئة المعروفة بغير ميين أو غير واضح.

هذا وتتضمن استمارة التعداد في العادة بعض البيانات أو المعلومات الشخصية الخاصة بالفرد، وهي التي يمكن أن نسميها «سمات» السكان المدروسين. وتستخدم كل سمة من تلك السمات لتصنيف الشخص في فئة معينة في الجدول الاحصائي. ويشترط في تلك السمات (أو المعلومات الشخصية) أن تكون سهلة الاجابة لكل شخص بنفس الاسلوب، أى أن يجاب عنها بنفس الطريقة (وليس طبعاً بنفس الاجابة) والبيانات التي يمكن أن تجتمع فيها كل تلك الشروط والمواصفات بيانات قليلة منها: العمر، والنوع (ذكر أو أنثى)، والحالة الزوجية، وموارد الانفاق (أو الدخل)، ومحل الميلاد، وربما عدد الأطفال الذين سبق انجابهم، وغير ذلك.

واذا دققنا النظر في كل سمة من تلك السمات الشخصية وجدناها تثير عديداً من المشكلات عند التسجيل أو عند التبويب. والسبب في ذلك أن بعض الناس لا يندرجون بشكل واضح تحت فئة محددة من فئات التصنيف. ولعل موضوع النشاط الاقتصادي يعد أكثر تلك السمات اثارة للمشكلات على الإطلاق. ربما يعادله في هذا موضوع الدخل ومصادره وكميته. الخ. بل اننا نجد أنه حتى

---

(١) يلخص المعجم الديموجرافي الدولي العوامل التي تتوقف عليها دقة احصاءات السكان فيما يلي:

تمام عملية العد التي تنبنى عليها هذه الاحصاءات، وقد يكون عدم الدقة بسبب الاغفال أو الحذف أو التسجيل الناقص أو الحصر الناقص، وكذلك العدد المتكرر أو التسجيل الزائد وأيضاً خطأ التبليغ عن خاصية أو بيان. كما قد يكون عدم الدقة مرجعه أخطاء التبويب، أنظر ص ص ٤٠ - ٤١.

موضوع العمر الذى يبدو بسيطا كل البساطة، ويطرح كثيرا من المشكلات، ويكون فى كثير من الحالات مصدرا لأخطاء فى بيانات التعداد. اذ المعروف ان بيان العمر يجب أن يدل على عدد السنوات الكاملة التى انقضت من عمر الشخص منذ الولادة. ولكننا نجد فى كل مكان، مهما كان مستوى تقدمه، كثيرا من الأشخاص الذين يعطون بيانات غير دقيقة او حتى خاطئة عن العمر. ويرجع ذلك الى عدة عوامل متنوعة. وتجنبنا لذلك تلجأ بعض البلاد القليلة الى اتخاذ الطريق الصعب بأن تسأل عن «تاريخ الميلاد» بدلا من أن تسأل الشخص عن عمره. ومن البديهي أن موظفى التعداد يقومون بعد ذلك بحساب عمر كل شخص. وهو بالتأكيد وسيلة فعالة لتقليل الخطأ او عدم الاتساق فى البيانات. ولكننا نجد مع ذلك أن السؤال المباشر عن العمر يمكن أن يتم بطرق مختلفة. فهناك بعض الدول التى يسأل فيها الشخص عن آخر عيد ميلاد احتفل به (ومن الواضح أن هذه الطريقة لاقيمة لها فى البلاد التى ليست منتشرة فيها عادة الاحتفال بأعياد الميلاد)، كما قد يسأل الشخص عن أقرب عيد ميلاد. ولا شك أن كل اسلوب من هذين الأسلوبين المباشرين يؤدى بنا الى اجابات مختلفة بعض الشيء. ثم هناك علاوة على هذا كله بعض العادات والمعتقدات الشعبية الشائعة فى بعض المجتمعات والتى تؤثر على دقة البيانات المعطاة عن العمر، كاخفاء عمر المرأة، أو تغيير البيانات الخاصة باعمار الأطفال، أو اتباع أسلوب مختلف فى حساب العمر، بحيث يحسب العمر بفترات غير متساوية أو غير منتظمة (أى تختلف عن طريقة الشهور والسنين التى نحسب بها)، فيترتب على ذلك أن تكون الفئات العمرية الواردة فى الجدول التالى رقم (٣) غير متساوية الطول.

تلك مجرد عينة سريعة غير مكتملة للصعوبات التى يمكن أن يثيرها احصاء سمة واحدة من السمات الشخصية التى تتضمنها استمارة التعداد والتى تبدو بسيطة كل البساطة. ولن يتسع المقام بالطبع لحصر كل المناقشات ومشكلاتها، فهذا يخرج بهذا الكتاب عن رسالته المحددة. ويكفى أن نقول ان السمات الأخرى الأكثر تعقيدا تثير بدورها مشكلات أكبر حجما وأكثر تعقيدا.

الجدول رقم (٣)  
سكان موريشيوس، ١٩٤٤  
على حسب العمر والنوع والحالة الزوجية (★)

| العمر      | المجموع | غير المتزوجين | متزوجون | عزاب | مطلقون |
|------------|---------|---------------|---------|------|--------|
|            |         |               |         |      |        |
| ٤-٠        | ٢٥٤٠٥   | ٢٥٤٠٥         | —       | —    | —      |
| ٩-٥        | ٢٥٠٢٣   | ٢٥٠٢٣         | —       | —    | —      |
| ١٤-١٠      | ٢٣٣٣٦   | ٢٣٣٠٥         | ٢٨      | ١    | ٢      |
| ١٩-١٥      | ٣٣٧٢٢   | ٢٢٨٥٤         | ٨٣٩     | ١٢   | ١٧     |
| ٢٤-٢٠      | ٢٠٤٢٠   | ١٣٤٧٤         | ٦٧٥٦    | ١٢٠  | ٧٠     |
| ٢٩-٢٥      | ١٦٣٩٦   | ٥٨٣١          | ١٠٢٤٩   | ٢١٩  | ٩٧     |
| ٣٤-٣٠      | ١٥٤١٦   | ٣٢٤٢          | ١١٧٦٨   | ٣٠١  | ١٠٥    |
| ٣٩-٣٥      | ١٣٥٦٧   | ٢١٧٤          | ١٠٨٣٥   | ٤٢٨  | ١١٢    |
| ٤٤-٤٠      | ١٢٣٤٠   | ١٦١٠          | ٩٩٦٨    | ٦٧٤  | ٨٨     |
| ٤٩-٤٥      | ٩٨٨٢    | ١٢١٩          | ٧٨٨٤    | ٧٠١  | ٧٨     |
| ٥٤-٥٠      | ٨٨٨٥    | ١٠٧١          | ٦٨٧٥    | ٨٦٩  | ٧٠     |
| ٥٩-٥٥      | ٥٨٠٥    | ٦٩٣           | ٤٣١٠    | ٧٤٢  | ٥٨     |
| ٦٤-٦٠      | ٤٣٥٢    | ٤٨٩           | ٣٠٦٦    | ٧٦٨  | ٢٩     |
| ٦٥ فأكثر   | ٥٠٢٨    | ٥٩٠           | ٣١٠٨    | ١٢٩٥ | ٣٥     |
| غير مبين   | ٧٥١     | ٤٥٥           | ٢٦٩     | ٢٢   | ٥      |
| كل الأعمار | ٢١٠٣٢٦  | ١٢٧٤٣٥        | ٧٥٩٧٣   | ٦١٥٢ | ٧٦٦    |

(★) المصدر: باركلي، المرجع السابق، ص ٨ نقلا عن مصلحة الإحصاء العام في موريشيوس، التقرير النهائي عن نتائج التعداد الذي أجرى في مستعمرة موريشيوس (سابقا) وتوابعها في الحادى عشر من شهر يونيو ١٩٤٤، موريشيوس، ١٩٤٥، الجدول رقم ٩، ٨.

تابع الجدول رقم (٣)

| العمر      | المجموع | غير المتزوجين (١) | متزوجون (٢) | عزاب  | مطلقون |
|------------|---------|-------------------|-------------|-------|--------|
|            |         |                   |             |       |        |
|            |         |                   |             |       |        |
| ٤-٠        | ٢٥٤٠٥   | ٢٥٤٠٥             | —           | —     | —      |
| ٩-٥        | ٢٤٦٥٧   | ٢٤٦٥٧             | —           | —     | —      |
| ١٤-١٠      | ٢٢٨٠٥   | ٢٢٢٢٢             | ٥٧٤         | ٤     | ٥      |
| ١٩-١٥      | ٢٣٩٩٨   | ١٥٠٥٤             | ٨٦١٦        | ١٨٧   | ١٤١    |
| ٢٤-٢٠      | ٢٠٦٨٧   | ٦٥٣٩              | ١٣٥٣٩       | ٤٣٤   | ١٧٥    |
| ٢٩-٢٥      | ١٦٦٦٠   | ٣٤٢٩              | ١٢٣٩٣       | ٦٩٣   | ٦٢٦    |
| ٣٤-٣٠      | ١٤٣٠٠   | ٢٢٩٦              | ١٠٨٨٥       | ٩٩٣   | ٦٢٦    |
| ٣٩-٣٥      | ١٢١٦٠   | ١٧٥٤              | ٨٩٩٦        | ١٢٩٠  | ١٢٠    |
| ٤٤-٤٠      | ١١٠٢٢   | ١٤٧٩              | ٧٤٨٦        | ١٩٦٢  | ٩٥     |
| ٤٩-٤٥      | ٨٧٣١    | ١٠٩٥              | ٥٣٧٨        | ٢١٨٣  | ٧٥     |
| ٥٤-٥٠      | ٨٥٣٠    | ٩٩٤               | ٤٢٦٨        | ٣٢٠٦  | ٦٢     |
| ٥٩-٥٥      | ٥٨٥٥    | ٧٧٥               | ٢٤٧٥        | ٢٥٦٣  | ٤٢     |
| ٦٤-٦٠      | ٥٣٩٧    | ٦٧١               | ١٦٨٩        | ٣٠٠٢  | ٣٥     |
| ٦٥ فأكثر   | ٧٧٩٣    | ١١٢٠              | ١٥٠٣        | ٥١٣٨  | ٣٢     |
| غير مبين   | ٨٥٩     | ٤٧١               | ٢٨٦         | ٩١    | ١١     |
| كل الأعمار | ٢٠٨٨٥٩  | ١٠٧٩٦١            | ٧٨٠٨٨       | ٢١٧٤٦ | ١٠٦٤   |

(١) تتضمن فئة «غير المتزوجين» كل الأشخاص الذين لم ترد الإشارة إليهم في أى نوع من أنواع الحالات

الزواجية الأخرى. ولذلك قد تتضمن هذه الفئة بعض الأشخاص الذين لم تعرف حالتهم الزواجية بالتحديد.

(٢) تضم فئة «المتزوجين» كل الأشخاص المتزوجين زواجا قانونيا (مدنيا)، والأشخاص المتزوجين وفقا للطقوس

الدينية هناك فقط، وكذلك الرجال والنساء الذين يعيشون معيشة الأزواج دون رابطة زوجية قانونية (مدنية) أو

دينية تجمع بينهم.



ولكن ما هو مدى التفصيلات التي يجب أن يتضمنها جدول التعداد؟ لقد طرح باركلي هذا السؤال في ثنايا مناقشته لعملية تبويب بيانات التعداد. فنجد بالنسبة للجدول رقم (٣) أننا يمكن أن نجرى التصنيف لكل سنة عمرية. أى تكون الفئة العمرية سنة واحدة وليس خمس سنوات. ولكن لاشك أن صورة الجدول ستكون أكثر تعقيدا مما نرى ولن نخدم سوى أغراض محدودة. ولذلك تعد الفئات العمرية الخمسية حلا وسطا مناسباً يخدم غايتي الشمول والتفصيل. ولذلك يعد الجدول رقم (٣) الخاص بتصنيف السكان على حسب العمر والنوع والحالة الزوجية صورة قياسية لجدول التعداد أو أكثر الأساليب شيوعاً في تقديم البيانات العامة. وإن كان من الممكن، بل من المفيد في بعض الأحيان توسيع أو تضيق تلك الفئات العمرية لخدمة أغراض علمية معينة. وعلى الباحث أن يحدد ذلك في ضوء احتياجاته وظروف بحثه.

#### ٤ - البيانات الدولية:

عرفنا أن البيانات السكانية الخاصة بكل دولة، سواء تلك المستخلصة من عمليات تسجيل الوقائع الحيوية أو من التعداد، تصدر عن مصلحة الإحصاء في تلك الدولة في صورة تجميعات أو نشرات دورية. وقد أصبحت تلك المطبوعات الإحصائية السكانية للدول المختلفة أداة مفيدة لعقد المقارنات الدولية الواسعة النطاق. وإن كان يعيب مثل هذه المقارنات أو يعترض طريقها اختلاف نظم التسجيل والتبويب من دولة لأخرى، وربما اختلاف المفاهيم المستخدمة في تحديد الفئات والأنواع الخ... هذا علاوة على انعدام عمليات التسجيل والتعداد في كثير من دول العالم حتى عهد قريب، ربما بسبب الاستعمار أو التخلف أو اعتبارات أخرى.

أما اليوم فتبذل الأمم المتحدة ممثلة في وكالاتها المتخصصة وأجهزتها المهتمة بشئون السكان والإحصاء جهوداً ضخمة مشكورة لتوحيد عمليات التسجيل والتعداد والتقريب بين المفاهيم المستخدمة بحيث يعود ذلك كله بنتيجة مفيدة هامة هي تيسير عمليات المقارنة الدولية.

ولعل أبرز الجهود الدولية في هذا السبيل، كما أنه أهم مصادر الاحصاءات السكانية الدولية على الاطلاق: «الكتاب الديموجرافي الدولي» الذي يصدره المكتب الاحصائي التابع لقسم الشؤون الاجتماعية والاقتصادية للأمم المتحدة في نيويورك سنويا. ويصدر هذا المرجع الهام بصفة دورية منتظمة منذ عام ١٩٤٨ ويهتم كل عدد من أعداد الكتاب السنوى بالتركيز على موضوع معين من موضوعات الدراسة السكانية: كبيانات التعداد، أو احصائيات الوفيات، أو بيانات عن السكان ذوى النشاط الاقتصادى. الخ. هذا فضلا عن الجداول العامة التى يحويها كل عدد من أعداد الكتاب، ومن بينها ملخص حالة سكان دول العالم (وقد أوردناه فى هذا الكتاب نقلا عن الطبعة الخاصة بعام ١٩٧٥) وملخص احصائيات الوقائع الحيوية فى دول العالم وبيانات عن الوفيات، وأسباب الوفيات... الخ.

وعلاوة على هذا تصدر الأمم المتحدة سلسلة خاصة بعنوان «دراسات سكانية» تتناول موضوعات ومشكلات معينة، وهى تصدر منذ عام ١٩٤٨ أيضا. وليس معنى ذلك أن الفترات السابقة على ذلك كانت خلوا من أى نشاط علمى دولى فى هذا الميدان، ولكننا أردنا تركيز النظر على تلك الأعمال الكبيرة الناضجة والمنظمة والتى يتيسر على الباحث الوصول إليها دون عناء<sup>(١)</sup>.

كما توجد علاوة على تلك النشرات الاحصائية السكانية الدولية. والدراسات السكانية الدولية بعض الببليوجرافيات الدولية التى تعرف القراء من الطلاب

---

(١) يمكن للقارئ أن يرجع بالنسبة للسنوات السابقة على ذلك الى النشرة التى كان يصدرها المعهد الدولى للاحصاء فى لاهاى:

(1) Institut International de Statistique, Aperçu de la Démographie 1929 - 1936 (The Hague, 1939)

والباحثين بأهم مانشر في هذا الميدان مبوياً على حسب الموضوعات وبأهم اللغات العالمية المعروفة (١).

وعلىنا أن نلفت نظر القارئ الى أن النشرات الدولية والقوائم العالمية قد كثرت وتنوعت بحيث يستحيل الاطلاع بها في هذا المكان أو عرضها بشكل متيسر. ولكننا أردنا مجرد ضرب بعض الأمثلة البارزة لأقرب المصادر الدولية للبيانات السكانية التي يمكن أن يستعين بها الدارس المبتدئ لعلم السكان:

ولكن ليكن واضحاً كل الوضوح أن أغلب تلك النشرات والكتب والمجموعات الاحصائية تقتصر على إيراد مجموعات معينة من الجداول، ربما كانت أقرب الى الطبيعة العامة أو الشاملة. وهي لذلك لا يصح أن تؤخذ أكثر من كونها وسيلة لتيسير المقارنات الدولية، ولا يمكن أن تعد مصدراً لجمع معلومات مفصلة متخصصة عن سكان دولة بعينها. وعلى الباحث الذي يريد أن يتعمق الأحوال السكانية لدولة ما، أن يرجع الى نظامها الاحصائي يدرسه ويعتمد على البيانات الاحصائية التي تصدرها تلك الدولة، ويقيمها في ضوء معرفته بنظامها الاحصائي وما يشوبه من أوجه نقص أو قصور.

\*\*\*

---

(١) تتضمن كثير من مطبوعات الأمم المتحدة التي سبقت الإشارة الى بعضها قوائم الكتب والدراسات المتصلة بالموضوع الذي تغطيه. وقد أعد أحد الباحثين بيلوجرافياً مختارة لأبرز الأعمال المنشورة في علم السكان نشرها في المصدر التالي:

H. T. Eldridge. The Materials of demography. A selected and Annotated Bibliography.

كما تصدر جامعة برنستون (مكتب بحوث السكان) نشرة بيلوجرافية ربع سنوية.



## **الباب الثاني**

### **دراسة الوفيات**

تمهيد

الفصل الرابع : جداول الحياة

الفصل الخامس : معدلات الوفيات

الفصل السادس : اتجاهات الوفيات

الفصل السابع : أسباب الوفاة



## تمهيد

أشرنا في أكثر من موضع في الأجزاء السابقة من هذا الكتاب الى أن العمليات الاحصائية السكانية تقوم في الجانب الأكبر منها على حساب المعدلات والنسب التقليدية. أى أن هذه العمليات الاحصائية السكانية ذات طبيعة احصائية في المقام الأول. ومن الطبيعى أن هذا الكلام يصدق كذلك على دراسة الوفيات التى نحن بصدد تناولها مفصلا فيما يلى. ومع ذلك فإن أغلب تلك المقاييس الاحصائية التقليدية لا تكون لها ثمة دلالة تذكر الا اذا صنفنا باعتبارها «منخفضة» أو «مرتفعة» على حسب معايير الزمان والمكان. ومن هنا أصبح من الواجب مقارنة نسب الوفيات فى ظل عدد من الظروف المتنوعة. لأن مثل هذه المقارنة هى السبيل الى الحكم على نسبة معينة بأنها مرتفعة أو منخفضة. وتمثل مثل هذه المقارنات جانبا تقليديا فى كل دراسة للوفيات.

والجدير بالذكر أن دراسة الوفيات تخدم عددا من الأغراض وتؤدى عديدا من الوظائف العلمية والتطبيقية. ويأتى على رأس تلك الأغراض تطبيقاتها العملية فى ميدان التأمين على الحياة من خلال جداول الحياة. ثم انها ترتبط بكثير من نواحي السياسة العامة لأى دولة - لأن كل حكومة تحرص أكبر الحرص على اطالة أمد حياة أفراد شعبها وتحقيق ذلك عمليا والتأكد منه يرتبط مباشرة بتحليل الوفيات. ثم ان هذا التحليل هو الذى يقدم لنا المؤشرات الكمية الدقيقة التى لا تخطئ للحكم على أى تقدم فى هذا المجال. وأخيرا وليس آخرا فإن حقائق الوفيات كلها لها اهمية فى ذاتها وبصرف النظر عن أى تطبيق عملى. لأنها بمثابة مؤشرات للعمليات والتغيرات التى تطرأ على السكان فى أى مجتمع.

ولعلنا يمكن أن نتبين بسهولة أن أوجه الشبه والاختلاف فى الوفيات داخل البلد الواحد تكشف عن توزيع بعض العوامل الأخرى المرتبطة بالوفيات والمؤثرة فيها على نحو أو آخر. كما يمكن استخلاص نتائج مماثلة من التعرف على اتجاهات

الوفيات داخل الدولة . اذ تكون أنماط الوفيات في بعض الأحيان مؤشرات ذات دلالة قيمة للمستويات الصحية ، ومن ثم تكون لها دلالة طبية كبرى .

فمن خلال تحليلنا لبيانات الوفيات نحصل على معلومات مفيدة عن بعض الأمور التي يهتم العالم كله بها مثل مكافحة مرض السل وغيره من الأمراض المعدية ، والتقدم في مكافحة مرض السرطان ومقاومة أمراض القلب وتليف الكبد وغير ذلك من أسباب الوفاة التي تنشأ عن تلف الأعضاء الحيوية في الجسم . وتعطينا هذه البيانات أيضا أرقام الوفيات التي تنشأ عن حوادث السيارات ، وحوادث الانتحار ، وجرائم القتل ، وغير ذلك من الأسباب العنيفة المؤدية الى الموت . كما تصور لنا الحالة بالنسبة للأخطار التي تهدد الطفولة المبكرة . ولما كانت البيانات الشاملة عن حالات المرض لاتكاد توجد مطلقا ، فقد أصبحت بيانات الوفيات أكثر شيوعا لقياس الحالة الصحية للسكان . ويعتمد المجتمع اعتمادا يكاد يكون كليا على مؤشرات الوفيات وطول الحياة للحصول على معلومات دقيقة عن فاعلية وكفاية العلوم الطبية والصحية في تحسين مدى رفاهية الجنس البشرى . والواقع أن أحد مؤشرات الوفيات الخاصة ، وهو معدل وفيات الأطفال الرضع ، كثيرا ما يعد « أشد المؤشرات حساسية للدلالة على رفاهية المجتمع والتحصينات الصحية التي نملكها»<sup>(١)</sup> . ومن هنا يقال بحق أن التغيرات التي تطرأ على الوفيات تعد أساسا مناسباً لتقييم آثار أى برنامج يستهدف رفع مستوى الصحة العامة وتحسين ظروفها .

وعلاوة على هذا كله تعد تقديرات الوفيات بمثابة خطوة ، وان كانت أضمن خطوة على الاطلاق ، لتقدير حجم السكان في فترات ما قبل التعداد وبعده . وأخيرا يساهم تحليل الوفيات في دراسة عملية التجديد والنمو السكاني ، كما سيتضح لنا في ثنايا هذا الفصل .

---

(١) انظر لين سميث ، أساسيات علم السكان ، مرجع سابق ، ص ٤٢٤ ، والمراجع الواردة في نفس الصفحة .



على أننا ينبغي أن نلاحظ أن «الوفيات» ليست عاملا منفردا يمكن التعبير عنه برقم أو مؤشر واحد. فقد رأينا من قبل أن مخاطر الموت شىء يجب قياسه من نواح عدة. ويمكن توفير تلك المقاييس فى كثير من الحالات من خلال «جداول الحياة»، هذا اذا توفرت لدى الدارسين أعداد كافية من جداول الحياة عن سكان ذلك المجتمع. على أن الأمر ليس كذلك فى كل الأحوال، فليست جداول الحياة متوفرة بأعداد كافية عن سكان كل مجتمع. ولذلك يلجأ الباحثون فى أغلب الأحوال الى الاعتماد على استخراج أنواع متعددة من نسب الوفيات التقليدية، ومنها يستمدون معلوماتهم عن الوفيات فى ذلك المجتمع، وعليها يبنون تحليلاتهم السكانية المختلفة. وسوف ينصب الجانب الأكبر من حديثنا فى هذا الفصل على وصف تلك الأساليب، وطرق ترتيبها بحيث تكون متاحة لاجراء المقارنات التى يمكن أن نجيبنا عن أسئلة ذات بال.

وسوف نرى أن أغلب أنواع نسب الوفيات خاصة بفئات معينة من السكان، أى أن الواحد منها يشير الى نسبة الوفيات بين فئة أو بين قطاع معين من السكان، وليس بين السكان جميعهم. ولهذا فان اختيار نوع معين من نسب الوفيات يعد اختيارا لجانب معين من جوانب موضوع الوفيات وقصر الدراسة عليه. وحيثما توجد قواعد محددة فى هذا الصدد، فانها تنطبق فى العادة على طرق حساب هذه المعدلات، وليس على تفسيرها. اذ يبقى التفسير مفتوحا أمام طائفة عريضة من عمليات التقييم وفئة متنوعة من الأحكام.

\*\*\*



## الفصل الرابع

### جداول الحياة

#### جداول الحياة واستخداماتها في دراسة الوفيات

هناك أكثر من ناحية يمكن لجداول الحياة أن تفيدنا فيها في دراسة الوفيات. ولن نتمكن من فهم هذه الاستخدامات حق فهمها وتقدير قيمتها الا اذا أخذنا في البداية فكرة عامة مبسطة عن جداول الحياة نفسها. وكيفية تكوينها أو بنائها، وشكلها العام.

وفي هذا يقول لين سميث في كتابه «أساسيات علم السكان» ان جدول الحياة يتألف من نتائج مجموعة من العمليات الحسابية التي يقصد منها بيان متوسط عدد السنوات المتوقع أن يعيشها عدد من الأشخاص ولدوا في نفس الوقت، أو للأفراد الباقين على قيد الحياة من أى عمر محدد، اذا كانت معدلات الوفيات الخاصة بالعمر والسائدة خلال سنة عمل الجدول باقية، دون تغيير حتى يتوفى جميع الأفراد المنتمين الى كل فئة. وهناك مثل من أمثلة جداول الحياة الخاص بمجموع سكان الولايات المتحدة في السنوات الثلاثة من ١٩٤٩ - ١٩٥١. ومن أكثر الأرقام التي تظهر في هذا الجدول استخداما في التطبيق هي المتوسطات الحسابية. فاذا بقيت مستويات الوفيات هذه دون تغيير حتى عام ٢٠٦٠ فان هذا المتوسط سيكون نفس المتوسط الذي تحصل عليه جماعة من المعمرين فيما لو أرادوا أن يسلموا أنفسهم لمدة تزيد قليلا على قرن من الزمان بملاحظة طول حياة سكان الولايات المتحدة. فلنفرض أن مثل هذه الجماعة من الديموجرافيين أخذت في تسير ساعات توقيت عند مولد ١٠٠,٠٠٠ طفل ولدوا خلال عام ١٩٥٠، وذلك بقصد قياس وتسجيل الزمن الذي عاشه كل منهم بدقة. فعندما يتوفى آخر هؤلاء الأطفال في عام ٢٠٦٠ وجمعت الأرقام التي تمثل الزمن الذي عاشته الجماعة ككل، ثم قسم حاصل الجمع على ١٠٠,٠٠٠، فان المتوسط الحسابي الناتج لا بد أن يكون

٦٨,٠٧ سنة. وهذا المتوسط الخاص يشير بالطبع الى الزمن الذى قيس من لحظة الولادة. وكذلك فان الرقم الثانى يمثل المتوسط الذى نحصل عليه اذا ما اتخذت بداية السنة الثالثة للحياة بدءا للقياس وهكذا. وعندما لا توجد معلومات أخرى، فان أحسن تخمين بالنسبة الى قيمة أى بند فى توزيع تكرارى يكون هو المتوسط الحسابى لجميع البنود فى ذلك التوزيع. ومن ثم فان متوسط طول حياة المجموعة ابتداء من الميلاد يطلق عليه عادة اسم «توقع الحياة» عند الميلاد. ومن المعتاد كذلك التحدث عن توقع الحياة عند سن العاشرة وعند سن الحادية والعشرين وعند سن الخامسة والستين وهكذا. وفى كل حالة يشير هذا التعبير الى متوسط طول حياة الأشخاص ذوى العمر المقرر الباقيين على قيد الحياة عند بداية السنة التى تتخذ أساسا لعمل جدول الحياة لو أن معدلات الوفيات الخاصة بالعمر بقيت دون تغيير حتى وفاة جميع أشخاص المجموعة المعينة. وأى صفات خاصة يتصف بها شخص معين فى المجموعة تزيد من احتمال وفاته قبل الآخرين أو بقاءه حيا مدة أطول منهم تقلل من قيمة هذا المتوسط كرقم تقريبي لعدد السنوات التى يتوقع هو شخصيا أن يعيشها.

أما عن تفصيل الطرق التى يستخدمها خبراء التأمين فى عمل جداول الحياة فانها معقدة إلى درجة لا تجعلها ذات أهمية لغير المتخصصين. وهى طرق يشوبها- فى رأى سميث كثير من العيوب التى تنشأ عندما نطبق الأساليب الرياضية المتقدمة جدا على مشاهدات أو قياسات تبعد فى حد ذاتها بعدا كبيرا عن الدقة. ومع ذلك فان الخطوط العريضة لعمل جدول الحياة بسيطة لدرجة كبيرة. ففي البداية يجب أن يكون لدى المرء توزيع للسكان وفق سنوات العمر سنة فسنة، وكذا توزيع للوفيات وفق الأعمار (وذلك لسنة تعداد السكان أو من الأفضل لفترة السنوات الثلاث التى تتركز حول سنة التعداد). عندئذ يصبح حساب معدل الوفيات لكل فئة من فئات العمر أمرا بسيطا ثم يمكن تحويل هذه المعدلات بدورها الى جدول الحياة المصطلح عليه. ومن الصعوبات الفنية الرئيسية تحديد عدد السكان الذين تقل أعمارهم عن سنة واحدة وصعوبة أخرى هى حساب متوسط العمر عند الوفاة

لأولئك الذين يموتون قبل بلوغ السنة الواحدة. وبمعنى آخر فإن عدم الدقة في حصر الأطفال الذين يقلون عن سنة ثم نواحي النقص في تسجيل المواليد وتوالى الأحداث الحيوية بسرعة خلال السنة الأولى من الحياة كلها تمثل بعض الصعوبات الفنية تتعلق بتحديد عدد من يقلون عن سنة ومعدل الوفيات الخاص بهم. وتنشأ عقبة أخرى عن الأخطاء الواضحة في تقرير السن، وهو أمر ينطبق على الأحياء وعلى المتوفين. ولذلك ففى عمل جداول الحياة يخضع حساب معدلات الوفيات الخاصة بالعمر لعمليات تشويه رياضية عويصة لاستبعاد أية تقلبات ترجع الى مجرد المصادفة أو الأحداث العشوائية.

وتفهم جدول الحياة ليس صعبا بالرغم من الصعوبات التى تكتنف تقدير معدل الوفيات للأشخاص الذين يقلون عن سنة واحدة وتصحيح معدلات الوفيات الخاصة بالأعمار الأخرى. ويمكن معرفة الخطوات المستخدمة فى الحساب والقيم المستخرجة اذا ما فحصنا الجدول بعناية. فالعمود الأول يعطى تقسيم العمر سنة فسنة، والعمود الثانى يحتوى على معدلات الوفيات الخاصة بالعمر، والعمود الثالث يوضح عدد الأحياء عند بداية كل سنة من سنى الحياة مبتدئا بالعدد الافتراضى ١٠٠,٠٠٠، والعمود الرابع يبين عدد الأفراد من كل عمر المقدّر لهم الموت خلال سنة واحدة، محسوبا بتطبيق معدلات الوفيات الخاصة بالعمر الموضحة فى العمود الثانى الى الأعداد المقابلة للأشخاص الذين على قيد الحياة فى بداية كل سنة والموضحة فى العمود الثالث. والعمود الخامس يوضح مجموع عدد السنوات التى يعيشها الباقون أحياء فى كل سنة من سنى الحياة. والعمود السادس يعيد ترتيب بيانات العمود الخامس فى صورة تراكمية على أساس أن العملية التراكمية تبدأ من أسفل الجدول. ويعرض العمود السابع سلسلة الحسابات التى توضح المتوسطات الناتجة عن قسمة الأرقام فى العمود السادس على الأرقام فى الصفوف المقابلة كما وردت فى العمود الثانى. وهذه العملية الأخيرة هى بالطبع عملية الحساب الفعلي للمتوسطات الحسابية، وفى كل حالة يقسم عدد

الأشخاص الأحياء في بداية سنة معينة من سنى العمر على جملة عدد سنوات الحياة الباقية للمجموعة ككل. (١)

ونتساءل بعد ذلك بحق ترى ما هى أهمية استخدام جداول الحياة فى دراسة الوفيات؟ وهل هناك ما يبرر كل هذا الجهد الهائل الذى يبذل فى دراسة بنائها وتنفيذها عبر كل تلك الخطوات المضنية؟ يؤكد جورج باركلى ان جداول الحياة تتمتع ببعض الميزات الواضحة التى تميزها عن سائر مقاييس الوفيات الأخرى. ويعد باركلى على رأس تلك الميزات أن جداول الحياة تعتبر اداة فعالة لتحقيق الاتصال بين الدارسين بسبب الاتفاق على مصطلحاتها ومفاهيمها الأساسية. كما أن هذه الاداة بمفاهيمها المحددة تتميز بقدر كبير من الوضوح وعدم الغموض أو الازدواج. فليس هناك أى نوع من التضارب بين مدلولاتها. وهى تخرج فى النهاية - بعد كل ما يبذل من جهد مضمّن - فى صورة واضحة مريحة. وأخيرا فان جداول الحياة تمّدنا بالأساس اللازم لتحديد عدد السكان الثابت Stable Population وهو عبارة عن نموذج نظرى للعمليات السكانية والجوانب المرتبطة بها.

ويمكن القول بعد هذا بأن جداول الحياة لها كذلك بعض الاستخدامات الهامة التى قد لا ترتبط بموضوع الوفيات بالضرورة. فهى تتصل من نواح أخرى بدراسة الزواج، ودراسة القوة العاملة فى المجتمع وتحديد اعدادها والتنبؤ بحجمها على فترات متباعدة، ودراسة موضوع الهجرة بجوانبه المتشعبة. ولن يتسع المقام هنا لتفصيل الكلام فى كل وجه من هذه الوجوه. وهناك قائمة ليست بالقليل، من المراجع الهامة التى تقدم تغطية جيدة لكل هذه الموضوعات. (٢)

ويمكن ان نوجز فيما يلى الطرق المختلفة لاستخدام جداول الحياة فى التحليلات السكانية.

---

(١) هذا الوصف لجداول الحياة نقلا عن لين سميث، أساسيات علم السكان، مرجع سابق، ص ٤٣٣

(٢) انظر على سبيل المعالجة الشاملة الدقيقة لهذه الموضوعات وغيرها فى المرجع التالى:

(أ) وصف وتلخيص مخاطر الموت التى تتعرض لها كل فئة عمرية من فئات السكان .

(ب) اجراء مقارنات بين هذه الأخطار عند شعوب مختلفة ، أو عند جماعات مختلفة داخل المجتمع الواحد .

(ج) بناء نماذج نظرية للعمليات السكانية المختلفة .

(د) عمل التقديرات السكانية .

وسوف نعرض لبعض هذه الاستخدامات فى ثنايا معالجتنا التالية :

### الاستخدامات الوصفية لجدول الحياة

إذا توفر للباحثين فى علم السكان جدول الحياة لمجتمع من المجتمعات فإنه يعد بحق ذخيرة ممتازة من البيانات والتفاصيل الخاصة بسكان ذلك المجتمع . فمنه نتعرف على مستوى الوفيات فى أى فترة من فترات العمر خلال فترة أساس معينة . وقد يتسنى لنا استخراج تلك القيم العددية مباشرة ، أو حسابها بسهولة تبعاً للعلاقات بين أعمدة الجدول المختلفة .

وعلى أساس بيانات الجدول يمكن استخراج نسبة الوفيات الخاصة بفئة عمرية معينة دون سائر الفئات . وبوسعنا - على حسب طبيعة الدراسة - أن نوسع النطاق الزمنى لهذه الفئة أو نضيقه . بل اننا يمكن أن نستخرج البيانات الخاصة بفئات عمرية أقل من تلك الواردة فى جدول الحياة عن طريق عملية الاستيفاء

· Interpolation

والملاحظ فى هذا الصدد أن معدل وفيات السنة الأولى من العمر (وهو الشكل المعروف لقياس وفيات الرضع) ، ومعدلات وفيات فئات عمرية أخرى تفضل نسب الوفيات الخاصة التى تستخرج بالطرق التقليدية والسبب فى ذلك أنه يفترض أن نسب هذا الجدول تعكس قدرًا أكبر من العناية والتدقيق فى أعدادها ، يفوق ذلك الاعتناء الموجود فى أى مقاييس أخرى .

ومن الطبيعى ان تلك المعدلات والنسب تتضمن نفس المعلومات التى تدلنا

عليها نسب الوفيات الخاصة، ولكنها تتخذ شكلا آخر مختلفا. لأنها تعد معدلات بقاء، وان كانت مرتبطة ارتباطا مباشرا بمعدلات الوفيات. وان كانت معدلات البقاء تفضل معدلات الوفيات من عدد من النواحي. اذ يدلنا معدل البقاء على عدد الباقين على قيد الحياة في كل فئة عمرية، فهو يوضح التأثير التراكمي لمعدلات الوفيات منذ الولادة وحتى عمر معين، فهي بذلك تعتمد على معدلات الوفيات في الأعمار الصغيرة، وتتأثر أكبر التأثير بمستوى الوفيات المرتفع نسبيا خلال فترة الرضاعة والطفولة المبكرة. ولذلك فان معدل البقاء يعد أنسب مؤشر للدلالة على الوفيات في سنوات العمر الأولى، عندما ترتبط مخاطرة الموت في الغالب بمستوى وفيات الرضع.

ولا شك أن معدلات البقاء لكل فئة من الفئات العمرية يساعد على وضع تقديرات الوفيات المتوقعة للسكان الفعليين. ويساهم في تحقيق نفس الغرض مؤشر أمد الحياة، لأنه كلما ارتفع أمد الحياة لجماعة معينة انخفض معدل الوفيات. ومن هنا تأكيد باركلي على أن أمد الحياة يعد بحق مقياسا دقيقا لا يقل اطلاقا عن أى من المقاييس الأخرى المستخدمة في هذا الصدد. فهو يقوم على نفس الحقائق والمعلومات، ولكننا نعبر عنه بصورة مختلفة (1)



### استخدام جدول الحياة لمقارنة الوفيات في مجتمعات مختلفة

اشرنا الى أن قيم جدول الحياة تسمح لنا باجراء مقارنات على أكبر جانب من الدقة بين سكان مجتمعين، أو بين عدة جماعات داخل نفس الشعب. ذلك لأن مخاطر الموت ترتبط ارتباطا وثيقا بالعمر، ولأن البناء العمرى لشعب من الشعوب يعد أحد الجوانب المتغيرة لتركيب هؤلاء السكان. ولهذين السببين بالذات لا يمكن اجراء مقارنة دقيقة بين وفيات مجتمعات مختلفة الا اذا اخذنا العمر في الاعتبار.

---

(1) G. Barclay . Techniques of Population Analysis. op. cit, pp. 124 - 126 .



وجداول الحياة هو أنسب وسيلة للتحليل العمرى، أى التحليل السكانى المرتكز على معرفة العمر. ثم انه يمدنا علاوة على ذلك بعدد من المقاييس التى تتناسب كثيرا من أغراض التحليل السكانى .

ويتميز جدول الحياة بمرونته الفائقة فى تلخيص أجزاء خبرة الموت فى كل عمر من الأعمار لدى ابناء شعب معين. وان كانت هذه الميزة بالذات يمكن أن تفقد قيمتها عند اجراء مقارنات بين شعوب مختلفة، لأن كل جدول حياة يقتصر فى الواقع على وفيات فترة أساس معينة، وهى تختلف بطبيعة الحال من شعب لآخر. ولذلك فلكى يكون استخدامنا لجدول الحياة مفيدا وسليما لا بد من استخدامه فى المكان المناسب والوقت المناسب. ومن ثم نجد أن معظم المقارنات ينبغى أن تقوم اعتمادا على نسب وفيات عادية من أنواع معينة (١).



### استخدام جدول الحياة فى عمل التقديرات السكانية

يعد جدول الحياة وسيلة لا غناء عنها فى عمل التقديرات السكانية لكل عمر من الأعمار، لأنه يوضح الآثار التقريبية للوفاة فى جماعة سكانية قائمة بالفعل. فاذا عرفنا الخسارة التقريبية الناجمة عن الموت استطعنا تقدير حجم تلك الجماعة السكانية فى تواريخ معينة ليس فيها تعدادات، بل فى تواريخ عقب أحدث تعدادات أجريت على تلك الجماعة. ومن الممكن تماما توسيع نطاق هذه التقديرات الى فترات بعيدة فى المستقبل، مع التسليم ببعض الفروض الخاصة بالتغيرات المحتمل حدوثها فى الوفيات (٢).

(١) أنظر باركلي، المرجع السابق، حيث فصل الكلام عن هذه النقطة فى الفقرتين التاسعة والرابعة عشرة من الفصل الثانى من كتابه المذكور.

(٢) يطلق على تقديرات اعداد السكان فى المستقبل اسم «النبؤات السكانية» تأكيدا لاعتمادها على بعض الفروض النظرية. ومن الواجب عند عمل مثل هذه النبؤات بالنسبة للمستقبل وجود فروض اخرى عن مستويات الخصوبة والهجرة فى المستقبل، لأنها من العوامل الأخرى التى تساهم فى تحديد اعداد السكان الجدد الذين سينضمون الى السكان الحاليين.

ويضرب باركلى مثلاً على ذلك من أحد التعدادات. فقد أتضح من تعداد البرازيل الذى أجرى عام ١٩٤٠ أن هناك ٥٧٢٨٦٩ فتاة تبلغ من العمر ١٢ سنة. فكم عدد الفتيات اللائى سيقين على قيد الحياة من ذلك العدد بعد خمس سنوات بالضبط من اجراء التعداد؟ من المستحيل فى الحقيقة جمع معلومات دقيقة عن ذلك العدد من سجل الوفيات فى المجتمع، ولو كان ذلك ممكناً نظرياً فهو مستحيل التنفيذ عملياً. ولكننا نستطيع الاجابة عن نفس السؤال بسهولة بالاستعانة بجدول الحياة الخاص بهذا المجتمع (ان كان موجوداً). اذ يوضح لنا أحد أعمدة الجدول عدد السنوات التى سيعاها الفرد البالغ من العمر ١٢ سنة، وفى سن ١٧ سنة بعد اجتياز هذا الفوج نسب الوفيات المختلفة طوال السنوات الخمس الفاصلة بين هذين العمرين.

ويجب الانتباه الى أن استخدام جدول الحياة فى عمل التقديرات السكانية يفترض سلفاً أن نسب وفيات السكان الفعليين الموجودين فى الواقع تماثل نسب الوفيات التى يقوم عليها جدول الحياة. ولذلك لا يمكن فى الحقيقة الانتفاع بجدول الحياة فى عمل التنبؤات الا اذا توفر لنا جدول الحياة الذى يعتقد انه يمثل ولو بشكل تقريبي الوفيات الموجودة بين السكان فى الواقع الفعلى. ومن ثم يتم العمل فى اعداد هذه التقديرات انطلاقاً من تماثل معدلى الوفيات فى الجدول وفى الواقع. ولهذا السبب اختار باركلى النموذج المشار اليه من احصاء البرازيل بسبب وجود جدول حياة يتحقق فيه هذا الشرط، ومن ثم يمكن استخدامه فى هذا الغرض. وقد استخرج من هذا الجدول - وعن طريق بعض العمليات الحسابية البسيطة - عدد الفتيات اللائى يفترض أنهن سيبلغن السابعة عشرة من العمر فى سنة ١٩٤٥. وكان هذا الرقم ٥٥٨٦٤٣. ولكنه يؤكد ان الشرط الأساسى لذلك هو تطابق بيانات الجدول تطابقاً دقيقاً مع بيانات السكان الفعليين فى المجتمع.

على أن جدول الحياة لا يستخدم فى هذا الغرض وحده، أى عمل تقديرات لفئات سكانية معينة فى المستقبل، وانما يمكن بنفس الطريقة أن يستخدم فى الاتجاه المعاكس فاذا رجعنا الى مثال فتيات الثانية عشرة عاماً فى احصاء البرازيل

عام ١٩٤٠ ، فاننا يمكن ان نستخرج عدد أولئك الفتيات اللاتي كن عليه عام ١٩٣٥ مثلا . وبعد عملية حسابية بسيطة استخرج هذا الرقم ، فكان ٥٧٩٩٣٨ . وهكذا يتضح أنه من الممكن توسيع نطاق هذه العملية الى الأمام (في المستقبل) وإلى الخلف (في الماضي) ، لأي عدد من السنين أو كسور السنة حسبما أراد الباحث . ولكن من المهم أن ننتبه الى أنه كلما طالت المدة زادت نسبة الخطأ ، لأن وفيات السكان (الفعليين) يمكن أن تتغير ، بل هي تتغير حتما ، بينما نسب وفيات جدول الحياة المحسوب على أساس القيم السكانية لا تتغير .

كما أنه من الممكن كذلك تقدير حجم السكان من احصائيات المواليد المقيدة رسميا (المسجلة في السجلات المدنية) أو تقدير اعداد المواليد من السكان الذين تم عددهم . (١)

ومن الطبيعي أن تشير مجموعتا الأرقام الى نفس الفوج من الناس ، مما يتطلب مقابلة عدد السكان في كل سنة من سنوات العمر بعدد الولادات المقيدة في كل سنة من سنوات الحساب . من هذا اننا يمكن ان نتساءل على سبيل المثال ، اعتمادا على عدد وقائع الميلاد المسجلة خلال العام السابق ما هو عدد الرضع الذين تتوقع ان نسجلهم في التعداد؟ وتتوقف الاجابة عن هذا السؤال على نفس المماثلة أو المقابلة بين السكان الفعليين و جدول الحياة . وهذا هو ما قصدنا الاشارة اليه فيما سبق .

---

(١) لما كانت وقائع الميلاد تسجل عادة بواقع كل سنة ميلادية (أي من أول يناير حتى نهاية ديسمبر من كل عام ميلادي) ، فان احصائيات المواليد يجب في العادة اعادة ترتيبها لتناسب الافواج العمرية التي يحصيها التعداد . ويمكن تحقيق ذلك بسهولة اذا كانت احصائيات المواليد ترتب في جداول شهرية أو ربع سنوية تبعا للفترة التي حدثت فيها . أما اذا لم يكن الأمر كذلك فلا بد من اعادة ترتيبها على هذا الأساس بحيث يتيسر حسابها بواقع كل سنة ميلادية كاملة ، وان كان ذلك سيتم بشكل تقريبي في مثل هذه الحالة . من هذا مثلا أن عدد وقائع الميلاد في الفترة من مارس ١٩٤٩ حتى ابريل ١٩٥٠ يمثلون بشكل تقريبي ثلاثة أرباع عدد المواليد المسجلين في عام ١٩٤٩ مضافا اليهم ربع اجمالي عدد المواليد المسجلين في عام ١٩٥٠ . وينبغي أن تتنوع تلك النسب لتلائم تاريخ اجراء التعداد من العام الذي سيجري فيه . انظر مزيدا من التفاصيل عند باركلي ، المرجع السابق ، ص ١٢٩ وما بعدها ، خاصة حاشية رقم ٧ .

وجدير بالاشارة أن تقديرات السكان تخدم غرضين مختلفين . فهي تمدنا بالأرقام اللازمة لاجراء مزيد من البحوث ، او المطلوب الاسترشاد بها عند اتخاذ بعض القرارات الادارية . كما تعد تلك الأرقام بمثابة اختبار لاتساق المصادر الاحصائية المختلفة .

فنحن نعلم أن هناك كثيرا من الثغرات في عمليات التسجيل الاحصائي القائمة في كل بلاد العالم . فقد يكون من الضروري في بعض الحالات معرفة حجم السكان في تواريخ معينة ليس فيها تعداد ، أو قبل الانتهاء تماما من تفريغ بيانات التعداد وجدولتها واتاحتها للجهات التي تحتاج اليها . وتعد هيئات التخطيط هي أكبر الجهات احتياجا الى مثل هذه الأرقام . وبوسعنا أن نحسب عدد الاطفال الذين في سن الدراسة (وهو العدد الذي سيتم على اساسه تحديد اعداد ومواقع المدارس الحكومية التي ينبغي فتحها) ، وكذلك تحديد أعداد الأطفال الذين سيبلغون سن المدرسة كل عام ، بوسعنا أن نستخرج مثل هذه الأرقام من السجلات السنوية للمواليد وبالاغتماد على جدول الحياة . اما تقدير عدد السكان العاملين أو حجم القوة العاملة في المستقبل فكثيرا ما يكون موجهها للتنبؤات الاقتصادية في مجتمع اليوم ، كما تلجأ معظم الدراسات الدائرة حول اتجاهات السكان في المستقبل على حسب العمر الى استخدام هذا الأسلوب نفسه ، مطبقا على كل فئة عمرية خمسية (وان كان من الضروري علاوة على هذا عمل تقديرات للمواليد وللهجرة). <sup>(١)</sup> اما اذا لم تكن عملية تسجيل المواليد محلا للثقة ، فقد يكون من الأفضل تخمين أعداد المواليد سنويا طوال السنوات الخمس أو العشر الماضية اعتمادا على جدول الحياة وعلى عدد السكان الذين تم حصرهم وتقل اعمارهم عن خمس سنوات أو عن عشر سنوات .

---

(١) كذلك يستخدم جدول الحياة لتقدير عدد السكان في المستقبل الذين يحتمل انجابهم من الآباء المتوقعين ، وذلك بهدف تحديد اعداد المواليد المتوقعة في المستقبل . كما يستخدم لتقدير حجم الهجرة في المستقبل . انظر المرجع السابق ، ص ١٣٠ .

وإذا صادفنا نوعاً من التضارب أو حتى ثار لدينا شك بوجود هذا التضارب بين بيانات مصدرين احصائيين مختلفين أو أكثر أخذت في تواريخ مختلفة، فإن جدول الحياة هو الأساس الرئيسى الذى يمكن أن نعتمد عليه في اختبار اتساق تلك المصادر. والخطوة الأولى في هذا السبيل هى أن نحدد أفراد فوج معين من المواليد، في تواريخ مختلفة. والشرط الأساسى في ذلك أن تشير البيانات الى نفس الفوج في كلا المصدرين وهنا يدلنا جدول الحياة على عدد الأفراد الذين يحتمل فقدانهم - بسبب الوفاة - خلال الفترة الوسيطة. وعلى هذا الأساس يتم اختبار التقدير المستخرج من أحد المصدرين بواسطة الرقم المستخرج من المصدر الآخر. فجدول الحياة هو الأداة النافعة فعلاً في مثل هذا الموقف، وإذا لم تحدث خلال تلك الفترة - زيادات أو نقصان بسبب الهجرة، فإن تلك المقارنة تكون بمثابة اختبار لاتساق بيانات المصدرين. فإذا ثبت وجود هذا الاتساق فعلاً، فإنا نكون قد أزلنا بذلك السبب الظاهرى لهذا التشكك في دقة البيانات. أما إذا ظهر بينها تضارب بعد ذلك أيضاً، فلاشك أن كمية التضارب التى ستتضح لنا يمكن أن تكون مقياساً معقولاً لخطأ أحد هذين المصدرين.

الحقيقة أن أساليب عمل هذه التقديرات بسيط غاية البساطة فيما يتعلق بالوفيات، ولايثير مشكلات خاصة. ومع ذلك فإننا نلاحظ - كما يوضح باركل - أنه لا يستخدم على النحو الصحيح في كثير من البحوث والدراسات الجارية. ويرجع ذلك في جانب منه الى قصور في فهم وتفسير طبيعة عملية التقديرات برمتها وفهم أهدافها. فجدول الحياة يتقلص دوره بحيث ينحصر في بيان الآثار التقريبية للوفيات على جماعة من الأفراد خلال فترة زمنية محددة. أما آثار الخصوبة والهجرة فيجب معالجتها بشكل منفصل. فإذا برز دور هذه العوامل الأخرى، فإن دور جدول الحياة يتقلص الى حد تتضاءل فيه أهميته بشكل واضح.

ومن الأسباب الأخرى التى تعد في نظر باركل مسئولة عن سوء استخدام جدول الحياة في التقديرات - اعتماداً على معدلات الوفيات - الاختيار غير الصحيح لجدول الحياة الذى سيمثل موقفاً معيناً ويعبر عنه. إذ الملاحظ أنه تركز في هذه

النقطة عدة عناصر جزافية ترجع الى تقديرات الباحث. فمن الواضح أن ظروف الوفيات في جدول معين يجب أن تكون مماثلة بقدر الامكان للظروف التي يجري عمل تقديرات لها في الواقع. ولكننا نجد في الواقع العملي أنه لاتتاح للباحث شواهد ومؤشرات كافية لتوجيه هذا الاختيار والتأثير عليه.

وهناك فضلا عن هذا عيب بارز كامن في جدول الحياة عند إستخدامه لهذا الغرض. فنحن نعرف أن جدول الحياة مبني على معدلات الوفاة في وقت معين، ولكنه يستهدف مع ذلك تمثيل وفيات عدة سنوات متعاقبة. ولما كانت الوفيات تخضع للتغير من عام لآخر نتيجة للعديد من الظروف، فان الاعتماد على هذا الأسلوب سوف ينتهي بنا الى تقديرات سكانية نحن نعرف سلفا انها لن تكون بالدقة المطلوبة. ومع ذلك نجد أنفسنا في أغلب الظروف مقتنعين تمام الاقتناع بان وجود مثل هذه المعلومات، برغم ما قد يشوبها من أخطاء، أفضل من لا شيء على الاطلاق. ولذلك يصبح هدفنا الأول أن نقلل احتمالات الخطأ الى أدنى حد ممكن. ويلفت باركلي النظر الى أنه ليس من سبيل عام واحد لتحقيق هذه الدقة المنشودة، الا انه يتحتم على مستخدم هذه الأرقام وتلك المعلومات أن يعي مقدما هذه المحاذير، وذلك ببيان الفروض التي استندت اليها تلك التقديرات وصفا شاملا دقيقا.

\* \* \*

## الفصل الخامس

### معدلات الوفيات

#### معدلات الوفاة الخام

برغم كل ما قيل عن أهمية جدول الحياة طوال الفصل السابق ، فالملاحظ حتى الآن أن معظم تحليلات الوفيات في علم السكان تتم دون الاستفادة من هذه الاداة المنهجية الهامة . حيث نجد جمهور الباحثين يستعينون بدلا من هذا ببعض المقاييس الأخرى ، التي تتميز بنفس الميزات العملية ونفس الفوائد ، ولكنها تفضل من أغلب الباحثين بسبب سهولتها وعدم تطلبها معارف نظرية ورياضية من الباحث الذي يستخدمها . الا اننا نتفق مع باركلي الذي أكد بحق أن هناك هوة سحيقة تفصل بين طريقة جدول الحياة بتفصيلاتها الدقيقة وبعض مقاييس الوفاة الأخرى . ولا يمكن اطلاقا أن يوصل نفس الطريقتين الى نفس المستوى المنشود من الدقة والكمال (١) . ولكن لاحيلة لأحد في ذلك ، فالاعتبارات العلمية النظرية شيء ، وواقع الباحثين العلميين وميولهم وقدراتهم الفعلية شيء آخر . وهو تعميم لا يقتصر على جمهور الباحثين في بلادنا ، وانما على شتى علماء السكان على مستوى العالم .

واشهر تلك المقاييس وأكثرها شيوعا بين الباحثين معدل الوفيات الخام . ويمثل هذا المعدل عدد الوفيات لكل ألف نسمة من السكان وقد اصبح هذا المعدل أساسا شائعا لدراسة وفهم المستوى العام للوفيات في جماعة معينة . وهناك فروق كبيرة بين معدلات الوفيات الخام العالية ومعدلات الوفيات الخام المنخفضة . وان كان الحكم على معدل وفيات خام معين بانه مرتفع أو منخفض مسألة نسبية ليست لها دلالة دائمة أو مطلقة ، انما هي تختلف من جماعة لأخرى ، وبالنسبة لنفس

---

(١) انظر باركلي ، التحليل السكاني ، مرجع سابق ، ص ١٣٤ .

الجماعة من فترة لأخرى من تاريخها. من هذا مثلا أن معدل الوفيات الخام الذى كان يبلغ فى الماضى - قبل العصر الحديث - ٤٠ فى الألف أو أكثر كان يعد معدلا طبيعيا، مع أن هذا المعدل نفسه يعد اليوم مرتفعاً جداً.

ويوضح لنا الجدول رقم (٣) أن هناك بعض البلاد التى استطاعت اليوم تحقيق معدلات وفيات خام انخفضت حتى ٧ الى ١٠ فى الألف. كما أصبح من الممكن جداً بالنسبة لكثير من بلاد العالم تحقيق معدلات تتراوح بين ١٠ و ١٥ فى الألف. ولكن هذه المعدلات المنخفضة لا يمكن أن تتحقق الا حينما تنتشر الخدمات والرعاية الطبية المتقدمة الباهظة التكاليف والشاملة لجميع سكان المجتمع. أما حيثما تنعدم هذه الرعاية الطبية المتقدمة الشاملة فاننا يجب أن ننظر بعين الريبة الى معدلات الوفيات الخام المنخفضة.

ويعبر معدل الوفيات الخام عن تكرار واقعة حيوية معينة هى الموت خلال فترة محددة من الزمن، وتكرار حدوث هذه الواقعة بين عدد السكان الموجودين فعلاً. وهكذا يمثل معدل الوفيات الخام (عدد حالات الوفاة لكل شخص فى السنة). ولكن الواقع اننا نحسب هذا المعدل بالنسبة لكل الف نسمة فى السنة الواحدة. وهذه المضاعفة قصد بها التيسير لا أكثر، ولكن المعنى هو هو لا يتغير.

وسبب تسمية هذا المعدل «خام» انه يقيس تكرار واقعة الموت بالنسبة لمجموع السكان، دون النظر الى أى تقسيمات داخلية على حسب العمر أو الجنس أو غير ذلك ودون النظر الى جماعات فرعية أو داخلية ضمن هذا الحشد السكانى الكبير. ومن المعروف أن حساب هذا المعدل بالنسبة للجماعة أو فئة سكانية معينة يخدم عملية التحليل العلمى والملاحظة والتفسير، وسوف نشير الى بعض تلك المعدلات الخاصة فيما بعد.

ويتم حساب معدل الوفيات الخام بنسبة مجموع عدد الوفيات التى وقعت فى سنة معينة الى مجموع السكان فى نفس السنة وضرب ذلك فى الألف ليخرج المعدل منسوباً لكل الف من السكان كما أسلفنا الإشارة. وذلك على النحو التالى:



$$\text{معدل الوفيات الخام} = \frac{\text{مجموع عدد الوفيات خلال عام}}{\text{جملة عدد السكان في نفس العام}} \times 100$$

وتلك البساطة هي أهم ميزة يتصف بها معدل الوفيات الخام، وهي في نفس الوقت مصدر العيوب الأساسية التي يتصف بها. ونفصل الكلام في هذه النقطة قليلا فيما يلي.

يتمتع معدل الوفيات الخام بعدد من المميزات. فقد ذكرنا الآن انه يوضح مستوى الوفيات لمجموع السكان برقم واحد. ولهذا السبب يعتبر معدل الوفيات الخام اشهر مؤشرات الوفيات وأكثرها شيوعا في الكتب والنشرات الاحصائية السنوية وفي المطبوعات الاحصائية العامة. اذ من الممكن توصيل مدلوله بسهولة الى الجمهور العام. كذلك يمكن حسابه بسهولة وبسرعة، اعتمادا على الحد الأدنى من البيانات عن هذه الواقعة الحيوية الهامة. وحتى لو كان الباحث بصدد تحليل مفصل لموضوع سكاني معين، كالنمو السكاني أو غيره، فان معدل الوفيات الخام يمثل بالنسبة له مؤشراً أولياً لمستوى الوفيات أو اتجاهها. اذ يمكن الحصول على نتائج أولية - مؤقتة - قبل استكمال عمليات اختبار البيانات وفحصها تماما. فهي تفيد في هذه المرحلة - حتى ولو ثبت خطأها فيما بعد - في تحديد أنواع البحوث والدراسات التي ينبغي اجراؤها.

ولكننا نلاحظ من ناحية أخرى أنه بسبب هذه البساطة التي يتميز بها معدل الوفيات الخام نجده يتصف بعيبين بارزين. فهو يخلط كثيرا من الجماعات السكانية أو الأقسام السكانية التي تختلف معدلات الوفيات الخاصة بكل منها اختلافا كبيرا فيما بينها. هذا في حين أن أهم النتائج التي توصلت اليها دراسات الوفيات قد جاءت ثمرة دراسة معدلات الوفيات الخاصة بكل جماعة على حدة وتحليلها تحليلًا دقيقًا مفصلاً. العيب الثاني أن معدل الوفيات الخام يخلط هذه العناصر دون تمييز أو تدقيق، اذ يعبر عنها في صورة متوسط عام، فيعطى بذلك ثقلاً أكبر لواقعة الموت عند جماعات كبيرة ولكل خبرات الموت البالغة الارتفاع والبالغة الانخفاض.

وهكذا نرى أن مستوى معدل الوفيات الخام لا يتأثر فقط بمستوى الوفيات - الذى يفترض انه يقيسه بالفعل - وانما كذلك بتوزيع السكان ذوى معدلات الوفيات المتباينة .

ولنوضح هذه المزايا والعيوب لنفرض - على سبيل المثال - أن معدل الوفيات الخام ١٦ فى الألف قد اتضح بالنسبة لبلدين مختلفين فى سنة معينة . فهل يعنى هذا ان معدل الوفيات العام فى كلا البلدين واحد؟ ان ذلك قد يكون صحيحا فى الظاهر فقط ، حيث ان متوسط عدد واقعات الموت بالنسبة لكل ألف من السكان فى كلا البلدين هو ١٦ واقعة بالضبط . ولكن اذا علمنا بعد ذلك أن أحد البلدين يتميز بنسبة أكبر من البالغين ، فان معنى ذلك نناجب أن نتوقع ارتفاع معدل الوفيات فيه ، لأن واقعة الوفاة تتصل اتصالا وثيقا بالعمر . حيث يلاحظ أن معدل وفيات الصغار مرتفع . ولكنه ينخفض للغاية بالنسبة لأولئك فيما بين سن العام الواحد وسن الخمسين ، ثم يرتفع جدا لمن بلغوا الخامسة والستين فأكثر . ولهذا لا يمكن أن نفهم حقيقة اتجاهات معدل الوفيات ولا أن نحدد ما اذا كانت مرتفعة أو منخفضة الا فى ضوء معرفة معدلات الوفيات الخاصة بالعمر - على سبيل المثال - لأن معدل الوفيات الخام لا يكشف النمط الحقيقى للوفيات فى كلا البلدين .<sup>(١)</sup>

ولهذا نستطيع بالاعتماد على معدل الوفيات الخام التوصل الى أحكام عامة فضفاضة عن مستوى الوفيات وأن نصل الى نتائج أولية فيما يتعلق باتجاهها أو

---

(١) يضرب دنيس رونج فى كتابه علم السكان ، المرجع السابق ، ص ص ٤٤ - ٤٥ مثلا آخر حيث يشير الى أنه فى سنة ١٩٥١ بلغت نسبة الوفيات العامة (معدل الوفيات الخام) فى جمايكا ١٢,١ فى الألف ، وفى بريطانيا ١٢,٦ فى الألف . ولكن من الخطأ أن نستخلص من هذين الرقمين أن مستوى الصحة والمعيشة فى جمايكا أحسن منه فى بريطانيا . ولكن تفسير هذه المظاهر أن شعب جمايكا أكثر شبابا من الشعب البريطانى . ويتضح لنا هذا من مقارنة معدلات الوفيات الخاصة بكل فئة عمرية فى كل من الشعبين ، وليس لجملة السكان كما هو الحال فى معدلات الوفيات الخام . . . وبمقارنة معدلات الوفيات على أساس فئات السن فى جمايكا وبريطانيا يبدو أن هذه المعدلات فى جمايكا تزيد فى جميع فئات السن عن مثيلاتها فى بريطانيا . وهذا يؤكد ارتفاع مستوى الصحة والمعيشة فى بريطانيا . والحقيقة ان معدل الوفيات الخام فى بريطانيا أعلى قليلا منها فى جمايكا لارتفاع نسبة من تزيد سنهم على أربعين عاما الى مجموع السكان فى بريطانيا . والوفيات فى هذه الأعمار أعلى منها فى الأعمار الصغيرة كما أشرنا .

أنماطها. فهذا المعدل الخام لا يعتمد على تحديد عمر الفرد بدقة، ولذلك يمكن استخدامه قبل اختبار تلك التفاصيل وتحقيقها من جانب الهيئات المختصة. ومع ذلك فهو لا يساعدنا في اكتشاف مواطن الخطأ وعدم الدقة في عملية تحديد السن.

كما أن معدلات الوفيات الخام تكون أداة ممتازة لملاحظة وتتبع التغيرات السنوية أو الرسمية التي تطرأ على مستوى الوفيات في المجتمع، لأن مثل هذه الفترة تكون عادة من القصر بحيث لا تحدث تغيرات ذات وزن في التركيب السكاني. ولكنها تصبح مؤشرات ضعيفة الدلالة حينما تقع تغيرات حاسمة في التركيب السكاني، خاصة اذا ما حدث تغير في الجماعات العمرية أو غيرها من الجماعات ذات مستويات الوفاة الخاصة المتميزة بملامح معينة.

ويشير باركلي الى انه قد يكون من الممكن في بعض الأحيان التوصل الى حل وسط يوفق بين معدلات الوفيات الخام ومعدلات الوفيات الخاصة (او التفصيلية). ويتحقق ذلك عن طريق عمل نسب وفاة معدلة على حسب العمر age-adjusted death rates أو مقننة Standardized وذلك باستخدام رقم واحد لمجموع السكان مع عمل احتمال فروق تبعا لتنوع التركيب العمرى. (وسنعود الى تناول هذا المفهوم بشيء من التفصيل فيما بعد).

ولهذه الأسباب جميعا ليس من السليم ولا المأمون الوصول الى نتائج شديدة التحديد او نتائج نهائية استنادا الى معدلات الوفيات الخام وحدها. فلا يصح ان ننسى ابدا ان العدد الفعلى لواقعات الوفاة لمعدل الوفيات الخام هو المادة التي يجب ان تستخدم في حساب التغيرات السكانية او تحديد حجم الزيادة الطبيعية ومعدلها. اما اذا اردنا دراسة الوفيات دراسة أكثر أصالة ودقة وابعد عمقا فلا بد من أن نتجاوز تلك المرحلة، ونعتمد على واحد أو أكثر من معدلات الوفيات الخاصة التي سنفصل الكلام عن أهمها في الفقرات التالية من هذا الفصل.

\* \* \*

## معدلات الوفيات على حسب العمر

ان اى كسب فى مستوى الدقة يتطلب دون شك وجود معدلات وفيات أكثر تفصيلا، وهو ما يعنى ضمنا توفر مزيد من المعلومات عن أصحاب واقعات الوفيات التى نحن بصدد دراستها: أعمارهم، نوعهم، أسباب وفاتهم... الخ. واكبر خطوة فى هذا الصدد هى أن نأخذ فى اعتبارنا تنوع السكان على حسب العمر، ويتحقق هذا الهدف بحساب معدلات وفيات لكل فئة عمرية من السكان. ويكون اكثر جدوى واكبر قيمة أن نعد هذه المعدلات لكل من الذكور والاناث على حدة، أى نستخرج معدلات وفيات خاصة لكل فئة عمرية للذكور، ومعدلات وفيات خاصة لكل فئة عمرية للاناث، فتكون تلك معدلات وفيات خاصة بالعمر والنوع معا Age - sex - specific death rates.

فما هو الاسهام الذى تقدمه لنا معدلات الوفيات على حسب العمر فى دراسة موضوع الوفيات بصفة عامة؟. اشرنا من قبل إلى أن هناك فروقا كبيرة فى مخاطر الموت بالنسبة لأفراد السكان تبعا لأعمارهم. ولذلك نقول أن تصنيف السكان تبعا للعمر يعد وسيلة عظيمة الفائدة لتقليل الآثار الخفية لهذا النوع فى معدل الوفيات. وهو كذلك بطبيعة الحال الوسيلة الوحيدة لحساب معدل وفيات لا يتأثر بالتركيب العمرى للسكان. فمعدلات الوفيات الخاصة بالفئات العمرية هى الأساس السليم والدقيق للمقارنة بين سكان عدة دول أو بين بعض الجماعات السكانية.

ويمكننا فى بعض الاحيان أن نسترشد بنمط معدلات الوفيات الخاصة بالعمر لتكوين رأى فيما يتعلق بأوجه القصور او العيوب التى تعيب البيانات التى نشتغل فيها. فهناك انماط معينة من معدلات الوفيات على حسب العمر التى يتوقع أن تظهر عادة. بحيث أنه اذا لم تظهر، فان ذلك قد يعنى أن هناك أخطاء فى البيانات التى أمامنا أو هناك بيانات ناقصة. فمعدل وفيات الرضع - على سبيل المثال - يكون غالبا دائما بالقياس الى معدلات وفيات الأطفال فى سن الطفولة المتأخرة. كما أن معدلات وفيات الأفراد دون سن الخامسة عشرة تعد أدنى معدلات الوفيات

على حسب العمر على الاطلاق . ونجد في كل الأعمار تقريبا أن معدلات وفيات الذكور تفوق معدلات وفيات الاناث بصفة عامة . ويزداد هذا الفرق اتضاحا ، بل يبلغ أقصى درجة من الوضوح ، في مراحل العمر المتقدمة .

من هذا يتضح مانعنيه من أن هذه القواعد - أو قل الانتظامات - العامة تمثل مؤشرات هادية مفيدة من حيث أنها تقيم دقة البيانات التي تتعامل فيها . وإن كان من الواجب الاشارة الى أن الحكم على درجة دقة البيانات بهذه الطريقة يعد نوعا من التخمين غير الدقيق . فنحن يمكن أن نحكم على البيانات بعدم الدقة ، ولكننا لانستطيع أن نعرف النمط الصحيح لمعدلات الوفيات التي نحن بصدددها ، ولا نعرف التعديلات الواجب اجراؤها بحيث نقرب البيانات الخاطئة من النمط الصحيح . (١)

وعلاوة على هذا تساعدنا معدلات الوفيات على حسب العمر في ابراز بعض الجوانب الهامة لتوزيع الوفيات على حسب الأعمار المختلفة . من هذا مثلا أن عمليات الضعف والتحلل الجسدى ترتبط بالعمر ، حيث نجد لدى الرضع والأطفال الصغار حالة مبكرة من العجز والقابلية الشديدة للاصابة بالأمراض القاتلة . ولذلك نجد كما أشرنا أن معدلات الوفيات ترتفع نسبيا في مراحل العمر المبكرة والمراحل المتأخرة من دورة الحياة العادية .

ونجد بجانب هذا أن كثيرا من الظروف البيئية التي تؤثر على الوفاة ترتبط بالعمر أيضا . فالزواج ، والنشاط الاقتصاى وطبيعته ، والسفر ، والتقاعد عن العمل ترتبط بفترات ومراحل محددة من عمر الانسان . ومن هنا فانها تساهم في خلق النمط العمرى المتميز لمعدلات الوفيات .

وهكذا نرى أن معدلات الوفيات الخاصة بالعمر كثيرا ما تكون مفيدة بحيث تستأهل ما يبذل من جهد في حسابها ، حتى ولو كان الهدف الأول للباحث هو دراسة بعض الجوانب الأخرى لظاهرة الوفيات . فهي تمدنا بنفس المعلومات التي

---

(١) انظر باركلي ، المرجع السابق ، ص ١٣٦ ، خاصة حاشية رقم ١٥ على تلك الصفحة .

تمدنا بها معدلات الوفيات في جدول الحياة. ولما كانت معدلات الوفيات الخاصة بالعمر وسيلة للحصول على معلومات مفصلة، فانه يتعين علينا ان نجيب عن السؤال التالى: ما هو مدى التفاصيل التى يجب أن تتضمنها البيانات؟ أو بصيغة أخرى: ماهو المدى الواجب ان تتخذه الفئات العمرية التى سنقيس معدلات الوفيات الخاصة بكل منها؟ الواقع انه لا توجد قاعدة عامة معينة يمكن ان نلتزم بها عند اختيارنا للفئات العمرية التى سنحددها. كما ان مجال الاختيار امامنا ليس واسعا بلا حدود، لأن فئات العمر محددة اصلا بشكل المادة الأصلية المتاحة لنا. ولهذا السبب اساسا اصبحت فئات العمر الخمسية هى اكثر الصور شيوعا لوضع معدلات الوفيات على حسب العمر.

وقد اتضح أن فئات العمر الخمسية الشائعة في الجداول الاحصائية السكانية، كافية لتحقيق معظم أهداف الباحثين فهى من ناحية قادرة على أن تكشف لنا الانماط الرئيسية للتنوع على حسب العمر، كما اننا نلاحظ - من ناحية أخرى - ان البيانات المتاحة ليست في العادة من الدقة بحيث تيسر استخدام فئات عمرية أصغر من خمس سنوات. وقد يحدث في حالات أخرى أن نصنف معدلات الوفيات على حسب العمر الى أربع مراحل رئيسية في حياة الفرد هى: مرحلة الرضاعة، مرحلة الطفولة، مرحلة العمل أو الحياة الانتاجية، وأخيرا مرحلة الشيخوخة.

\* \* \*

### وفيات الرضع

تستأثر الوفيات خلال العام الأول من عمر الفرد - وهى مرحلة الرضاعة - بأكبر قدر من اهتمام الباحث في علم السكان. وهى حقيقة تفرضها بعض الظروف الحتمية التى لا مفر منها، لأن السجلات الأساسية التى تقيد واقعات الوفيات خلال تلك الفترة من عمر الانسان تتصف عادة بالغموض، كما ان طرق حساب تلك المعدلات تختلف من مجتمع لآخر، ومن نظام احصائى لآخر. كما نجد علاوة على هذا أن وفيات الرضع تمثل في الحقيقة ضريبة باهظة على الحياة، اذ نجد ان

معدل الوفيات الذى يمكن أن نعهه منخفضا نسبيا يعنى فى الواقع عددا ضخما من وفيات الرضع . وذلك بسبب حقيقة بسيطة وهى أن الرضع يمثلون نسبة كبيرة من مجموع السكان فى أى مجتمع . أما حينما تكون معدلات وفيات الرضع مرتفعة ، فان عدد تلك الوفيات يمثل القسم الأكبر من مجموع عدد الوفيات فى المجتمع . وقد لاحظ اكثر من كتاب أن جميع سجلات الوقائع الحيوية فى المراحل الأولى من العمر تتصف بقدر من الغموض وعدم الدقة احيانا ، مما يحتم علينا التحفظ المستمر على دقة تلك البيانات وصدقها فى تصوير الواقع . فهناك أولا مشكلة أن الصغار الذين يموتون عقب الولادة مباشرة بفترة قصيرة جدا ربما لا يسجلون على الاطلاق ( طبعاً لا فى دفاتر المواليد ولا بالتالى فى دفاتر الوفيات) . ولهذا نص الأمر الملكى الخاص بنظام المواليد والوفيات على تنظيم عملية التسجيل تنظيميا دقيقا. (١)

\* \* \*

ثم انه ليس من المؤكد أو الواضح تماما ماهو المقصود بالولادة الحية فى الغالب . فاننا نجد الخلاف مايزال محتدما حتى بين الدوائر الطبية المتخصصة فى تحديد الفرق بين وفيات الرضع ، والولادات الميتة ، والاجهاض (٢) .

---

(١) نظام المواليد والوفيات ، صدرت الموافقة السامية على هذا النظام برقم ٢ فى شهر المحرم عام ١٣٨٢هـ . انظر نصه فى الموسوعة المقارنة للقوانين والتشريعات والأنظمة لبعض الدول العربية ، اعداد احمد سعيد عبد الخالق ومحمود حامد النقيب ، المجلد رقم (٨) بدون تاريخ ، صفحات ٥٧٨ - ٥٨٠ .

(٢) تعاونت الهيئات الدولية المعنية لوضع بعض القواعد والتنظيمات التى تستهدف توحيد تلك السجلات . ولو انها بصفة عامة صعبة التنفيذ ، خاصة حيث تتم أغلب الولادات دون اشراف طبى رسمى . كما أن هذه القواعد والتنظيمات نفسها مازالت متباينة لم يتيسر توحيدها فى كافة دول العالم . انظر على سبيل المثال :

United Nations, Department of social affairs, Population Division, Foetal, infant and Early childhood Mortality, New York 1954, vol I, The statistics, pp. 3-9.

وانظر كذلك ، باركلى ، المرجع السابق ، ص ١٣٧ .

ويوضح المعجم الديموجرافي الدولي أن الجنين يعد قادرا على الحياة اذا استطاع أن يحيا خارجا عن أمه ولو فترة قصيرة من الزمن ، وذلك يكون بعد الشهر الخامس من الحمل على أقل تقدير . أما قبل هذه الفترة فهو غير قادر على الحياة . فالحد الأدنى لمدة الحمل يقع بين الشهر الخامس والشهر السابع . واذا زادت مدة الحمل على ذلك كان طرح الأم لجنينها أو اخراجه منها وضعاء . وقبل الشهر الخامس يسمى ذلك اجهاضا واسقاطا (١) .

ويعرف المعجم المذكور «الوضع» بأنه اما وضع لتمام فهو اتمام واما اخداج اذا ولدت قبل تمام شهور الحمل لكن بعد الشهر السادس . والولد في الحالة الأولى تميم وفي الثانية خديج . فتمام الحمل أو عدم تمامه يستند الى مدة الحمل . ولكن قد يعول على وزن الوليد لا على مدة الحمل لمعرفة الخداج . وعندئذ يعتبر الوزن عند الولادة خمسة أرطال انجليزية ونصف الرطل أو ٢٥٠٠ جرام . فمن كان وزنه أقل من ذلك عد ناقص التكوين (٢) .

يضاف الى ذلك كله الثغرات العديدة وصور الاهمال في تسجيل واقعات الوفاة والتي تتركز في فترة العام الأول من عمر الوليد ، وخاصة في الساعات الأولى عقب الولادة ، أو خلال الأيام الأولى من عمر الطفل . وتعد كل تلك الظروف من عوامل الأخطاء التي تعيب البيانات ، والتي تكون بمثابة عقبة خطيرة أمام تحليل وفيات الرضع .

ويستطيع الباحث أن يكون فكرة تقريبية عن هذه الحالة في مختلف أنحاء العالم حاليا بدراسة معدلات وفيات الرضع . والملاحظ بصفة عامة أن تفاوتها كبيرا في معدلات وفيات الرضع بين مناطق العالم المختلفة ، فبعضها يعرف معدلات عالية

---

(١) هناك انواع من الاجهاض منها الاجهاض العفوى أو الاجهاض الطارىء وهو ماوقع دون قصد ويقابله الاجهاض المتعمد . وثمة الاجهاض العلاجي يعمله الطبيب حفظا لصحة الأم الحامل وابقاء على حياتها . وتبيح قوانين بعض البلاد الاجهاض في بعض الأحوال ، ولذلك نشأ نوعان منه : الاجهاض القانوني ، والاجهاض غير القانوني أو الاجهاض الاجرامى . انظر المعجم الديموجرافي الدولي ، مرجع سابق ، ص ٧٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٧٥ - ٧٦ .



بشكل ملفت، بينما استطاع بعضها خفض تلك المعدلات الى أدنى مستوى ممكن حتى الآن. والملاحظة العامة الأخرى أن تلك المعدلات تكون أعلى بين الذكور منها بين الاناث في نفس الجماعة السكانية.

وقد كان الشائع في عهود مضت (منذ زمن غير بعيد) أن تكون معدلات وفيات الرضع لكلا الجنسين بين ٢٥٠ الى ٣٠٠ واقعة وفاة أو أكثر لكل ألف مولود. معنى هذا ان المجتمع يفقد ربع الى ثلث عدد مواليده الجدد خلال العام الأول من عمرهم. أما اليوم فقد انخفضت معدلات وفيات الرضع الى حوالى ٢٠ الى ٤٠ فى الألف فى بعض البلاد (وليس فى جميعها طبعاً). بحيث أصبح من الصعب اليوم أن نجد معدل وفيات الرضع أكثر من ٢٠٠ فى الألف فى أى بلد من بلاد العالم. وان كانت مثل هذه النسب العالية ما تزال موجودة فى بعض البلاد، فانها ليست مسجلة بشكل يمكن الركون اليه فى احصائيات دقيقة.

والمهم أن وعى الناس فى كل أنحاء العالم قد ازداد بإمكانية تحسين هذه الأوضاع وخفض معدلات وفيات الرضع حيثما تكون. فوفيات الرضع تعتبر من الأمور التى يمكن خفضها بسهولة بتطبيق العلم الحديث فى ميادين الطب الوقائى، والعناية بالأطفال وبتغذيتهم، والعناية بالأمهات عند الوضع، ومراعاة قواعد الصحة العامة وما الى ذلك. وقد أخذت هذه المعرفة فى الانتشار على نطاق واسع فى النصف الثانى من القرن العشرين ويجرى تطبيقها فى أكثر بلاد العالم لحماية أرواح هؤلاء الصغار. فاذا ما استمر هذا الاتجاه خلال الربع الأخير من هذا القرن - وهو أمر يبدو مؤكداً - فاننا نجد تنبؤات قوية بناء على هذا بأن العالم سيشهد ارتفاعاً مفاجئاً فى عدد السكان تتضاءل الى جانبه الزيادات التى حدثت منذ عام ١٩٥٠ (١)

---

(١) لين سميث، اساسيات علم السكان، مرجع سابق، ص ٤٦٦ - ٤٦٧.

## الوفيات خلال مرحلة الطفولة

الملاحظ ان العقبات الرئيسية التى تعوق وضع معدلات وفيات الرضع لوجود لها عند قياس الوفيات فى الأعمار الأكبر، أى بعد أن يتجاوز الوليد العام الأول من عمره. فبعد هذا العمر يكون حساب معدلات الوفيات فى مراحل الطفولة المختلفة أيسر وأسهل كثيرا عن ذى قبل. حيث نكون بصدد معدلات لوفيات سنة معينة منسوبة الى مجموع عدد السكان فى منتصف تلك السنة. وأول فئة عمرية نحسب لها معدلات وفيات مستقلة بعد مرحلة الرضاعة هى الفترة من عام الى خمسة أعوام عادة. أما بعد تلك الفترة فقد جرت العادة أن نحسب الفئات العمرية بفارق خمس سنوات، أى من ٥ - ١٠، ومن ١٠ - ١٥ وهكذا فيكون ذلك الفارق كافيا لخدمة أغراض البحث والتحليل.

والمعروف أن الصغار الذين يجتازون مرحلة الرضاعة والعام الثانى من حياتهم يتمتعون عادة ببيئة مأمونة نسبيا، يمكن أن تقودهم الى النضج الجسمانى فى أمان. وقد أثبتت الاحصائيات أن خطر الموت يصل أدنى منسوب له فى فترة العمر الواقعة بين العام الخامس والعام الخامس عشر.

ويدرك من يستعرض دراسات الوفيات أن هذه المرحلة من مراحل العمر قد استحوذت على أقل اهتمام من جانب الدارسين، لأنها أقل فترات العمر فى معدلات الوفيات. والشائع أن يهتم الباحثون بالفترات التى تشهد معدلات وفيات عالية، كمرحلة الرضاعة ومرحلة الشيخوخة. أما تلك المرحلة فإنها أقل مراحل العمر وفيات. ولكن لاشك أن هذا الاهمال ليس سليما من الناحية العلمية لأنه اذا افترضنا أن أنماط الوفيات فى مراحل العمر المتأخرة قد تنشأ فى تلك المرحلة المبكرة، فانه كان حريا بالدارسين أن يوجهوا مزيدا من جهودهم لتحليل أنماط الوفيات فى هذه الفترة. ولكن الواقع العلمى الذى نشهده هو ضعف الشواهد المتاحة عن أنماط الوفيات فى تلك المرحلة، الى حد أن هناك كثيرا من الكتب والمداخل الكبيرة التى تسقط الكلام عن وفيات تلك المرحلة بشكل يكاد يكون كاملا.

## الوفيات فى سن العمل أو سن الانجاب

تبدأ أنشطة الكبار تظهر أثرها على الوفيات فى مرحلة متأخرة نسبيا من مراحل العمر. ويتضح ذلك بالنسبة لمعدلات الوفيات فى الفترة من سن الخامسة عشر حتى سن الستين أو الخامسة والستين. وتتميز معدلات الوفيات فى تلك الفترة بالزيادة بشكل عام كلما تقدم العمر، مع وجود فروق مستمرة بين الذكور والاناث فنجد أن الرجال بصفة عامة أكثر تعرضا للموت فى تلك السن وذلك بسبب تعرضهم لطائفة أوسع من الأخطار. وتمثل هذه الفترة الطويلة من العمر الحياة العملية للفرد، ابتداء من الفترة التى يشرع فيها الشباب فى الاضطلاع بكسب عيشهم حتى المرحلة التى يبدأ فيها التقاعد عن العمل. مع مراعاة أن وفيات البالغين فى تلك المرحلة من العمر تتأثر بنوع المهنة التى يمارسونها، وهو ما سنعود الى تناوله بالتفصيل فى فقرة لاحقة من هذا الفصل.

أما بالنسبة لوفيات الاناث فى تلك الفترة فانها تتأثر هى الأخرى ببعض أنماط النشاط الاقتصادى. ولكن الأهم أنها تتأثر الى جانب ذلك بأنواع أخرى من الأنشطة الخاصة بالاناث والناشئة أساسا من أداء دور الأمومة، وما يرتبط بهذا الدور من أخطار الولادة ورعاية الصغير فى مراحل عمره الأولى.

وعلاوة على هذا تتميز وفيات النساء البالغات فى بعض الأحيان بقسط متميز، حيث تتركز نسبة أكبر من الوفيات قرب سنوات الخصوبة القصوى (الفترة من خمسة عشر عاما حتى الأربعين)<sup>(١)</sup>. ففي هذه السن ترتفع معدلات الوفيات بين النساء بشكل يفوق معدلات وفيات الرجال فى نفس السن. وتظهر آثار هذه العوامل المختلفة على امتداد فترة العمر من ١٥ - ٦٤ سنة. وعلى الباحث ألا يتوقع

---

(١) مع العلم بأن سن الخصوبة عند المرأة تزيد عادة الى سن الخامسة والأربعين وأحيانا الى الخمسين. ولكن المهم أنه لا يمكن القول حتى الآن بوجود نمط أو اتجاه عام لمعدلات وفيات النساء فى تلك الفترة من العمر. ويرجع ذلك الى أن الأدوار المهنية والعائلية التى تضطلع بها المرأة تختلف اختلافا بعيدا من مجتمع لآخر على امتداد العالم. كما يوجد تفاوت كبير فى المستوى العام لصحة المرأة من بيئة لأخرى، وهى كلها أمور مرتبطة بوضع المرأة وظروفها الاقتصادية والاجتماعية ونوع المجتمع. انظر كذلك باركلى، المرجع السابق، حاشية رقم ٢٩ على صفحة ١٤٥.

ملاحظتها الا من خلال معدلات الوفيات الخاصة بالعمر فقط ، طالما أن المعلومات  
الاضافية المفصلة نادرة ومتفرقة بشكل ملحوظ .



### الوفيات في مرحلة الشيخوخة

من الأمور البديهية المعروفة للجميع أن معدلات الوفيات ترتفع في أواخر  
العمر، ويضطرد ارتفاعها بسرعة مع تقدم السن . فعند الخامسة والستين (وقبل  
ذلك في بلاد العالم الثالث) ترتفع معدلات الوفيات بحيث تتجاوز معدلات وفيات  
الرضع . والجدير بالملاحظة في هذا الصدد أنه في تلك المرحلة من العمر تقل  
الفروق بين الدول التي تتباين فيها - فيما عدا هذا - اتجاهات وأنماط الوفيات تباينا  
ملحوظا . والحقيقة الجديرة بالاهتمام أيضا أن معدلات الوفيات العالية لا تمثل من  
الناحية العددية قسما كبيرا من وقائع الوفاة، بسبب قلة عدد كبار السن كشريجة من  
شرائح المجتمع . معنى هذا أنها لا تؤثر بالضرورة على معدل الوفيات العام  
للمجتمع ، على خلاف ما لاحظناه بالنسبة لمعدل وفيات الرضع ، الذي يؤثر  
ارتفاعه على ارتفاع معدل الوفيات العام بسبب ضخامة شريحة الرضع في المجتمع<sup>(١)</sup>

ولذلك لا يعد شيئا غريبا أو ملفتا للنظر أن يفقد المجتمع كل سنة نسبة كبيرة  
من الأفراد الذين وصلوا الى هذه السن المتقدمة . بل اننا يمكن أن نعهم هذه  
الملاحظة ونقول أن وفيات السكان في مرحلة الشيخوخة لم تنل بعد القدر الواجب  
من الاهتمام والتحليل ، اللهم الا حيثما يفرض التركيب العمري للمجتمع  
الاهتمام بشئون كبار السن ويجعل شئونهم مشكلة ذات أهمية اجتماعية عامة ، ربما  
بسبب ضخامة هذا القطاع من السكان بالقياس الى المجتمعات الأخرى . ويتجلى  
ضعف الاهتمام هذا في عدم العناية بسجلات كبار السن ، أو لا يشجع على نشر

---

(١) انظر، باركلي، المرجع السابق، ص ١٤٥ .

المعلومات الكافية عنهم اذا ما كانت متاحة ومتوفرة . وربما انعكس عدم الاهتمام هذا في ميل كثير من الدارسين والمسؤولين الى الاعتقاد بأن معدلات الوفيات التفصيلية لكبار السن لا تستأهل ما يبذل فيها من جهد، حتى ولو كانت البيانات المطلوبة متيسرة . ولذلك جرت العادة أن يحسب معدل وفيات كبار السن في فئة واحدة «الأفراد في سن الستين فما فوق» أو في فئتين اثنتين فقط «من ٦٠ - ٧٠» ، و «٧٠ سنة فما فوق» . ولا شك ان معدل الوفيات لهذه الفئة العمرية الكبيرة خاصة في معظم الدول الصناعية المتقدمة - يجعله أقرب الى معدل الوفيات الخام . ويخلع عليه كل العيوب ونواحي النقص التي تعيب معدل الوفيات الخام بالنسبة لمجموع السكان (في كل الأعمار) . معنى هذا أنه لا يصلح كأساس لمقارنة سكان مجتمعات مختلفة أو جماعات سكانية تختلف في تركيبها السكاني .

ولهذه الأسباب جميعها يتعين على الباحثين في هذا الميدان أن يحاولوا استخراج معدلات وفيات خاصة بفئات عمرية محدودة لكبار السن . واذا تعذر عليهم تحقيق ذلك لهذا السبب أو ذاك فليس أمامهم سوى التزام الحذر الشديد بالنسبة للنتائج التي يستخرجونها من معدل وفيات واحد خاص بجميع فئات كبار السن .

\*\*\*



## الفصل السادس

### اتجاهات الوفيات

كذلك تتيح لنا معدلات الوفيات اجراء مقارنات للوفيات في تواريخ مختلفة. ويعد هذا النوع من المقارنات الأسلوب التقليدي الشائع بين الدارسين لقياس التغير في الوفيات أو التعرف على اتجاهها.<sup>(١)</sup>

وهناك بعض القواعد والمحاذير التي يجب مراعاتها عند اجراء مثل هذه المقارنات. اذ من المؤكد - على سبيل المثال - أن عملية القياس سوف تتأثر حتما بطول الفترة بين القياسين. ومن هنا أصبح من الضروري عند اجراء مقارنة للاتجاهات بين جماعتين سكانيتين مثلا أن تغطي البيانات نفس الفترة الزمنية. اذ أنه قد يكون من الغريب، بل وربما من المستحيل، أن نقارن بين تغيرين، اذا كانت تفصل بين الرقمين في احدى الجماعتين فترة عشر سنوات مثلا، وتفصل بين الرقمين في الجماعة الثانية فترة اثنتى عشرة سنة. ومن حسن الحظ أن بيانات التعداد في البلاد المختلفة تتضمن البيانات المطلوبة عن معدلات الوفيات، وقد جرت العادة في أغلب البلاد على أن تجرى التعدادات كل عشر سنوات، مما يضمن لنا توحيد فترات قياس التغير، أو الوحدات الزمنية للمقارنة.

والملاحظ بصفة عامة أنه في فترة ما قبل انتشار الرعاية الطبية الحديثة لم تكن لدينا سوى شواهد غير مباشرة عن مستويات الوفيات في بلاد العالم المتقدمة، حيث لم تكن تجرى تسجيلات دقيقة للوفيات، لأنه لم يكن يتم الكشف طبيا على الجثث

---

(١) من الأمور الجديدة بالملاحظة في هذا الصدد أن معدل الوفيات يمثل بطبيعة الحال فترة أساس معينة، ولا يمثل تاريخا محدا. وبإمكاننا أن نتجاهل التضارب بين الفترتين، أو بين طريقتي الحساب، ولكن بشرط أن تزيد فترة الأساس عن عام واحد، والا نشأ نتيجة ذلك قدر كبير من الخلط والاضطراب. وعند استخدام معدل وفيات فترة أساس معينة، يعتبر هذا المعدل ممثلا لمتنصف الفترة بالضبط. انظر باركلي، المرجع السابق، ص ١٤٦.

لتقرير الوفاة. وتدل بيانات تلك الفترة على وجود تغيرات كبيرة في معدلات الوفيات من فترة لأخرى، ولكننا لا نستطيع القول بوجود تغير ثابت متصل في اتجاه الوفيات. وإن كان الاتجاه الغالب على الوفيات على امتداد القرنين أو الثلاثة الماضية هو الانخفاض المستمر بشكل عام. غير أن تلك التغيرات لم تكن متماثلة في كل مكان، ولا مضطردة في حدوثها. حقيقة أن الانخفاض كان هو الاتجاه العام، ولكن كانت تقطعه فترات ازدياد كبير من حين لآخر. ومع هذا فإننا نستطيع أن نقول دون تجاوز أن خفض معدلات الوفيات كان يمثل هدفا رئيسيا لكل السياسات العامة في كل بلاد العالم تقريبا على امتداد تلك الفترة.

ومما يؤسف له حقا أنه ليست تحت أيدينا بيانات عن تلك التغيرات تغطي فترات طويلة، فالملاحظات الكمية التي يعتد بها حديثه كل الحداثة، ولا تمثل سوى فترة مقيدة جدا في عمر المجتمع الانساني. ومع ذلك فإنه يتعين علينا من ملاحظة بيانات تلك الفترة الوجيزة - نسبيا - أن نتعرف على أنماط هذا الانخفاض وكيفية انتشارها، والفروق بينها في سرعة الحدوث وتوقيت المتغيرات التي حدثت في مختلف المناطق وعند مختلف الجماعات السكانية.

ويمكن القول من استعراض أبرز الكتابات السكانية عن الوفيات أنه ليست هناك مناهج خاصة معينة لتحليل التغيرات التي تطرأ على الوفيات. فبإمكان الباحث أن يستخدم أى نوع من أنواع معدلات الوفيات للتعرف على اتجاهات الوفيات في المجتمع. ويحدد اختيار الباحث لنوع معدل الوفيات الذي سيعتمد عليه طبيعة ذلك الجانب من جوانب الوفيات الذي يتصدى لدراسته. ولو أننا ندرك، وعلينا أن ندرك، أن هذا الاختيار نفسه محصور في حدود أنواع البيانات المتاحة للباحث والمتوفرة تحت يديه. فقد يضطر الباحث الى اختيار أحد المعدلات الذي لا يخدم غرض بحثه على الوجه الأكمل، وذلك لتعذر الحصول على معلومات أفضل يمكنه الركون إليها في بحثه. فإذا لم تكن هناك احصائيات عن وفيات الأطفال الرضع خلال الشهر الأول من العمر أى Neonatal Mortality فإن الباحث



قد يضطر اضطرارا الى الاعتماد على مجموعة من معدلات وفيات الرضع للتعرف على ما اذا كانت وفيات الرضع خلال الشهر الأول قد تغيرت أم لا. هذا مع العلم بأن هذين المعدلين من معدلات الوفيات لا يتغيران بنفس الطريقة تماما، وإنما يمكن أن يكون بينهما تفاوت ملحوظ في التغير. كذلك قد لا يستطيع الباحث في أغلب الأحوال التعرف على اتجاه التغير في معدل وفيات الأمهات عند الوضع Maternal Mortality مباشر بسبب عدم وجود بيانات دقيقة عن الوفيات الناشئة عن هذا السبب. ويصبح عليه في هذه الحالة أن يدرس هذه الظاهرة من خلال معدلات وفيات جميع النساء في الفئات العمرية التي تبلغ فيها احتمالات الحمل ذروتها<sup>(١)</sup> ومن هنا يمكن القول بأن اختيار أى نوع معين من أنواع معدلات الوفيات للاعتماد عليه في الدراسة يعنى تماما اختيار جانب معين من جوانب موضوع الوفيات للدراسة، أعنى أننا نختار الجانب الذى تتوفر لدينا عنه معدلات وفيات يمكن الاعتماد عليها بشكل أكيد.

وأبرز أنواع المؤشرات المستخدمة لهذا الغرض وأكثرها انتشارا هو مجموعة من معدلات الوفيات الخام. وقد سبقت الإشارة في فصل سابق الى مميزات معدلات الوفيات الخام، مما يجعلنا في غير حاجة الى تكرارها الآن. ولكننا نضيف الى ما سبق أن معدلات الوفيات الخام يمكن حسابها في صورة معدلات سنوية، نظرا لأنه لا توجد صعوبات كبيرة في تقدير مجموع السكان في منتصف العام. كذلك تعتبر معدلات وفيات الرضع أداة مناسبة للوقوف على أرقام سنوية، نظرا لأنها لا تتطلب عمل تقديرات لعدد السكان في منتصف العام. أما الأنواع الأخرى من معدلات الوفيات الخاصة فانها تعد أقل ملاءمة لقياس التغير في اتجاهات الوفيات، لأنها

---

(١) من الواضح أن معدلات الوفيات الخاصة بالعمر تعد مؤشرا افضل لوفيات الأمهات عند الوضع اذا كانت الخصوبة مرتفعة، أما اذا كانت الخصوبة منخفضة فانها تفقد هذه الميزة. والسبب في ذلك ببساطة هو أن الحمل يكون أكثر حدوثا في الحالة الأولى. ومن ثم يؤثر على نسبة أكبر من النساء البالغات كل سنة. أما اذا كانت معدلات المواليد منخفضة أو أخذت في الانخفاض فان تأثير الحمل على معدلات الوفيات الخاصة بالعمر هذه سوف ينخفض بنفس الشكل، بغض النظر عما اذا كانت المخاطر المرتبطة بعملية الولادة نفسها منخفضة ايضا.

تعتمد بدرجة أكبر على بيانات التعداد وعلى تقدير عدد السكان في منتصف العام في قطاعات معينة من السكان . وهى تقديرات لا يمكن عملها بسهولة في التواريخ الواقعة بين تعدادين .

ويجب أن نؤكد بوضوح أن قياس اتجاه معدلات الوفيات يتوقف على دقة البيانات التى يبنى عليها هذا القياس . لذلك تعد العقبة الأولى أمام إجراء هذا النوع من القياسات عدم دقة البيانات الأساسية نفسها . ثم هناك بعد هذا بعض الظروف والسمات الخاصة المميزة لمعدلات الوفيات نفسها، والتى تمثل كذلك صعوبات أمام إجراء هذه المقياس . وهناك ثالثاً بعض مصادر الخطأ التى يمكن أن نصادفها بالذات عند عمل قياس لاتجاهات الوفيات . ومن أهم الموضوعات التى يجب الانتباه إليها فى هذا الصدد التغيرات التى تطرأ على تركيب السكان، وعدم استمرار النظام الإحصائى الذى يمدنا بالبيانات الأساسية التى نعتمد عليها .

فلاحظ على امتداد فترة زمنية طويلة نسبياً أن معدلات الوفيات الخام قد لا تعكس لنا التغيرات التى تطرأ على مستوى الوفيات نفسها فحسب، ولكنها يمكن أن تعكس فى نفس الوقت التغيرات التى تطرأ على تركيب السكان، خاصة التغير فى التركيب العمرى . والعادة أن تكون مثل هذه التغيرات فى التركيب العمرى تدريجية بطيئة بحيث تصعب ملاحظتها بدقة عند تتبع اتجاه الوفيات فى نفس المنطقة . وحتى لو كانت تلك التغيرات فى التركيب العمرى سريعة - ربما بسبب الهجرة على سبيل المثال - فإنها تلتفت النظر بنفس الوضوح الذى تفرضه نفس التغيرات التى تبدو عند مقارنة جماعتين سكانيتين مختلفتين .

كما نجد ان اتجاه الوفيات المسجل يمكن أن يتعرض للتشويه والغموض اذا تغيرت طريقة اجراء الاحصاءات واعداد البيانات الاحصائية . فقد يوسع القائمون بالتعداد نطاق المنطقة الكلية التى يجمعون بيانات عنها، مما يترتب عليه بطبيعة الحال ادخال جماعات سكانية جديدة ضمن البيانات التى يقارن الباحث على أساسها . بل اننا نلاحظ علاوة على هذا أن البيانات الاحصائية الخاصة بنفس

الجماعة (أو بنفس المنطقة) يمكن أن تصبح أكثر اكتمالا عن الاحصاء السابق عليها. (١) كما أنه من الأمور التي تتعرض للتغير المستمر نظم تصنيف البيانات بل صور التحيز المختلفة التي ينطوى عليها النظام الإحصائي المعمول به . من هذا مثلا الاتجاه الى التزام الدقة الصارمة في التبليغ عن وقائع الولادات الميتة ، مما ينعكس في زيادة مفاجئة في عدد وفيات الرضع تدل بدورها على حدوث «زيادة» في معدلات وفيات الرضع . ومع أن معدل الوفيات الخام معرض لأنواع عدة من التشويه والخطأ ، الا أن التأثير الفعلي لبعض التغيرات التي تطرأ على النظام الإحصائي والتي تظهر على مجموعة من معدلات الوفيات الخام تكون ضئيلة عادة . وان كان تأثير نفس تلك التغيرات قد يكون أعظم على الاتجاه الذي تكشف عنه أنواع أخرى من المعدلات .

ومع ذلك فانه يمكن القول بأن معدلات الوفيات الخام تعد دليلا سطحيا على اتجاه الوفيات . ذلك أن مستوى الوفيات لا يتغير في الحقيقة وبنفس القدر وفي نفس الاتجاه في كل أجزاء السكان . ولمعرفة أنماط الاتجاهات الخاصة لابد من معالجة كل جماعة سكانية على حدة ، وذلك بالاعتماد في هذه الحالة على معدلات الوفيات الخاصة . وتتيح لنا هذه الوسيلة علاوة على هذا تحقيق ميزة اضافية ، هي تجنب بعض مصادر الخطأ والتشويه الراجع الى تغير التركيب السكاني في المجتمع موضوع الدراسة . فاذا ذكرنا أكثر معدلات الوفيات الخاصة استخداما قلنا ان

---

(١) من المعروف أن أى اكتمال - أو نقص - في النظام الإحصائي المعمول به يمكن أن يؤثر على اتجاه الوفيات من نواح مختلفة . فمع ازدياد درجة الحصر والدقة في تسجيل الوفيات ، نجد ان اتجاه معدلات الوفيات يأخذ في الارتفاع . مما يعطى انطباعا كاذبا بحدوث تدهور في الخدمات والمرافق الصحية العامة . والأمر المثير للسخرية حقيقة أنه قد حدث فعلا في بعض البلاد أن أدى تدهور نظام التسجيل - داخل نفس البلد - الى انخفاض معدل الوفيات ، مما اعطى انطباعا - كاذبا طبعا - بحدوث تقدم في ذلك البلد . كما نلاحظ من ناحية أخرى ان تطوير وتحسين أساليب الحصر عند اجراء التعداد يمكن أن يكون لها تأثير عكسى ، اذ تقلل من معدلات الوفيات (نسبيا) . ولكن لاشك مع ذلك كله ان التشويه والأخطاء التي تحدث قد تكون قليلة الشأن ، ولا تكون من الضخمة بحيث تستطيع أن تؤدى الى نتائج خاصة ذات وزن .

التغيرات التي تطرأ على معدلات الوفيات الخاصة بالعمر لا تتأثر بتغير التركيب العمري.

ويوضح الجدول رقم (٤) التغيرات الرئيسية التي طرأت على الوفيات حسب فئات الأعمار المختلفة في سيلان، على امتداد فترة طولها سبع سنوات بين تعداد عام ١٩٤٦ وتعداد عام ١٩٥٣ (العمود رقم ٢ والعمود رقم ٣ في الجدول). على أن الملاحظ على هذا الجدول :

انه يقدم صورة دقيقة كل الدقة ومفصلة كل التفصيل بحيث يصعب ادراك اتجاهها من أول وهلة . ولتوضيح اتجاه معدلات الوفيات يمكننا أن نقيس الاتجاه بعيداً عن قيم المعدلات نفسها، كما نرى ذلك في العمودين رقم ٣ ورقم ٤ من الجدول . ولكن هناك طريقتين لرؤية هذه التغيرات وفهماها . فعلياً بادية ذى بدء أن نقرر ما اذا كنا سنقارن الفروق في معدلات الوفيات الفعلية أو المطلقة ، أو التغيرات النسبية في تلك المعدلات . والمقصود بالتغيرات المطلقة في معدلات الوفيات (هى معدل وفيات عام ١٩٤٦ مطروحاً منه معدل وفيات عام ١٩٥٣ ، لاحظ علامات الزائد والنقص) وهى المذكورة في العمود الرابع من الجدول . أما التغيرات النسبية فتوضحها المعدلات المذكورة في العمود الخامس من الجدول، وهى عبارة عن حاصل قسمة معدل وفيات عام ١٩٥٣ على معدل وفيات عام ١٩٤٦ أى :

$$\text{معدل التغير النسبى} = \frac{\text{معدل وفيات عام ١٩٥٣}}{\text{معدل وفيات عام ١٩٤٦}}$$

فكل نوع من نوعى المقارنة هذه يزودنا بصورة مريحة للتغير الذى طرأ على الوفيات على حسب الأعمار . أولاً الانخفاض السريع جداً في معدلات الوفيات في سيلان في الفترة من ١٩٤٦ حتى ١٩٥٣ ، وقد شمل هذا الانخفاض كل فئة من فئات العمر . ومع ذلك فان هناك فروقا كبرى في درجة التأثير بهذا الانخفاض ، كما يوضح الجدول .

جدول رقم (٤)

| (١)             | (٢)                  | (٣)                  | (٤) (أ)                                | (٥)                                    |
|-----------------|----------------------|----------------------|----------------------------------------|----------------------------------------|
| فئات العمر      | معدلات وفيات ١٩٤٧-٤٥ | معدلات وفيات ١٩٥٤-٥٣ | التغيرات المطلقة<br>عمود ٢ -<br>عمود ٣ | التغيرات النسبية<br>عمود ٣ ÷<br>عمود ٢ |
| صفر - ٤         | ٦١,٥                 | ٣٤,٠                 | ٢٧,٥-                                  | ٥٥                                     |
| ٥-٩             | ٦,٧                  | ٣,٥                  | ٣,٢-                                   | ٥٢                                     |
| ١٠-١٤           | ٣,٢                  | ١,٤                  | ١,٨-                                   | ٤٤                                     |
| ١٥-١٩           | ٤,٩                  | ١,٩                  | ٣,٠-                                   | ٣٩                                     |
| ٢٠-٢٤           | ٨,٠                  | ٢,٩                  | ٥,١-                                   | ٣٦                                     |
| ٢٥-٢٩           | ٩,١                  | ٣,٦                  | ٥,٥-                                   | ٤٠                                     |
| ٣٥-٤٤           | ١١,١                 | ٤,٨                  | ٦,٣                                    | ٤٣                                     |
| ٤٥-٥٤           | ١٥,٩                 | ٧,٧                  | ٨,٢-                                   | ٤٨                                     |
| ٥٥-٦٤           | ٢٧,٥                 | ١٦,٦                 | ١٠,٩                                   | ٦٠                                     |
| ٦٥ فأكثر        | ٩٥,٧                 | ٧٤,٥                 | ٢١,٢-                                  | ٧٨                                     |
| جميع فئات العمر | ١٨,٩                 | ١١,١                 | ٧,٨-                                   | ٥٩                                     |

(أ) علامة الناقص - تشير إلى انخفاض معدل الوفيات.

المصدر: معدلات ١٩٤٥-١٩٤٧ هي نفسها الواردة في الجدول رقم ٢-٥ عند باركلي أما معدلات ١٩٥٢-١٩٥٤ قد حسبت من واقع عدد الوفيات المسجلة في «تقرير السجل العام لسيلان عن الاحصائيات الحيوية» الأعوام ١٩٥٢، ١٩٥٣، ١٩٥٤، ملحق الاحصائيات جدول رقم ١٤. وكذلك تعداد سكان سيلان الذي أجرى عام ١٩٥٣ والمنشور في «الكتاب السنوي لسيلان»، ١٩٥٦، الجدول رقم ٤٥ ونقلا عن باركلي المرجع السابق، ص ١٤٩.

والملاحظ علاوة على هذا أن نوعى المقارنة لا يعطينا نفس الصورة. اذ نجد أن الهبوط المطلق فى الجدول رقم (٧) والذى نعرض له فى الفصل القادم قد بلغ ذروته بين فئتى الأطفال الصغار وكبار السن. أما الهبوط النسبى فقد وصل الى أعلى معدل له بين صغار البالغين، فى حين بلغ أدنى حد له بين كبار السن والأطفال الصغار. ولا شك أننا لو توصلنا الى عمل معدلات لفئات عمرية أصغر من الواردة فى الجدول، فإنه ستظهر تفاصيل أكثر عن طبيعة نمط التغير فى الوفيات فى المجتمع المذكور.

\*\*\*

## الفصل السابع

### أسباب الوفاة

الوفاة كما نعلم هى حصيلة طائفة من الظروف التى تنطوى على تهديد الحياة، كبعض الأمراض المعينة، أو مستويات الصحة العامة، أو الحوادث أو العنف. ونجد أن معظم دول العالم التى تحتفظ باحصائيات دقيقة ومنظمة للوفيات تحرص على تحديد هذا العامل أو ذاك الذى يبدو مسئولا بشكل مباشر عن وقوع كل حالة وفاة وتسجله أمام الحالة باعتباره «سبب الوفاة». ومن هنا فإن اطالة أمد الحياة بين أفراد جماعة سكانية معينة يمكن أن يعد تقليلا لحدوث أو لتواتر هذه العوامل المؤدية الى الموت أو تقليلا لتأثيرها المميت. (بمعنى أنها يمكن أن تحدث ولكنها لا تمثل خطرا مباشرا على حياة من يصابون بها أو يتعرضون لها).

ويمكننا من هذا المنظور أن نكتشف أنماط الانخفاض فى الوفيات، وذلك عن طريق معرفة أنواع الوفيات التى أصبحت أقل حدوثا، مصنفة تبعا لأسباب حدوثها. ويمكن على هذا الأساس نفسه أيضا اجراء مقارنات بين الوفيات فى مجتمعات مختلفة. ويصلح هذا الأسلوب كذلك فى تقييم بعض المشروعات التى تستهدف رفع مستوى الصحة العامة وتحسين الخدمة الطبية، أو المساهمة فى التعرف على الاحتياجات المطلوبة فى هذا الميدان. وقد تكون مثل هذه البيانات المصدر الاحصائى الوحيد المتاح للوقوف على الحالة الصحية العامة فى مجتمع معين<sup>(١)</sup>

---

(١) اذ الملاحظ أن السجلات المستقلة الخاصة بالأمراض نادرة الوجود ولا يمكن الاعتماد عليها اطلاقا لعدم دقتها، ربما كان أحد الأسباب البارزة لذلك اختلاف الأطباء فى تشخيص الأمراض. ولكن أغلب الناس يموتون بعد فترة من الإصابة بمرض معروف ومحدد. ومن هنا فإن سجلات الوفيات المحددة الدقيقة يمكن أن نمدها بمعلومات غير مباشرة عن الأمراض الشائعة فى المجتمع، ودرجة شيوعها، والفئات التى تصيبها، والأعمار التى تؤثر وتكثر فيها. . . الخ وهى جميعها معلومات بالغة القيمة للقائمين على أمر تخطيط الرعاية الصحية والخدمات الطبية فى المجتمع.

وتتخذ معدلات الوفاة تبعا لسبب الوفاة شكلا خاصا متميزا . اذ تكون عبارة عن معدلات لوفيات سنة معينة مصنفة على حسب الأسباب ومنسوبة الى مجموع عدد السكان في منتصف العام . وتعرف هذه المعدلات عادة باسم «معدلات الوفيات تبعا لسبب الوفاة» . وقد تحسب تلك المعدلات بالنسبة لمجموع السكان . كما يمكن اذا توفرت البيانات أن تحسب بالنسبة لكل فئة عمرية على حدة ، وذلك باستخدام نفس الطريقة ولكن منسوبة الى كل فئة من فئات العمر في المجتمع . وفي هذه الحالة يصبح اسم هذه المعدلات «معدلات الوفيات تبعا لسبب الوفاة وفئات العمر» . وتثير هذه الطريقة طائفة من المشكلات التي سنعود الى الاشارة اليها فيما بعد .

ويبدو تأثير تقليل ظهور بعض الأمراض المعينة واضحا اذا أمعنا النظر في المثال الفريد الذي حدث في سيلان نتيجة التحكم في مرض الملاريا في أوائل العقد السادس من هذا القرن . نحن نعرف أن العلم الحديث قد توصل في أوائل الأربعينات من هذا القرن الى بعض الأساليب التي يمكن أن تساعد في القضاء على البعوض الناقل للملاريا وما أن بدأ استخدام هذه الأساليب على نطاق واسع حتى لاحظنا أنها أدت الى تغيير سريع في نمط الوفيات في المناطق التي كانت تعد فيها الملاريا أحد الأسباب الرئيسية للوفاة في الماضي . والمثال البارز على ذلك كما أشرت هو ذلك الهبوط الحاد في الوفيات الراجعة الى الملاريا في سيلان ، وبالتالي الهبوط الكبير - الذي تبع ذلك - في معدلات الوفيات الختام - كذلك حدث في نفس الفترة انخفاض كبير جدا في بعض وفيات الرضع ، كما يدلنا على ذلك الجدول رقم (٥) . (١) . ولكنه يبدو واضحا في نفس الوقت أن الانخفاض في الوفيات

---

(١) لاشك أن هذا الهبوط العام في الوفيات كان راجعا في نفس الوقت الى الانتفاع ببعض الاكتشافات الطبية الحديثة الأخرى في الحياة العامة خلال الفترة التي يغطيها الجدول المذكور . بحيث انه يتعين علينا نتيجة لذلك أن نذكر أن التغير الذي طرأ لم يكن راجعا كلية الى التغلب على مرض الملاريا فقط . ومع ذلك فنحن نعرف أن ٦٪ من مجموع الوفيات في فترة من ١٩٣٦ الى ١٩٤٠ كان يعزى الى الملاريا ، بينما بلغت تلك النسبة ١ ، ١٪ فقط في عام ١٩٥٢ . انظر كذلك :



الناشئ عن تحسين الصحة العامة في هذا الصدد قد بلغ ذروته، بحيث لا يمكن أن تؤدي أى جهود في هذا الصدد الى مزيد من التخفيض، وان كان سيحدث اطالة في الحياة فلا بد وأن يكون ذلك بسبب مصادر تأثير جديدة. فالوفيات الراجعة الى الملاريا في سيلان لا يمكن أن تخفض كثيرا عن المستوى الذى بلغته عام ١٩٥٢. معنى هذا أن اجراء مزيد من الخفض فى معدلات الوفيات لا يمكن أن يتحقق الا بمقاومة أسباب الموت الأخرى.

وعلاوة على المساعدة التى تقدمها لنا معدلات الوفيات تبعا لأسباب الوفاة فى معرفة التغير فى أنماط الوفيات، فانها تساعدنا كذلك مساعدة فعالة فى اجراء المقارنات بين الوفيات عند جماعات سكانية مختلفة. وقد لفتت كتب السكان البارزة الأنظار بكل وضوح الى المشكلة الأساسية أمام اجراء مثل هذه المقارنات، وهى تكمن أساسا فى توحيد اجراءات تسجيل أسباب الوفيات ومدى الدقة فى تحديد سبب 'لوفاة فى كل حالة وتصنيفه بشكل سليم. وقد أشار لين سميث الى التنبؤيات الخاصة لأسباب الوفيات الواردة فى الكتاب الديموجرافى السنوى للأمم المتحدة. فبين أن المدى الذى يذهب اليه المختصون فى ارجاع الوفاة الى «الشيخوخة دون ذكر الاضطراب العقلى والأسباب غير المحددة وغير المعروفة» والى «جميع الأمراض الأخرى» (وهما الفئتان رقم ب ٤٤ وب ٤٥ من القائمة المختصرة من التعديل السادس للقائمة الدولية لأسباب الوفاة) - هذا المدى يشير الى الحاجة الى تحسين كبير فى تسجيل احصائيات الوفيات والتبليغ عنها<sup>(١)</sup>. ومع أن عددا

---

H. Collumbine, "An Analysis of the vital statistics of Ceylon" The Ceylon Journal of Medical science, vol VII Paris 3 and 4, 1950.

أنظر أيضا باركلي، المرجع السابق، ص ١٥١

(١) ومن هنا يمكن للمرء أن يستنتج أن المعدلات التى تعطى لمختلف الاسباب الهامة للوفاة - مثل أمراض القلب أو السرطان - أكثر وثوقا فى الدانمرك منها فى فرنسا مثلا. ففي الدانمرك تصنف ١,٢ ٪ فقط من الوفيات كنتيجة للشيخوخة و ٩,٢ ٪ كنتيجة لأمراض أخرى على حين نجد هذه النسب فى فرنسا ١٧,٥ و ١١,٤ على التوالى. كما نجد أن فئة «جميع الأمراض الأخرى» كثيرا ما تنسب اليها الوفاة بالدرجة التى تجعل معدلها يصل الى ٢٠٣ (لكل مائة ألف نسمة من السكان) فى كولومبيا، و ٢١٤ فى بلجيكا و ٢٤٢ فى جاميكا، و ٢٥٣ فى سيلان =

كثيرا من أكثر دول العالم سكانا لم تقدم البيانات المطلوبة فان التجميعات الواردة في الجدول رقم ١٧ على ص ٤٦٠ وما بعدها تستحق الدراسة بعناية.

ويلاحظ سميث «وجود نمطين في هذه البيانات. ففي الجهات التي بذلت فيها جهود كبيرة للتحكم في الأمراض التي يمكن منعها (كما هي الحال في شمال غربي أوروبا والولايات المتحدة وكندا وأستراليا ونيوزيلندا) نجد أن أمراض القلب والسرطان وأمراض الأوعية الدموية تأتي على رأس قائمة أسباب الوفاة. كما أن المجموعات الثلاث فيما بينها تتسبب في الغالبية الكبرى من حالات الوفاة. أما في دول أخرى كثيرة فنجد ان الشيخوخة والتهابات المعدة وأحد الأمراض المعدية تشكل أهم ثلاث فئات لأسباب الوفاة. ومما هو جدير بالملاحظة أن الملاريا والأمراض المعدية والطفيلية والسل والالتهاب الرئوي لا تأتي ضمن الأسباب الثلاثة الأولى للوفاة الا في قلة من الدول. وتوضح لنا هذه الحقيقة كيف أصبح التحكم في انتشار الأمراض في مختلف أنحاء العالم مسئولية دولية. ففي الوقت الحاضر، اذا ما ظهرت الحمى الصفراء في أحد موانئ أمريكا اللاتينية، أو انتشرت الملاريا بعنف في جزء من أفريقيا أو تفشت الكوليرا في أي بلد، فانها تعتبر خطرا يهدد الناس في دول كثيرة، وتعامل على هذا الأساس»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

---

= ومن هنا فاننا نتفق مع سميث في ضرورة التزام الحذر الشديد عند مقارنة الأهمية المطلقة والنسبية لأسباب الوفاة المختلفة في دول العالم. انظر سميث، أساسيات علم السكان، المرجع السابق، ص ص ٤٥٧ - ٤٥٨.

(١) سميث، المرجع السابق، ص ص ٤٥٨ - ٤٥٩.

جدول رقم (٥)  
التغيرات التي طرأت على معدلات الوفيات  
في سيلان بعد السيطرة على الملاريا

| السنة     | معدل<br>الوفيات<br>الخام | معدل<br>وفيات الرضع<br>(لكل ألف مولود) | معدل<br>وفيات الملاريا<br>(لكل مائة ألف من<br>السكان) |
|-----------|--------------------------|----------------------------------------|-------------------------------------------------------|
| ١٩٣٥-١٩٣٠ | ٢٥,٢                     | ١٨٥                                    | —                                                     |
| ١٩٤٠-١٩٣٦ | ٢١,٤                     | ١٦٠                                    | ١٢٣                                                   |
| ١٩٤١      | ١٨,٨                     | ١٢٩                                    | ١١٨                                                   |
| ١٩٤٢      | ١٨,٦                     | ١٢٠                                    | ٨٥                                                    |
| ١٩٤٣      | ٣١,٤                     | ١٣٢                                    | ١١٠                                                   |
| ١٩٤٤      | ٣١,٣                     | ١٣٥                                    | ٨٩                                                    |
| ١٩٤٥      | ٢٢,٠                     | ١٤٠                                    | ١٣١                                                   |
| ١٩٤٦      | ٢٠,٣                     | ١٤٠                                    | ١٨٧                                                   |
| ١٩٤٧      | ١٤,٣                     | ١٠١                                    | ٦٦                                                    |
| ١٩٤٨      | ١٣,٢                     | ٩٢,١                                   | ٤٧                                                    |
| ١٩٤٩      | ١٢,٦                     | ٨٧,٠                                   | ٣٢                                                    |
| ١٩٥٠      | ١٢,٦                     | ٨١,٦                                   | ٢٥                                                    |
| ١٩٥١      | ١٢,٦                     | ٨٨,٣                                   | ٢١                                                    |
| ١٩٥٢      | ١٢,٠                     | ٧٨,٢                                   | ١٣                                                    |

المصدر : أعد الجدول باركلي ، المرجع السابق ، ص ١٥٢ نقلا عن المصدر التالي :

E. J. Pampana. Effect of Malaris control on Birth and Death Rates ,Pro-  
ceedings of the world Population conference, Rome 1951. volume 1,P, 504.



## **الباب الثالث**

### **دراسة الخصوبة**

**الفصل الثامن : مشكلات دراسة الخصوبة وقياسها**

**الفصل التاسع : الاختلافات في الخصوبة**



## الفصل الثامن

### مشكلات دراسة الخصوبة وقياسها

#### قياس الخصوبة :

لعلنا لا نبالغ اذا قلنا في صدر حديثنا عن الخصوبة ان دراسة هذا الموضوع أكثر صعوبة وتعقيدا من دراسة موضوع الوفيات . وسوف تتوالى في ثنايا هذا الفصل شواهد عديدة تؤكد صدق هذه الملاحظة العامة . ولكننا نشير في البداية الى أن هناك أكثر من سبيل وأكثر من أساس لتعريف الخصوبة وتحديد المقصود بها . وأساس هذا الاختلاف راجع في حقيقة الأمر الى الخصائص الكامنة لتوزيع المواليد في جماعة سكانية معينة . كما يرجع هذا الاختلاف الى صعوبة القياس الاحصائي للخصوبة في ضوء البيانات المتاحة ، خاصة وأن الجانب الأكبر منها قد تم جمعه لأغراض غير أغراض البحث العلمى . وهكذا تتضافر كل تلك العوامل في خلق عديد من المشكلات المنهجية ، ومشكلات خاصة بوضع المقاييس بناء على تلك البيانات . . . الخ مما سنعرض له تفصيلا في ثنايا معالجتنا التالية . ولكن من الانصاف أن نقرر مع ذلك أن أخطر المشكلات العملية القائمة تتمثل في نقص البيانات المتاحة عن الخصوبة . ونحن لانستطيع أن نتجاهل هذه المشكلة اطلاقا اذا أردنا أن تنطلق الدراسات السكانية الواقعية على أسس سليمة وبخطى راسخة ، كما أن من واجبنا أن نلفت النظر اليها ونحن بصدد استعراض الجوانب المنهجية لتناول موضوع الخصوبة .

والفكرة الجوهرية في موضوع الخصوبة هي المستوى الفعلى للانجاب في جماعة سكانية معينة ، ويتحدد هذا المستوى في ضوء أعداد الولادات الحية التى تمت . ولذلك يجب أن نميز بين الخصوبة Fertility والقدرة على الانجاب Fecundity (أو كما يسميها البعض الخصوبة الفعلية بالنسبة للمصطلح الأول ، والخصوبة الكامنة بالنسبة للثانى) . فالقدرة على الانجاب هي القدرة الجسمية على الانجاب في

جماعة سكانية معينة. ويمكن أن نتحقق من الخصوبة من واقع احصائيات المواليد. مع مراعاة أن دراسة الخصوبة لاتشير الى القدرة على الانجاب ولا تدل عليها، وليس هناك أداة مباشرة لقياسها.

وتقاس الخصوبة بتردد الولادات في الجماعة السكانية. ومن هنا فانها تشبه فكرة الوفيات من هذه الناحية. ولكن فيما عدا هذا فهناك المشكلات التي أشرنا اليها، والتي ليس لها حل حاسم يمكن أن يرضى جميع الرغبات والاتجاهات (أعنى مثلاً كجدول الحياة الذى يخدم أكثر من غرض في دراسة الوفيات). ولهذه الأسباب وغيرها مازالت الدراسات الحديثة للخصوبة تولى اهتمامها الأكبر لتطوير أشكال قياس دقيقة ومفيدة.

\*\*\*

### الاتجاهات المختلفة في قياس الخصوبة

على الرغم من اتفاقنا جميعاً على أن الخصوبة تقاس بعدد الولادات، فإن مثل هذا التعريف يظل مع ذلك مصدراً للخلط وعرضة لاختلاف التأويلات من ناحيتين: وتبرز الناحية الأولى عندما نتساءل عن عدد الولادات خلال أى فترة؟ أما الناحية الثانية فتتضح عندما نتساءل عن أى القطاعات السكانية الذى نحسب فيه هذا العدد؟ ويحدد هذان السؤالان الاتجاهين الرئيسيين في تناول موضوع الخصوبة.

فلاحظ من ناحية أنه من الطبيعى تماماً أن نعتبر الخصوبة هى عدد الولادات الخاصة بشخص معين، أو برجل وزوجته، خلال فترة القدرة على الحمل في حياتهما (وفي هذه الحالة نحسب الخصوبة على اعتبار أنها مجموع عدد الولادات الخاصة بمجموعة من البالغين على امتداد فترة القدرة على الحمل منذ بدايتها وحتى نهايتها). ويطلق على هذا المفهوم أحيانا أسم «حجم الأسرة المكتملة». ويعنى متوسط عدد الأطفال الذين ولدوا بالفعل لزوجين لم يعودا قادرين بعد على الانجاب، ونجد من ناحية أخرى أن الخصوبة يمكن أن تقاس بمعدل حيوى، كالأسلوب المعروف في حساب المعدلات الحيوية، ويقوم على معرفة عدد الولادات



ومختلف البيانات السكانية لجماعة معينة في خلال عام كامل .  
وسنعمد في حديثنا على طول هذا الباب الى التزام الأسلوب الشائع في قياس الخصوبة، وهو نسبتها الى النساء فقط، فيما عدا مرة أو مرتين سوف ننبه اليهما في حينه . وان كان من الجدير بالذكر أن نفس العمليات يمكن أن تنطبق على خصوبة الرجال أيضا، ولكن جرت العادة ان تنسب البيانات الى النساء فقط .  
ولا مناص من الحفاظ على هذا التمييز واضحا بين الاتجاهين المختلفين في تناول الخصوبة، حيث سيتضح لنا فيما بعد انها لا يؤديان دائما الى نفس النتائج .  
ومن ثم لا يمكن أن نستبدل أحدهما بالآخر في ثانيا المعالجة، أو نأخذ نتيجة أحدهما بديلة لنتيجة الآخر. اذ يمثل الاتجاه الأول في حساب الخصوبة القدرة الانجابية الكاملة لجماعة معينة من النساء على امتداد فترة تبلغ حوالى ٣٥ عاما (من سن ١٥ - ٤٩، وانظر ما يلي).

أما الاتجاه الثانى في الحساب فيشير الى انجاب جماعات كثيرة مختلفة من النساء (هى الفئات العمرية المختلفة لنساء تلك الجماعة) على امتداد عام واحد فقط .  
ويقابل هذا التمييز . . التمييز الذى سبق أن رأيناه بين الفوج الافتراضى والفوج الحقيقى فى دراسة الوفيات ولكن المؤكد على أى حال أن دارسى الخصوبة غالبا ما يجمعون بين الاتجاهين فى دراستهم، بحيث يقابلون النتائج المستخلصة من أحدهما بالنتائج المستخلصة من الآخر، حيث ان كلا منهما يلقي على الموضوع ضوءا من زاوية مختلفة .

### الطبيعة الخاصة لإحصائيات المواليد

رأينا أن معدل المواليد يحسب بنفس الطريقة التى يحسب بها معدل الوفيات، أى نسبة مواليد سنة معينة الى عدد الأشخاص الموجودين فى نفس السنة . ويمكن أن نعتبر معدل المواليد - من ناحية واحدة فقط - أبسط من معدل الوفيات . ذلك أن عدد الأشخاص الذين ننسب المواليد اليهم (وهم النساء المعرضات للحمل) لايزداد عددهن ولا يقل بعد الولادة وعلى ذلك فان معدل المواليد تبعا للعمر يقيس

كذلك درجة تعرض هؤلاء النساء للحمل . ومن هنا يمكن القول بأن المعدلين من طبيعة واحدة ، وان اختلف الموضع الذى يقيسه كل منهما .

ولكن فيما عدا هذا الشبه الوحيد فإننا نجد أن توزيع المواليد فى جماعة سكانية معينة أكثر تعقيدا من معدل الوفيات بكثير . ونشير فيما يلى إلى بعض المشكلات الخاصة التى يمكن أن نصادفها فى قياس عدد المواليد :

١ - الملاحظ على الناس المعرضين لواقعة الولادة أن عملية الميلاد يمكن أن تكون أكثر من مرة . ومن هنا نجد من وجهة نظر التسجيل الاحصائى أن الموت يمثل مشكلة أبسط ، لأنه لا يحدث سوى مرة واحدة ، أى أن التعرض له لا يتم الا مرة واحدة فى حياة الفرد . أما ان تلد المرأة مرة ، فلا يعنى هذا استبعاد تلك المرأة من فئة النساء القادرات على الانجاب فى المستقبل <sup>(١)</sup> . بل الشائع أن نجد أغلب الأمهات يلدن أكثر من مرة واحدة فى حياتهن .

٢ - هناك مشكلات أخرى وهى أن لدينا دائما فئات عديدة من الأمهات تبعا لترتيب المولد الذى نحن بصدد . ففرص الأم التى لديها أربعة أطفال فى انجاب طفل خامس تختلف عن فرص الأم التى لديها أربعة عشر طفلا فى انجاب الطفل الخامس عشر . ولذلك يقال ان توزيع المواليد فى جماعة سكانية معينة يتوقف الى حد ما على توزيع النساء تبعا لعدد الأطفال الذين ولدوا لهن بالفعل .

٣ - كما نجد أن فئة «النساء المعرضات لاحتفال الولادة» - وهو كما أشرنا أداة قياس تكرر الولادات فى جماعة معينة - عبارة عن فئة غامضة أشد الغموض لأنها تضم نساء معرضات لأنماط مختلفة من احتمالات الولادة (بل ان بعضهن لسن معرضات لأى احتمال ولادة على الإطلاق) ولذلك يكون من الأمور البالغة الصعوبة أن يقدر الباحث عدد النساء المعرضات للحمل فى سنة معينة .

---

(١) الحقيقة ان ولادة أحد الأطفال يمكن ان تؤدي الى عدم ولادة المرأة فى المستقبل ، فتتحول المرأة الى عاقر بعد ولادة واحدة . كما نلاحظ من ناحية أخرى ان الولادة ورعاية الطفل فى مرحلة عمره الأولى تؤدي الى تأخير حمل المرأة بمولود جديد بصفة عامة ، ولكن بشكل مؤقت . ولاشك أن عدم القدرة على الحكم على الموقف بشكل قاطع فى كلا الحالتين يضيف مزيدا من الصعوبة والتعقيد الى مشكلة توزيع المواليد بين النساء .

من هذا مثلا أنه حتى معدلات المواليد الخاصة بفئات العمر المختلفة لا تكفى لعلاج هذا القصور لأننا نجد بالنسبة للنساء الداخلات في فئة عمر معينة أن عدد الأطفال الذين أنجبته كل منهن يختلف، ومعنى هذا أن تعرضهن لاحتمال الولادة من جديد يختلف كما وكيفاً<sup>(١)</sup>.

٤ - المعروف أن لكل مولود والدين، ولكن نجد أن أغلب معدلات المواليد يجب أن يكون مقصوراً على أحد الوالدين فقط. ولما كان توزيع الولادات بالنظر إلى السمات الأخرى ليس متماثلاً بالنسبة للرجال والنساء، فإن معدلات المواليد الخاصة لا تستطيع أن تمثل كلا جانبي الأبوة في نفس الوقت.

٥ - تقتصر ظاهرة الأبوة على قطاعات معينة من السكان. فنجد على سبيل المثال أن صغار السن جداً وكبار السن جداً ليسوا معرضين لاحتتمالات الحمل والانجاب. يضاف إلى هذا بُعد آخر هام وهو أن هناك بعض الناس الذين يعمدون مختارين في لحظة معينة إلى تجنب تعريض أنفسهم لاحتمال الحمل، وهناك بعض الناس الذين لا توفقه الظروف إلى الزواج، وطائفة أخرى تعاني من العزوبة، أو الطلاق، أو العقم. ونحن نعرف أن سن القدرة على الانجاب عند النساء تنحصر في فترة محددة تمتد من سن الخامسة عشرة حتى سن الخمسين تقريباً. وبذلك تنحصر كل ولادات المرأة في تلك الفترة فقط. ولعل هذا هو أحد الأسباب التي جعلت علماء السكان يحسبون معدلات المواليد تبعاً للعمر عند النساء فقط وليس عند الرجال.

٦ - من المشكلات الأخرى لحساب معدلات المواليد أن نسبة ضئيلة من الولادات - ربما من ١ - ٢٪ من المجموع الكلي - تحقق أكثر من وليد واحد. ومن

---

(١) اهتم بعض علماء السكان بتطوير بعض طرق المعالجة الإحصائية التي تستهدف حل هذه المشكلة. والحقيقة أن توضيح مثل هذه المناهج والعمليات الإحصائية يخرج هذا الكتاب عن طبيعته. هذا علاوة على أنها على جانب كبير من الدقة والصعوبة، في نفس الوقت الذي يقتصر استخدامها على خاصة الخاصة، مما جعل انتشارها أمراً محدوداً للغاية. ولذلك سنقتصر هنا على إثارة المشكلات دون أن نتطرق إلى الامكانيات المختلفة لحلها.

هنا تؤدي هذه الولادات «التعددية» (أو ولادات التوائم - ولو أنهم قد لا يكونون توائم فقط) الى احداث بعض الخلط والارتباك في حساب معدلات المواليد. هل تعد ولادة التوائم واقعة واحدة أم واقعيتين؟ انها في الحقيقة واقعة واحدة، ولكنها في ضوء نتائجها - العددية - بمثابة واقعيتين. وتثير هذه المشكلة الطريفة تساؤلا هاما يستدعى في الحقيقة اجابة محددة: هل سنعتبر وحدة القياس: عدد الأطفال المولودين أم عدد مرات الحمل المكتمل (أي عدد الولادات)<sup>(١)</sup>؟ ونجد أن احصائيات أغلب دول العالم تثبت عدد «المواليد» فقط (أي عدد الأطفال المولودين أحياء) دون هذا التمييز بين عدد الأطفال المولودين وعدد الولادات. ولعل هذا الاتفاق العملي يفرض علينا نحن أيضا أن نلتزم نفس هذا الأساس عند قياس الخصوبة. والحقيقة أن النتيجة التي تترتب على اختيار هذا الأساس أو ذاك نتيجة ضئيلة الشأن من الناحية العددية، ويمكن تجاهلها في العادة دون أن تؤثر كثيرا على صحة الأرقام.

٧ - الملاحظ أن التفضيلات الشخصية والميول الخاصة تلعب دورا كبيرا ومتنوعا في التأثير على الخصوبة. مما يؤدي الى تعقيد توزيع المواليد بين السكان، والواضح بالنسبة لظاهرة الوفاة انه يفترض دائما أن كل هذه العوامل الشخصية تسير في نفس الاتجاه. فكل فرد تقريبا (اللهم فيما عدا بعض الاستثناءات النادرة) يفضل الحياة على الموت. ولكننا لانجد عند الناس مثل هذا الاجماع على ظاهرة الحمل والولادة. فالناس يختلفون في تفضيلهم وميلهم الى الانجاب خلال عام معين، كما يختلفون في تحديد عدد الأطفال الذين يودون انجابهم على امتداد حياتهم الزوجية. ومن الواضح أن هذه الميول والآراء الشخصية لا تثبت على حال واحد أبدا. فقد تتغير تبعا لعدد الأطفال الذين تم انجابهم فعلا، وتتغير بالتأكيد

---

(١) يرى باركلي في كتابه التحليل السكاني الذي سبقت الاشارة اليه ص ١٧٠ هامش رقم ٥ أنه ربما كان من المناسب أن نقيس الخصوبة على أساس عدد الولادات، بينما نقيس احلال السكان على أساس عدد الأطفال المولودين بالفعل. ومع ذلك فان هذا الرأي نفسه موضع أخذ ورد بين مختلف العلماء ولا يمكن أن يصادف قبولا مطلقا من كل الدارسين. ولكنه اقترح له وجهته وله فائدة واضحة.

بالنسبة لنفس الزوجين من مرحلة الى أخرى من مراحل الحياة تبعاً لما يحيط بهم من ظروف ، وما يطرأ على حياتهم من أوضاع ولا شك أن محاولة أخذ كل هذه العوامل في الاعتبار مشروع على أكبر جانب من الصعوبة والتعقيد بحيث انه لم يتسن حتى الآن ترتيبها في نظام أو ترتيب معين يمكن أن يعين الباحث - بشكل قياسي - على أخذ آثارها على الخصوبة في الاعتبار. ولما كانت الميول والاتجاهات الشخصية تختلف بين الناس اختلافاً شاسعاً فان معدلات المواليد الخاصة بجماعة سكانية خلال عام معين لا تتطابق اطلاقاً مع حجم الأسرة الذي سوف يتحقق في نهاية الأمر. ويعنى هذا بعبارة أخرى أن المعدلات السنوية ليست سوى مؤشر ضعيف الدلالة على مستوى الخصوبة وما يطرأ عليها من تغيرات ، على خلاف الوفيات .

### معدلات المواليد القائمة على الولادات

#### التي تتم كل سنة

أوضحنا فيما سبق أن مؤشرات الانجاب السنوى (أو الولادات التي تتم سنوياً) تمثل الأساس الرئيسى لقياس الخصوبة عند جماعة سكانية معينة . بل أن هذا المؤشر ظل حتى عهد غير بعيد هو الأساس الوحيد المتبع عند علماء السكان لقياس الخصوبة . والسبب في ذلك أولاً أنه كان يعد مؤشراً كافياً ، وثانياً أنه لم تكن هناك أى بيانات متاحة في صورة أخرى غير هذه الصورة . وينتهى بنا هذا المؤشر التقليدى (عدد الولادات سنوياً) الى المعدل الاحصائى الحيوى بصورته المألوفة ، والتي أوضحناها في مكان سابق من هذا الكتاب . فمعدلات المواليد التقليدية عبارة عن نسب ولادات سنة معينة الى بعض الأشخاص الموجودين على قيد الحياة خلال تلك السنة . ولو أنه من الممكن أن نستخدم كذلك عدد المواليد لفترة أطول من عام ، وذلك عندما نكون بصدد استخراج متوسط سنوى ونفترض في هذه الحالة أن عدد الأشخاص الأحياء في كل سنة هو نفسه عدد السكان في منتصف العام . ويعد الرقم المستخلص من التعداد تقديراً مقبولاً عادة للحساب على أساسه . ونعرض فيما يلى بشكل موجز لأنواع المعدلات الشائعة في دراسة الخصوبة :

١ - معدل المواليد الخام: هو نسبة المواليد المسجلة في عام معين الى اجمالي عدد السكان في منتصف ذلك العام. ويشبه هذا المعدل كما أشرنا معدل الوفيات الخام، يتميز بنفس مميزاته وتعييه نفس عيوبه (انظر الباب السابق الخاص بالوفيات).

٢ - معدل الخصوبة العام (أو نسبة الخصوبة العامة). وهى عبارة عن نسبة مجموع المواليد المسجلة في عام معين الى نساء الجماعة التى ندرسها واللائي في سن الانجاب (وهى السن من ١٥ - ٤٤ سنة أو من ١٥ - ٤٩ سنة). والسبب في تحديد النسبة على هذا النحو هو قصر المقام في النسبة على الأمهات القادرات على الانجاب، وذلك عن طريق استبعاد جميع الرجال وجماعات كبيرة من النساء اللائي لسن معرضات للحمل بسبب السن. ويعد هذا التحديد خطوة على الطريق نحو قياس الخصوبة عند القطاع المناسب من السكان، وليس عند مجموع السكان. ومع ذلك فنحن نعتبر هذه الخطوة خطوة بسيطة وغير فعالة لأنها تحدد ذلك القطاع المناسب من السكان على أساس نفس المعيار التعسفى (وهو فترة السن من ١٥ - ٤٤ أو من ١٥ - ٤٩) تحت كل الظروف أيا كانت.

٣ - معدلات المواليد الخاصة بفئات العمر: وهى نسب المواليد تبعا لسن الأم الى النساء في كل فئة من فئات العمر. وهى عادة فئات خمسية. وهذه المعدلات تشبه معدلات الوفيات الخاصة بفئات العمر من حيث انها تشمل مجموعة كاملة من المعدلات بدلا من رقم متوسط واحد ومعدلات المواليد الخاصة بفئات العمر تشكل مجموعة مريحة نسبيا من سبع معدلات تعبر عن سبع فئات على النحو التالى:

من ١٥ - ١٩ سنة

من ٢٠ - ٢٤ سنة

من ٢٥ - ٢٩ سنة

من ٣٠ - ٣٤ سنة

من ٣٥ - ٣٩ سنة

من ٤٠ - ٤٤ سنة

من ٤٥ - ٤٩ سنة

فهذه المعدلات تكشف عن توزيع تكرار المواليد بين النساء في هذه الفئات العمرية المحددة. وتمثل هذه المعدلات الخاصة أفيد خطوة واحدة في تحليل الخصوبة الفعلية في سنة معينة. كما انها تمثل تحسينا هائلا في درجة دقة الأرقام وصدق تعييرها، لأن تلك المعدلات لا تتعرض للتشويه أو الأخطار الناجمة عن التركيب العمري، سواء بين مجموع السكان أو بين النساء في سن الحمل. وعلاوة على هذا تحدد لنا هذه المعدلات - بشكل تقريبي - مراحل قليلة في التاريخ الانجابي للفئات العمرية المختلفة عند النساء. ومع أن المعلومات المستخلصة من هذه المعدلات تعد صعبة التفسير بشكل عام (لأنها تشير الى مرحلة مختلفة لكل فئة عمرية من النساء)، الا أنها مع ذلك معلومات مفيدة بالغة القيمة. واخيرا وليس آخرا فان المعدلات الخاصة بالعمر تستخدم اساسا لحساب بعض المقاييس الهامة الأخرى، التي سنشير الى جانب منها فيما يلي.

٤ - معدل الأطفال المولودين لكل امرأة: وهو نسبة الأطفال من سن صفر الى سن ٥ سنوات الى النساء اللاتي في سن الحمل (ويتحدد هذا السن أحيانا بالفترة من ١٥ - ٤٤ واحيانا أخرى - وهي الأغلب - بالفترة من ١٥ - ٤٩ سنة). ويعد هذا المؤشر مجرد بديل مؤقت يستهدف قياس الخصوبة في حالة نقص احصائيات المواليد. اذ يمكن استخراج بياناته كلية من بيانات العمر في أحد التعدادات. ومع أن الفائدة الرئيسية لمعدل الأطفال المولودين لكل امرأة ترجع الى هذه الحقيقة الهامة، فانها تعد في نفس الوقت السبب الذي يدعونا الى الحذر في استخدامها وترتيب ملاحظات هامة عليها. ذلك أن هذه النسبة لا تعتمد على عدد المواليد وانما على أولئك الذين بقوا منهم على قيد الحياة خلال السنوات الخمس السابقة على اجراء التعداد. ولذلك فمن المحتم أن يعكس هذا الرقم آثار وفيات الرضع ووفيات الأطفال خلال الفترة المشار اليها. ثم نلاحظ علاوة على هذا ان فئة العمر من صفر الى اربع سنوات تعد من أقل فئات العمر التي تحظى ببياناتها بالثقة.

وعلاجاً لهذا قد يتحتم استبدالها بفئة عمرية أخرى كالفئة من ١ - ٤ سنوات أو من ٥ - ٩ سنوات. وهذه الأسباب نقول أن الأرقام المطلقة لمعدل الأطفال المولودين لكل امرأة ذات أهمية ضئيلة في الواقع حيث تتدخل في التأثير عليها كما أوضحنا عوامل أخرى غير الخصوبة، مما يعنى أنها لاتعبر عن الخصوبة فحسب أو هى ليست قياساً صادقاً لهذا العامل وحده. ولعل وجه الأهمية الوحيد لهذا المعدل أن يستخدم كمقياس نسبي، لمقارنة الخصوبة الفعلية لمختلف قطاعات الجماعة السكانية الواحدة، حيث يفترض في مثل هذه الحالة أن التأثير المخل لتلك العوامل الأخرى يكون في أدنى حد له.

٥ - معدل الخصوبة الكلى: وهو عبارة عن مجموع معدلات المواليد الخاصة بالنساء تبعاً لفئات أعمارهن المختلفة ابتداء من سن الخامسة عشرة حتى سن التاسعة والأربعين. وقد أشرنا من قبل إلى أنه يكفى تقسيم تلك المرحلة العمرية إلى فئات خمسية. ولهذا توصف تلك المعدلات عادة بأنها المعدل «لكل امرأة» وليس معدل لكل «ألف امرأة».

والملاحظ على معدل الخصوبة الكلى أنه يمثل نفس مجتمع النساء الذى يعبر عنه معدل الخصوبة العام، ولكن ما يميزه عن الأخير أنه يأخذ في اعتباره توزيع مواليد كل سنة للنساء من مختلف الأعمار. ولذلك يعتبر هذا المعدل وسيلة أكثر فعالية لوصف عدد المواليد في سنة معينة. يضاف إلى كل هذا أن معدل الخصوبة الكلى يعد نموذجاً لعملية التوحيد القياسى التى تقابل المنهج المباشر. مما يترتب عليه أن يظل هذا المعدل بعيداً عن التأثير بخصوصيات وظروف التركيب العمرى للنساء في مرحلة العمر من ١٥ - ٤٩ سنة.

٦ - معدلات التكاثر الاجمالى: وهو عبارة عن مجموع معدلات المواليد الخاصة بالنساء تبعاً لفئات أعمارهن المختلفة ابتداء من سن الخامسة عشرة حتى سن التاسعة والأربعين، ولكنه يختلف عن المعدل السابق في أنه لايدخل في اعتباره سوى المواليد الاناث فقط. وفيما عدا هذه النقطة - الهامة - فإن هذا المعدل لا يختلف في جوهره عن معدل الخصوبة الكلى (الذى شرحناه تحت رقم ٥)، كما



أن قيمته الرقمية تمثل في العادة حوالى نصف قيمة المعدل السابق . ويتم حساب هذا المعدل بنفس طريقة حساب المعدل السابق وفقا لنفس الخطوات وابرز ما في هذا المعدل انه قد شاع استخدامه حاليا على نطاق واسع في دراسة عملية الاحلال السكاني . ولعل هذا هو السبب في ذبوع استخدامه بصفة عامة في مجال دراسة الخصوبة بشكل عام .

### التاريخ الانجابى الفعلى

الطريقة الأخرى لقياس الخصوبة هى حساب عدد الأطفال المولودين للجماعة واقعية (قائمة فعلا) من النساء . ويتميز هذا الأسلوب ببساطته واستقامته - دون تعقيدات تذكر - بحيث أنه نادرا ما يتطلب تفسيراً خاصاً . الا أن هذا لا يمنع مع ذلك من وجود بعض الصعوبات ، والمشكلات العملية التى ترجع الى طبيعة البيانات المتاحة أمام الباحثين .

ونستطيع تجميع التاريخ الانجابى الكامل للجماعة من النساء عن طريق جمع أعداد مواليدهن على امتداد مرحلة الانجاب فى حياتهن منذ بدايتها وحتى نهايتها . وهذا هو فى نفس الوقت ما يميز هذا الأسلوب عن الأسلوب السابق . فنحن هنا لانجمع مواليد جماعات مختلفة من النساء فى نفس السنة ، وانما نحن هنا نجمع مواليد نفس الجماعة من النساء على امتداد مرحلة الانجاب فى حياتهن .

وبديهي من واقع تحديدنا هذا أن التاريخ الانجابى الفعلى لا يعطى مواليد سنة واحدة ، وانما يمتد ليشمل فترة طويلة (من ١٥ - ٤٩ عادة) والرقم الذى نخرج به فى نهاية هذه العملية يكون عبارة عن متوسط هو «متوسط عدد الأطفال المولودين» . ويوصف هذا الرقم أيضا بأنه «اجمالى حجم الأسرة المكتملة» أو «معدل حجم الأسرة» . والجدير بالذكر أن هذا المقياس لا يتطلب وضع او تصور فوج افتراضى ، وانما هو يقتصر على تسجيل مواليد فوج فعلى له وجود واقعى ، هو فوج من النساء . ولكن أين يمكن أن نجد المعلومات اللازمة لوضع هذا المعدل أو استخراج هذا المتوسط ؟ هناك فى العادة ثلاثة مصادر يمكن ان نلتمس فيها المعلومات اللازمة :

١ - معدلات المواليد الخاصة بفئات العمر بصورتها التقليدية التى شرحناها من قبل . ولكنها محسوبة على أساس الانجاب السنوى الفعلى فى تواريخ متعاقبة . ويمكن حساب هذه المعدلات من مصادر التسجيل العادية أو مصادر بيانات التعداد، وذلك بشرط توفر هذه البيانات لفترة ماضية لاتقل عن ٣٠ أو ٣٥ سنة . الا أنه يتعين حتما تجهيز بيانات المواليد هذه بطريقة أخرى . فاذا بدأت بفوج من النساء كان فى مرحلة العمر من ١٥ - ١٩ فى الفترة من عام ١٩٢٠ حتى عام ١٩٢٥ ، فان مواليد هذا الفوج عندما ينتقل الى مرحلة العمر من ٢٠ - ٢٤ ستقع فى الفترة من عام ١٩٢٥ حتى عام ١٩٣٠ ، وهكذا اظل اتسلسل تدريجيا وبشكل مضطرد مع هذا الفوج نفسه متتبعا مواليده فترة بعد أخرى حتى أصل الى نهاية مرحلة الانجاب الخاصة به . ولعله يتضح لنا مدى الصعوبة العملية فى تطبيق هذا الأسلوب حيث أنه نادرا مايستخدم . والسبب فى ذلك أن قلة قليلة من الدول هى التى تحتفظ ببيانات على هذا القدر من الدقة وعبر فترات طويلة كهذه . . وبصورة قابلة للمقارنة والتتبع المنتظم .

٢ - سجلات أو بطاقات المواليد الخاصة بأفراد معينة من النساء، تسجل عليها كل واقعة ميلاد عند حدوثها . فاذا استمرت عملية التسجيل هذه على مدى خمسة وثلاثين عاما متصلة دون انقطاع ، فاننا نستطيع تجميع التاريخ الانجابى لكل امرأة ظلت على قيد الحياة بعد تلك الفترة وقت اجراء المسح المطلوب . ويتميز هذا الاسلوب بالوضوح والدقة . ولكنه للأسف نادر الاستخدام لأن مثل هذه السجلات التى سنحصل منها على المعلومات اللازمة نادرا ما تتوفر بهذا الشكل المنتظم .

٣ - التقارير الاستراتيجية: وهذه هى الطريقة التى تكاد تتبع دائما لمعرفة التاريخ الانجابى . وهنا ثقرر طائفة من الأفراد البالغات فى وقت اجراء التعداد أو عند اجراء دراسة مسحية خاصة عدد الأطفال الذين انجبتهم كل واحدة منهن . وذلك بالطبع بناء عل أسئلة مباشرة من جانب القائم بالتعداد أو الدراسة . واذا امكن معرفة تاريخ ميلاد كل طفل (أو عمر الأم وقت ميلاده) ووضعت كل تلك

البيانات في جداول خاصة، أصبح من الممكن معرفة التاريخ الانجابى الكامل لفوج من النساء محددًا على حسب فئات أعمارهن. ولاشك أنه اذا توفرت معلومات اكثر من هذا، فانه يصبح من الممكن دراسة جوانب أخرى لموضوع توزيع المواليد.

ولعله قد اتضحت لنا من الاستعراض السابق بعض الصعوبات والمشكلات التى تواجه استخراج التاريخ الانجابى لفوج من النساء، ففيما عدا المصدر الأول، فان استخدام بيانات المصدرين ٢، ٣ يتطلب تصميم جداول خاصة، توضع خصيصا لهذا الغرض. وهناك فيما عدا هذا مشكلات أخرى. منها مثلا أنه بغض النظر عن مصدر المعلومات، فان التاريخ الانجابى الكامل يتطلب تسجيلًا طويلا ومستمرًا. ولهذا فانه لايمكن أن يكون مكتملا فعلا الا بالنسبة للنساء المتقدمات فى السن لأنه يتعلق بها أنجبته فعلا فى الماضى. أما فى حالة الحصول على معلومات من عملية التسجيل الفردى أو من التقارير الاسترجاعية (المصدران ٢، ٣) فان عملية التسجيل سوف تقتصر على أولئك النساء اللاتى بقين على قيد الحياة حتى سن الخمسين أو أكثر من ذلك وقت اجراء التعداد أو الدراسة المسحية. ومعنى هذا بوضوح أن اجزاء من الأفواج الأصلية التى ينبغى ان تعبر هذه الأرقام عنها أصلا - لاوجود لها أو ليست لدينا معلومات عنها. فالنساء اللاتى توفين قبل اجراء التعداد أو الدراسة لسن داخلات ضمن تلك البيانات. ومن ثم فلا أثر لسجل خصوبتهن. فاذا كانت خصوبة أولئك النساء الغائبات عن الحصر مختلفة عن خصوبة النساء اللاتى شملتهن عملية الحصر، فمعنى هذا أن ارقام التاريخ الانجابى التى سنحصل عليها تتصف حتما بالتحيز وعدم التمثيل الصحيح للأفواج الأصلية جميعا. الا أن هذا العيب لا وجود له فى حالة استخراج البيانات من المصدر رقم ١، ولكننا أشرنا فى حينه إلى ندرة استخدام هذا الأسلوب بسبب ندرة البيانات.

يضاف الى هذا كله عيب آخر خاص بالبيانات التى نحصل عليها من التقارير الاسترجاعية، وهو انها لايمكن ان تكون دقيقة تماما. فالأحداث البعيدة - كواقعة

ميلاد منذ أكثر من أربعين سنة - كثيرا ما تنسب الى تواريخ خاطئة أو غير دقيقة بسبب طول العهد عليها. هذا اذا اتغاضينا عن محاولات التضليل العمدية في مثل هذه البيانات التي قد يتعذر اقامة الدليل على صحتها او خطئها (١).

ولكننا نلاحظ من ناحية أخرى أنه ليس هناك ثمة شك في التقابل بين المواليد والسكان: فهذان المجالان يمكن ان يعتبرا نفس الشيء تماما وتمثل هذه النقطة دون ريب ميزة هامة لبيانات التقارير الاسترجاعية كوسيلة لقياس خصوبة جماعات مختلفة داخل نفس السكان.

ومن الممكن استخراج معدلات المواليد الخاصة بفئات العمر المختلفة من وقائع بيانات التاريخ الانجابي. حيث أنها تمثل مواليد كل سنة لأفراد فوج فعلى من النساء اللاتي اكتملت مرحلة الانجاب لهن (من ١٥ - ٤٩) ويمثل مجموع هذه المعدلات الحجم الكلى للأسرة المكتملة أو متوسط «حجم الأسرة». فهو يشبه معدل الخصوبة الكلى، ولكن بمعنى مختلف، فمتوسط حجم الأسرة هو مجموع عدد الأطفال الذين ولدوا لجماعة معينة من النساء على امتداد فترة طويلة من الزمن (وهي مرحلة الانجاب لديهن) في حين أن معدل الخصوبة الكلى عبارة عن مجموع الخبرات الجزئية لجماعات كثيرة، اعتمادا على انجابهن الفعلى في سنة واحدة.

---

(١) من الواضح أن مثل هذه الأخطاء أكثر احتمالا بين النساء المتقدمات في السن (اللاتي تنقضى على ولادتهن الأولى فترات طويلة فعلا، وكذلك بين النساء اللاتي نحصل على البيانات الخاصة بهن من شخص آخر سواهن، وبين النساء اللاتي ينتمين الى ثقافات لاهتم اهتماما كبيرا بالتحديد الدقيق لتواريخ الأحداث. يضاف الى هذا كله أن الأمية لاتساعد الناس عادة على تسجيل الوقائع البارزة في حياتهم (في صورة مذكرات مثلا). وبالتالي امكانية تحديد تواريخ الولادات المختلفة بالاعتماد على مثل هذه المذكرات مثلا. كما انه قد تكون هناك بعض الظروف الخاصة التي تؤدي الى الخطأ عمدا في اعطاء التواريخ. ونادرا ما تكون هناك وسيلة كما أشرنا للتأكد من دقة هذه التقارير. ولكل هذه الأسباب لايسعنا الا النظر بعين الريبة الى الأرقام المستخلصة من هذه الطريقة. انظر مناقشة لهذا الموضوع عند باركلي المرجع السابق، ص ص ١٨١ - ١٨٢.

## الفصل التاسع

### الاختلافات في الخصوبة داخل نفس السكان

حظى هذا الموضوع باهتمام كبير في السنوات الأخيرة. اذ انه يتيح تحليلا مفصلا لمستوى الخصوبة وما يطرأ عليها من تغيرات، وذلك من خلال اثاره تساولين عريضين هما:

- (أ) ما هي الاسهامات المستقلة الخاصة بكل جماعة من الجماعات التي تكون السكان في تكوين المتوسط القومى للخصوبة في سنة معينة؟
- (ب) ما هي الجماعات التي ساهمت أكثر من غيرها في تغيير معدل المواليد بالنسبة لمجموع السكان؟ (ولا تقتصر أهمية هذا التساؤل على توضيح موضوع الاختلاف في الخصوبة داخل السكان، ولكنها تتجاوزها الى القاء ضوء كبير على التنبؤ بالتغيرات المستقبلية في السكان).

يتضح لنا من تأمل هذا الموضوع أن الخصوبة تتفاوت تفاوتاً كبيراً بين الأفراد البالغين في داخل أي جماعة سكانية. . . وهي ملاحظة تؤكد كل الدراسات التي تعرضت لهذا الموضوع على امتداد التراث العريض لعلم السكان. . ويعرض لنا الجدول رقم (٦) هذه الصورة بمنتهى الوضوح حيث يورد عدد الأطفال اللائى ولدن لبعض النساء اللائى تجاوزن الخامسة والأربعين من العمر (أى اكملن بالفعل مرحلة الانجاب في عمرهن) في عدد من الدول المختارة والذي نقلناه عن باركلي. . ويبدو لنا هذا التباين في عدد الأطفال بوضوح رغم الحقيقة المؤكدة وهي أن تلك الدول لا تمثل نفس المستوى من متوسط حجم الأسرة.

والواقع اننا نرى أن تحليل هذه الاختلافات يسير دائماً في دروب وعرة ويدخل في طرق شائكة يبدو انه لا داعى للخوض فيها. . . ولسنا نريد أن نسير على هذا النهج، ولذلك لابد أن نتساءل ببساطة في البداية عما اذا كانت هذه الفروق راجعة

الى فروق فى الخصوبة بين الجماعات المختلفة المكونة للسكان . فاذا تبين أن هناك تفاوتاً فى الخصوبة بين هذه الجماعات فاننا يجب ان نتبع ذلك بالتساؤل عن العوامل التى خلقت هذا التفاوت . وسوف يتضح لنا أولاً أن هناك عوامل تتصل بالدوافع والتفضيلات أو الميول الفردية . ثم سيتضح لنا بعد ذلك - حيث لا يثبت وجود مثل هذه العوامل - أن هناك طائفة من العوامل الخارجية غير الاختيارية التى تفرض هذا الوضع ، أو تدفع الناس اليه دفعا .

والواقع الذى يجب أن نعترف به أن كلا النوعين من العوامل موجود فى كل موقف يثبت فيه وجود مثل هذه الاختلافات فى الخصوبة ، وإن اختلفت درجة فاعلية كل نوع منها من حالة لأخرى . فليس هناك حد فاصل يفصل العوامل الفردية عن العوامل الخارجية أو الاجتماعية . ولذلك ليس من الصواب ولا من العلم فى شىء الاصرار على أن التفاوت فى الخصوبة فى موقف معين راجع الى هذه الفئة من العوامل وليس راجعا اطلاقاً الى الفئة الأخرى ، بمعنى تقديم التفسير الفردى ثم التفسير الاجتماعى أو العكس ، لمجرد أنه ليس هناك دليل على وجود النوع الآخر .

وهناك أبعاد مختلفة وعوامل متعددة للاختلافات التى نلاحظها فى الخصوبة بين الجماعات المختلفة داخل نفس السكان . فهناك الفروق الطبقة فى الخصوبة . وهناك الاختلافات فى الخصوبة بين الجماعات المهنية ، كما أن هناك اختلافات محلية حيث تختلف الخصوبة من منطقة الى أخرى فى المجتمع الواحد . . الخ . وسوف نستعرض كل موضوع منها فى فقرة خاصة على امتداد الجزء الباقى من هذا الفصل .

\*\*\*

الجدول رقم (٦)

توزيع النساء اللاتي في مرحلة العمر من ٥٠ - ٥٩ تبعاً لعدد الأطفال الذين ولدوا لهن لبعض الدول (من واقع بيانات التعداد)

| النسب المئوية (أ)            |                     |               |                                  |                  | عدد الأطفال            |
|------------------------------|---------------------|---------------|----------------------------------|------------------|------------------------|
| الولايات المتحدة (ب)<br>١٩٥٠ | اليابان (ب)<br>١٩٥٠ | سيلان<br>١٩٤٦ | المكسيك ١٩٥٠<br>(العمر من ٤٥-٤٩) | البرازيل<br>١٩٤٠ |                        |
| ١٨,١                         | ١٠,٥                | ١٨,٥          | ٢١,٤                             | ١٥,٨             | صفر                    |
| ١٧,٥                         | ٨,٥                 | ٦             | ٦,٥                              | ٥,٥              | ١                      |
| ٢٠,٣                         | ٩,١                 | ٧,٤           | ٦,٩                              | ٥,٨              | ٢                      |
| ١٤,٤                         | ١٠,٢                | ٨             | ٧,١                              | ٦                | ٣                      |
| ٩,٩                          | ١١,٢                | ٨,٨           | ٧,١                              | ٦,٥              | ٤                      |
| ٦,٢                          | ١١,١                | ٩,٤           | ٧,٥                              | ٦,٨              | ٥                      |
| ٤,٣                          | ١٠,١                | ٩,٣           | ٧,٥                              | ٧,١              | ٦                      |
| ٢,٩                          | ٨,٨                 | ٩,١           | ٦,٦                              | ٦,٧              | ٧                      |
| ٣,٥                          | ٥,٩                 | ٧,٩           | ٦,٥                              | ٧,٤              | ٨                      |
| ٣                            | ٦,٩                 | ٦,٤           | ٥,٨                              | ٦,٦              | ٩                      |
|                              |                     | ٩,١           | ١٧,٢                             | ٢٥,٨             | ١٠ فأكثر               |
| ٢,٨                          | ٤,٨                 | ٤,٧           | ٥,١                              | ٦,٢              | عدد الولادات لكل امرأة |

(\*) المصدر:

G.W.Barclay. Techniques of Population Analysis, sp. Cit. p. 195.

(أ) لا تمثل أرقام الجدول سوى النساء اللاتي أدين بهذه المعلومات. ولذلك نجد ان بعض الأعمال لاتكتمل مائة بالمائة، بسبب تقريب الأرقام.

(ب) لا تشير تلك البيانات الا الى النساء المتزوجات. ولذلك لم تتضمن الأرقام بعض النساء اللاتي لم يتجنبن.

## الاختلافات الطبقيّة في الخصوبة

وتعد الفروق الطبقيّة في الخصوبة من أبرز العوامل التي يمكن أن تكون مسئولة عن الاختلافات في الخصوبة بين الجماعات المختلفة داخل نفس السكان .  
ولحت ايدينا دراسة مصرية رائدة حول هذا الموضوع أجراها الدكتور السيد الحسيني مع فريق من باحثي جهاز تنظيم الأسرة والسكان في القاهرة وكلية آداب القاهرة (١) .

وقد استعرض السيد الحسيني وهو بصدد تقديم بحثه أبرز الدراسات والاتجاهات التي يتضمنها موضوع الاختلافات الطبقيّة في الخصوبة . ثم بدأ في تقييم تقريره عن الدراسة الذي شمل ثلاثة فصول من التقرير علاوة على عرض نتائج الدراسة .

وسوف نعتمد على الفصل الأول من ذلك التقرير في القاء الضوء على أبرز الدراسات التي تناولت موضوع الفروق الطبقيّة في الخصوبة .

يقول السيد الحسيني ان الدراسات السابقة قد أثارت جدلا حول علاقة الطبقة الاجتماعية بالسلوك الانجابي . فالبعض يرى أنه كلما ارتفع المستوى الاقتصادي الاجتماعي ، أي كلما صعد الفرد في سلم الحراك الاجتماعي الى أعلى مالت اتجاهاته نحو التقليل من الانجاب وكلما اتخذت أسرته شكل الأسرة النووية (الصغيرة الحجم) . وكلما انخفض المستوى الاجتماعي الاقتصادي ازداد تفضيله لانجاب عدد كبير من الأطفال واتخذت الأسرة شكل الأسرة الممتدة الكبيرة الحجم .  
والبعض الآخر ينكر هذه العلاقة العكسية ويراهم علاقة ايجابية بين حجم الأسرة وبين الطبقة الاجتماعية . والشواهد هنا وهناك ضعيفة جدا . ولاشك أن الجدل المثار حول علاقة السلوك الانجابي بالطبقة الاجتماعية قد نبع من الجدل المثار

---

(١) انظر مجلة دراسات سكانية، تصدر عن جهاز تنظيم الأسرة والسكان، مكتب البحوث ، (نشرة شهرية) العدد ٢٣، يونيو ١٩٧٦، يشرف على اصداها د. محمد صبحي عبد الحكيم ، عدد خاص عن بحث «الطبقة الاجتماعية والسلوك الانجابي» ، اشرف د. السيد محمد الحسيني ، ص ص ١-٦٦ (علاوة على ملاحق وملخص باللغة الانجليزية) .



حول العلاقة بين التقدم الاقتصادى الاجتماعى وبين حجم الأسرة. فقد درج الباحثون على الربط بين تقلص الأشكال الممتدة من الأسرة وبين زيادة معدلات التصنيع والتحضر. غير أن البحوث الحديثة قد ألفت شكوكا كثيرة على هذه العلاقة بحيث بدأ الباحثون يذهبون الى القول بأنه ليس من الضرورة أن يصاحب عمليات التصنيع والتحضر انهيار أو تفكك للأسرة الممتدة. وبناء على ذلك فليس من الضرورى أن تكون الأسرة الممتدة معطلة أو معوقة لعمليات التصنيع (١).

ويحتم علينا هذا أن نستعرض بعض الدراسات السابقة التى تناولت العلاقة بين حجم الأسرة أو الاتجاهات نحو الانجاب وبين المستوى الاجتماعى الاقتصادى فنجد أن كل الدراسات السابقة تكاد تتجمع حول موضوع الخصوبة واتخذت الدراسات هنا اتجاهين مختلفين، ولكنها مترابطة أشد الترابط.

الاتجاه الأول اهتم بدراسة العلاقة بين الطبقة الاجتماعية والخصوبة. فقد شغلت الفروق الطبقة فى الخصوبة اهتمام الباحثين خلال العشرين عاما الماضية. وقد تأسست الدراسات المبكرة فى هذا المجال على افتراض قديم مؤداه أن المستويات الطبقة العليا لا تنجب أطفالا بنفس معدل المستويات الطبقة الدنيا. ومن هذه الدراسات المبكرة الدراسة التى قام بها كيسر Kiser على جماعات مختارة من سكان الولايات الشمالية الشرقية فى الولايات المتحدة. واستخلص كيسر من هذه الدراسة أن هناك ميلا عاما لانخفاض معدل الخصوبة فى الفترة من ١٩٠٠ - ١٩١٠. وكان التباين أوضح ما يكون بالنسبة للمستويات الطبقة الريفية والحضرية كما تحددت من خلال المهنة. ولكن اتضح أن معدل الانخفاض كان أكبر فى الطبقات الدنيا عنه فى الطبقات العليا. (٢)

وتوالى الدراسات بعد ذلك تؤكد هذه العلاقة العكسية بين الخصوبة والطبقة الاجتماعية. فقد تمكن كل من لوريمر Lorimer واسبورن Osborn من دراسة

---

(١) علياء شكرى، «مشكلات أساسية حول الأسرة والتصنيع»، دراسة فى كتاب السيد الحسينى وزملائه، دراسات فى التنمية الاجتماعية، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٩٧٥.

(2) Dinkel, R., "Occupation and Fertility in the United States" A.S.R. 1965 . pp. 178-183.

خصوبة المستويات المهنية في عام ١٩٢٨ عن طريق عدد الأطفال الذين أنجبتهن النساء المتزوجات خلال هذا العام . وانتهى الباحثان الى أن عدد الأطفال كان يتناقص كلما ارتفع المستوى الطبقي على حسب المستويات المهنية التالية : الفلاحون ، والعمال غير المهرة ، والعمال نصف المهرة ، والعمال المهرة ، ورجال الأعمال والكتابيون ، وأصحاب المهن الفنية العليا <sup>(١)</sup> . ولقد توصل نوتشتاين Notestein الى نتائج مشابهة من دراسته التي أجراها على مجموعة من الأسر في مناطق فقيرة من خمس مدن أمريكية ، وان كان قد حدد المستوى الطبقي من خلال الدخل وليس المهنة . فقد وجد نوتشتاين أن النساء المتزوجات في الأسر ذات الدخل الأقل من ١٢٠٠ دولار أكثر خصوبة من نساء الأسر ذات الدخل التي تزيد عن ٢٠٠٠ دولار ، كما وجدنا نفس العلاقة العكسية بين الخصوبة والدخل بين طبقة رجال الأعمال <sup>(٢)</sup> . وتكمن أهمية دراسة نوتشتاين في أنها أظهرت أن التباين في معدلات الخصوبة لا يظهر بين الطبقات المختلفة فقط وإنما يظهر أيضا داخل الطبقة الواحدة على حسب الاختلاف في الدخل .

وإذا كانت هذه الدراسات تمثل الدراسات التي تؤكد على العلاقة العكسية بين الطبقة الاجتماعية والخصوبة ، فإن هناك دراسات أكدت على العلاقة الإيجابية بين الخصوبة وبين المستوى الاجتماعي الاقتصادي . فقد توصل هتشنسون Hutchin-son في دراسة له في استكهولم الى نتيجة مؤداها أن المتزوجين الذين ينتمون الى أعلى الطبقات كانوا أكثر خصوبة من متزوجي الطبقات الدنيا . وأكد هتشنسون أن الدخل كان هو العامل الأكثر أهمية في تحديد هذه العلاقة اذا ما قورن بالمهنة . فقد وجد أن هناك ارتباطا ايجابيا قويا داخل الطبقة الواحدة بين الخصوبة والدخل .

(1) Lorimer, F., and Osborn, Dynamics of population, New York Macmillan Co. 1934, p. 74.

(2) Notestein, F., "Class Differences in Fertility" in Bendix R, and Lipset, S., Class, Status and Power pp. 271-281.

وقد ترجمت هذه المقالة الى اللغة العربية في :

أحمد الخشاب (مترجم) اختلاف الطبقات في الخصوبة ، مقال منشور في مجلة مطالعات في العلوم الاجتماعية ، العدد الثاني ، ربيع ١٩٥٩ - ص ص ٧١ - ٩٢ .

ففى المستويات ذات الدخل المنخفض تتباين الخصوبة بتباين معدلات الدخل، ويحدث نفس الشيء فيما يتعلق بالمستويات ذات الدخل المرتفع (١).

ولقد توصلت مرجريت هاجود Haggod الى نتائج مشابهة من دراسة لها فى أحد المناطق الريفية . اهتمت الباحثة فى هذه الدراسة بالعلاقة بين الخصوبة وبين الدخل، واكتشفت أن الخصوبة ترتبط ارتباطا موجبا بالدخل ، حيث يزداد عدد الأولاد فى الأسرة بزيادة الدخل . (٢)

وقد اثبتت دراسة مصرية قام بها عبد الخالق ذكرى ومرزوق عبد الرحيم نفس النتائج تقريبا . فقد استهدفت هذه الدراسة التعرف على الاتجاه نحو تنظيم الأسرة فى قرية مصرية (سنديون) (٣) . واتضح للباحثين أن أقل مستوى للخصوبة (٣, ٨٩) كان فى فئة العمال الزراعيين، ويتدرج صعودا الى ٤, ٦٧ فى فئة الموظفين و ٤, ٧٣ فى فئة العمال غير الزراعيين و ٥, ٦٧ فى فئة المستأجرين و ٦, ٣٩ فى فئة التجار و ٦, ٤٥ فى فئة ملاك الأرض الزراعية الذين يملكون الأرض ويزرعونها . وتصل الخصوبة الى أعلى مستوى لها (٦, ٥٨) فى فئة ملاك الأرض الزراعية . ورغم أن لدينا تحفظات كثيرة على هذه الدراسة (٤) . فان أهميتها هنا تكمن فى تأكيدها على العلاقة الطردية بين الخصوبة وبين المستوى الاجتماعى الاقتصادى كما يتحدد من خلال المهنة .

وإذا كانت كل الدراسات السابقة تجمع على وجود علاقة (عكسية أم طردية) بين المستوى الاجتماعى والاقتصادى وبين الخصوبة، فانها تختلف حول تفسير

---

(1) Hutchinson, E., Studies in Differential Fertility in Sweden; London King and son Ltd., 1953. F. 116.

(2) Haggood M. "Changing fertility differentials among operator families in Relation to Economic size of farm; S.R. December, 1948, pp. 363-373.

(٣) عبد الخالق ذكرى ومرزوق عبد الرحيم . الاتجاه نحو تنظيم الأسرة فى قرية مصرية، الحلقة الثانية للدراسات والبحوث الاحصائية، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٦٦ . ص ص ١٩٩ - ٢٢١ .

(٤) من أهم هذه التحفظات ما يتعلق بموقف هذه الدراسات من البناء الطبقي فى القرية المصرية ، فقد اهتمت الدراسة بفئات مهنية (وصلت الى سبع فئات) ولم تحاول ضم هذه الفئات فى تجمعات طبقية عريضة .

سبب هذه العلاقة فالبعض يرجع سبب العلاقة العكسية الى أن الطبقات المختلفة تختلف فيما بينها فيما يتعلق بمعرفة وسائل منع الحمل ، والبعض الآخر يرى ان هذه المستويات تختلف أساسا في اتجاهها نحو وسائل منع الحمل لا في مدى معرفتها بها . وقد قدمت دراسة مصرية حديثة استهدفت الكشف عن العوامل الاجتماعية النفسية المؤثرة على الخصوبة تفسيرا مغايرا لهذا التفسير . فقد أكدت نتائج هذه الدراسة أن لدى الفقراء اعتقادا بأن الله يعطى للفقراء - الذين أثبتت الدراسة أن أسرهم كبيرة الحجم - أبناء أكثر مما يعطى للأغنياء . فالحصول على الأبناء عطية من عند الله لادخل لانسان فيها ، أما الأغنياء ذوى الأسر الصغيرة الحجم فانهم لم يعتقدوا أن هذه الأسر الصغيرة ناتجة عن التنظيم الارادى للانجاب (١) . أما عن العلاقة الطردية فتفسر أحيانا من خلال ارتفاع الدخل وما يرتبط به من استقرار فى الحياة العائلية والمعيشية الأمر الذى يسهم فى ارتفاع معدلات الخصوبة . كما يفسر أحيانا أخرى من خلال رغبة العائلات الغنية فى تكوين عصبيات أو فى رغبة الأسرة فى الريف فى انجاب الأولاد بوفرة للمساعدة فى العمليات الزراعية المختلفة .

أما الاتجاه الثانى فقد اهتم بالارتباط بين الخصوبة وبين الحراك الاجتماعى الأفقى والرأسى عبر المستويات الاجتماعية المختلفة . وقد التقت كل الدراسات التى تدخل تحت هذا الاتجاه حول اختبار نظرية ديمون Demont عن الجاذبية الاجتماعية Social capillarity التى تؤكد القضية الرئيسية فيها أن الأسر يجب أن تكون صغيرة لكى تتمكن من الارتفاع فى السلم الاجتماعى . وبالتالي كلما تحرك الفرد عبر المستويات الاجتماعية المختلفة كان حجم الأسرة صغيرا . وقد مالت كل الدراسات التى اختبرت هذه النظرية نحو تأييدها . فقد كشف كل من كارل ادن Edin وهتشنسون Hutchinson فى دراسة لهما عن أن الأشخاص ذوى المكانات

---

(١) نادبة حليم . العوامل الاجتماعية النفسية المؤثرة على الخصوبة ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب -

جامعة عين شمس ١٩٧٤ .

المهنية العليا يكون لديهم عدد أطفال أقل من ذوى الميكانات المهنية الدنيا. (١)  
وقد اكّد مسح انديانابولس Indianapolis نفس العلاقة ولكن فيما يختص بالقيم  
المرتبطة بالأسرة والسلوك الانجابى . فأحد النتائج الرئيسية التى تضمنها هذا  
المسح تذهب الى ان القيم السائدة فى المستويات الاجتماعية التى تحركت منها  
الأسرة تتغير عندما تتحرك هذه الأسر الى مستويات أعلى بحيث تستدمج الأسر  
قيم الأسر التى كانت تسعى الى الوصول اليها، وبالتالي تميل هذه الأسر نحو  
«تصغير» حجمها تمشياً مع ما هو سائد فى هذه المستويات العليا. (٢)

وقد ركزت هذه الدراسات على حجم الأسرة او عدد الأبناء مهمة بعض  
النواحي الأخرى مثل انجاب الطفل الأول بعد الزواج . وقد جاءت بعض  
الدراسات لاستكمال هذا النقص . فقدم كريستنسن Christensen دراسة كشف  
فيها عن أن الفترة التى تنحصر فيها بين الزواج وانجاب الطفل ترتبط ارتباطاً  
عكسياً بحجم الأسرة (٣) . كما أجرى تين Tien فى سنة ١٩٦١ دراسة على عينة مكونة  
من ١٢٦ مدرسا واستاذاً يعملون فى جامعتى سدنى وملبورن الأستراليتين وقد  
حاول فى دراسته اختبار فرضين أساسيين : الأول ان عدم التحرك يرتبط بالأسرة  
الكبيرة الحجم ، وأن الحراك يرتبط بالأسرة الصغيرة الحجم . والثانى أن عدم  
التحرك يرتبط بقصر الفترة فيما بين الزواج وانجاب الطفل وأن الحراك يرتبط بطول  
الفترة فيما بين الزواج وانجاب الطفل الأول .

---

(1) Edin, K., and Hutchinson, E., studies of Differential Fertility in  
Sweden, London, p.s. and son Ltd. 1953 .

(2) Riemer, R.. and Kiser, G., "Economic Tension and Social Mobility  
in relation to Fertility planning and size of Planned  
Family", in: Whelptan, P., and Kiser, C., (eds) social and psychological  
factors Affecting Fertility, New York, Milbank Memorial Fund 1954

(3) Christensen, H., The Time Interval Between of Parens and Birth  
of Their child in Utah C., Utah,. A.S.R. 44, 1953, pp. 815-825.

ويلاحظ أن جميع افراد العينة ولدوا في استراليا وتزوجوا مرة واحدة فقط ولمدة عشر سنوات على الأقل . بيد أن هناك ٦٦ منهم أبرموا عقود زواجهم قبل عام ١٩٤٠ . لذلك شكل هؤلاء أول مجموعة زواجية (١٩٢٠ - ١٩٣٩) . أما المجموعة الزواجية الثانية (١٩٤٠ - ١٩٤٧) فتشمل ال ٦٠ مبحوثا الآخرين .

والتغيرات الأساسية في هذه الدراسة هي حجم الأسرة ، ووقت ميلاد المولود الأول ، وشدة الحراك . أما فيما يتعلق بحجم الأسرة فقد قدره الباحث على أساس متوسط عدد الأطفال الذين ولدوا حتى نهاية السنة العاشرة من زواج كل مبحوث . وبالنسبة لتحديد ميعاد المولود الأول فقد قدره على أساس عدد الأيام التي تنحصر فيها بين الزواج وانجاب مولوده الأول<sup>(١)</sup> وأخيرا فيما يتعلق بشدة الحراك نجد الباحث يأخذ بتصنيف طبقى يتألف من سبع فئات ترتيبها كالآتى : الأول أصحاب المهن الفنية العليا ونصف الفنية العليا ، والثانية وتضم كبار الموظفين والاداريين ، والثالثة وتغطى صغار الموظفين والاداريين ، والرابعة وتستوعب الباعة والكتبة ، أما الخامسة فتمثل العمال المهرة . والسادسة وتجمع أصحاب المهن نصف الماهرة وغير الماهرة ، أما السابعة والأخيرة فتشكل المهن الريفية .

ولقد كشفت مقارنات متوسطات خصوبة العشر سنوات بالنسبة للمبحوثين في كل من المجموعتين ، عن ان التغير في الخصوبة داخل المجموعة يمكن أن يسهم في تغير نمط بناء الأسرة غير أن الفرق في متوسط حجم الأسرة وفقا لشدة الحراك لا تؤيد بوضوح الفرض القائل بأن الحراك يرتبط بالأسرة الصغيرة الحجم ، كما أن هذه الفروق التي تتسق مع هذا الفرض لا تكفى لتشكيل علاقة بين الظاهرتين . وباختصار لقد أوضحت الدراسة أن معدلات الخصوبة كانت تقترب من بعضها الى حد كبير فالمبحوثون في المجموعة الزواجية ١٩٢٠ - ١٩٣٩ لديهم نفس متوسط عدد الأولاد في نهاية السنة العاشرة من الزواج بغض النظر عن سن الزواج . وهذا

(١) ولقد قدر الباحث ذلك مفترضا أن كل سنة انقضت بعد تاريخ الزواج تشمل ٣٦٥ يوما ، وكل شهر ٣٠ يوما . فمثلا بالنسبة لمبحوث تزوج في ٢٠ ابريل سنة ١٩٢٦ وانجبت مولوده الأول في ١٥ أبريل ١٩٢٩ ، فإن عدد الأيام بين الزواج وانجاب المولود الأول تكون ١٠١٥ يوما (أى  $2 \times 365 + 9 \times 30 + 15$ ) .

صحيح كذلك بالنسبة للمبشرين في المجموعة الزوجية ١٩٤٠ - ١٩٤٧ كما أوضحت الدراسة أن هناك فروقا في الخصوبة عندما تم ربطها بشدة الحراك. ولكن هذه الفروق ليست كبيرة الى الدرجة التي تؤكد بها الافتراض القائل بأن الحراك يرتبط بالأسرة الصغيرة الحجم. ولعل أهم ما كشفت عنه هذه الدراسة هو أن حجم الأسرة لا يرتبط بالحراك تحت ظروف اجتماعية اقتصادية مختلفة ، بقدر ما يرتبط بزعم المبشرين بأنهم يوجهون حياتهم الزوجية. فهم اذن يخلقون شكاً فيما يتعلق باستعمال حق تحديد عدد الأطفال كمقياس كاف لدراسات الحراك. ومع أن عينة هذه الدراسة كانت صغيرة الى الحد الذي لا يسمح لنا بالوصول الى استنتاج عام، إلا أنها كشفت بوضوح عن أنه على الرغم من أن القبول العام لممارسة تحديد النسل قد قلل إلى حد كبير من امكانية الفروق في عدد الأطفال الذين ينجبهم المتزوجون، إلا أن الحراك مازال يعد عاملاً له دلالة خاصة في علاقته بالخصوبة.

والملاحظ على هذه الدراسات التي ركزت على العلاقة بين المستوى الاجتماعي والاقتصادي والخصوبة انها: أولاً: لم تتفق على معيار محدد لقياس المستوى الاجتماعي والاقتصادي فبعضها يهتم بالدخل، وبعضها الآخر يهتم بالمهنة. وثانياً: أنها توصلت الى نقاط خلاف حول الموضوع أكثر من التوصل الى نقاط اتفاق. وثالثاً: أنها اهتمت ببعد واحد من أبعاد السلوك الانجابي وأعنى الخصوبة. ولم تهتم بالأبعاد الأخرى الموضوعية والذاتية المرتبطة بهذا السلوك مثل بعد الفترة بين الأطفال، وتعدد الزوجات، ودرجة التفضيل بين الذكور والاناث، وغير ذلك من الأبعاد. وربما يكون هذا السبب هو الذي جعل هذه الدراسات تختلف اختلافاً بيناً حول الكثير من الموضوعات. وتنطبق نفس الملاحظات على الدراسات التي ركزت على العلاقة بين الخصوبة والحراك الاجتماعي عبر المستويات الاجتماعية الاقتصادية المختلفة، فرغم تأكيد هذه الدراسة على العلاقة العكسية بين الخصوبة والحراك الاجتماعي إلا أن هذه إحدى نتائج دراسات قد نفت أو حيّدت هذه العلاقة. ولكن هناك على هذه الدراسات ملاحظة تنطبق على

كل الدراسات التى تهتم بموضوع توجيه الانجاب وتخطيط الأسرة، مؤداها أنها تعالج موضوعات جزئية مثل الخصوبة وعدد الأطفال ولا تهتم اطلاقا بالسياق الاجتماعى العام الذى يحدد هذه الأشياء ويتحكم فيها. ويدعم وجهة نظرنا هنا ما ذهب اليه جيمس أولمان James Allman وبريتيل ماتسون Bertil Mathsson من أن الجهود التى تبذل فى دراسة السلوك الإخصابى وبرامج تنظيم الأسرة يجب أن تقترن بالمزيد من الاهتمام بالمضمون الاجتماعى الاقتصادى الأوسع، بحيث توجه البحوث نحو دراسات تحليلية ودقيقة وعميقة تمس مسألة تكوين الأسرة وانحلالها داخل المضمون الاجتماعى الاقتصادى الثقافى للمجتمع. (١)

### الاختلاف فى الخصوبة بين الجماعات المهنية

تهتم كثير من الدراسات بتتبع الاختلاف فى الخصوبة بين الجماعات المهنية فى المجتمع. وتثير عملية تصنيف المهن فى ذاتها مشكلة أمام الباحث، وقد حرصت الهيئات العلمية الدولية على تطوير تصنيف دولى للمهن، وإن كان يحتاج فى كل حالة الى ادخال بعض التعديلات عليه بحيث يناسب ظروف المجتمع الذى نجرى فيه الدراسة. ويلاحظ على هذا الموضوع ثانيا أن أفراد أى جماعة مهنية يختلفون اختلافا كبيرا فى التركيب العمرى مما يفرض على الباحث عمل معدلات خصوبة للجماعات المهنية خاصة بفئات العمر المختلفة، لأنه بدونها يصبح أى تعميم قليل القيمة.

ويمكن عادة حساب معدلات الخصوبة السنوية بالطرق الشائعة، ولكن المشكلات الهامة فى هذا الصدد ترجع كلها الى طبيعة التصنيف نفسه وما يحيط به. وحتى لو صرفنا النظر عن تصنيف المهن الذى بذلت فيه جهود دولية طيبة، فإن المشكلة الأساسية هى أن التصنيف المهنى لا يرتبط ارتباطا مباشرا بالمواليد. حيث يتم التصنيف على أساس الأب غالبا، وهو مصدر غير مباشر لحساب

---

(١) جيمز اولمان وبريتيل ماتسون، بحوث العلوم الاجتماعية فى تنظيم الأسرة فى الدول النامية، ترجمة محمد كامل النحاس، مقال بالمجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، العدد الثالث والعشرين - السنة السادسة ١٩٧٦ ص



المواليد، ثم ان المعلومات المطلوبة (فيما يتعلق بمرات الحمل والولادة) تحتاج الى سجلات من نوعية لا تتصل بالسجلات المهنية الا بصعوبة ، وقد لا تتصل بها على الاطلاق . ويترتب على هذا كله أن يصطدم الباحث بوجود قدر كبير من التضارب بين الولادات المسجلة وبين بيانات التعداد . ولذلك يحسن به دائما أن يتخذ موقف الشك من معدلات المواليد هذه ، لأنه ليس لديه فرصة مناسبة لاختبار صحتها أو دقتها .

وقد يعفينا الاعتماد على التاريخ الانجابي من مواجهة بعض تلك المشكلات ، لأنه يجنبنا المقابلة بين هذين النوعين المتضاربين من البيانات ولكنه ينطوي بدوره على مشكلات معقدة ، إن التاريخ الانجابي الذي نحصل عليه دائما خاص بالنساء فقط ، ولكن أغلب أصحاب المهن من الرجال فقط . ولذلك فإن التصنيف المهني للرجال - الذين يمثلون أرباب الأسر - هو الأساس السليم لتصنيف الأسر تبعا للظروف الاقتصادية والاجتماعية . فنحن في الواقع نصنف النساء تبعا لمهنة الزوج (أو لمهنة رب الأسرة) . ولذلك لا يمكن أن تقوم لهذه الدراسات قائمة الا اذا توفرت معلومات عن حجم الأسرة الخاص بكل رجل .

ثم هناك طائفة أخرى من المشكلات تتعلق باختيار الفئات العمرية المناسبة . فاذا أردنا أن ندرس الأسر «المكتملة» فعلينا أن نستبعد الآباء الذين تقل أعمارهم عن ٥٠ سنة . مع العلم بأن هذا الحد العمري يجب أن يزداد حتما بالنسبة للرجال (على أساس أن أعمار الأزواج تزيد عادة على أعمار الزوجات) . عندئذ سوف نكتشف في العادة أن كثيرا من الناس في أعمارهم المتقدمة يكونون قد غيروا أسلوب حياتهم ولم يعودوا يمارسون نفس المهن التي كانوا يمارسونها وقت أن أنجبوا أطفالهم ، أى في الفترة التي نقيس خصوبتهم فيها . ولاشك أنه يتحتم ازاء هذا الوصول الى حل وسط . ويوضح لنا الجدول رقم (٧) متوسط حجم الأسرة للرجال تبعا لأنماط النشاط الاقتصادي الرئيسية التي يعملون فيها في البرازيل ، وفقا لتعداد ١٩٤٠ . ويتضمن الجدول المعلومات الخاصة بالفئات العمرية ٤٠-٤٩ و ٥٠-٥٩ ، و ٦٠-٦٩ .

وعلينا أن نتذكر على أى حال أن هذه الجماعات تمثل مراحل مختلفة الى حد ما من حجم الأسر التى ندرسها. كما تمثل مراحل مختلفة فى الحياة المهنية للرجال موضوع الدراسة. ولذلك فإن الأعمدة الثلاثة لا تمثل بالضرورة تمثيلاً دقيقاً نفس صورة تنوع الخصوبة تبعاً للجماعات المهنية المختلفة. ولكن اللافت للنظر حقاً - رغم كل تلك التحفظات والملاحظات - وجود ذلك التشابه فى نمط الخصوبة فى كل الجماعات المهنية بين الفئات العمرية الثلاث. ونجد أن الجزء «ب» من الجدول رقم (٧) يقدم لنا كل رقم فى صورة نسبة مئوية من رقم مجموع الفئة العمرية من الرجال، وذلك بهدف تسهيل المقارنة. فنلاحظ بوضوح أن العاملين فى الزراعة هم أصحاب أكبر الأسر حجماً. يليهم العاملون فى الصناعات الاستخراجية والتحويلية، ثم النقل، وأخيراً الإدارة العامة. أما أصغر الأسر حجماً فى المتوسط فنجدها بين المشتغلين بالمهن الحرة. (١)

والحقيقة أنه من الصعب التوصل الى استنتاجات قاطعة من واقع تلك البيانات. ويتضح ذلك اذا ما طرحنا التساؤلات التالية (على سبيل المثال): هل تمثل تلك البيانات أنماطاً حديثة من الاختلافات فى الخصوبة، أم أنها تمثل نمطاً قديماً مستقراً حينما أنجب أولئك الرجال غالبية أبنائهم؟ وهل ذكر أبناء بعض الجماعات المهنية أعداد مواليدهم بشكل أكمل وأدق من أبناء جماعات مهنية أخرى؟ وهل يمكن أن تتحسن عملية قياس الاختلافات فى الخصوبة عن طريق

---

(١) لا يمكن للباحث تفسير تلك البيانات دون أن يأخذ فى اعتباره توزيع الرجال فى البرازيل على المهن المختلفة. فنلاحظ أولاً أن الزراعة هى المهنة السائدة، وهذا هو السبب فى كبر حجم الأسرة فى مجموع السكان، لأن الجماعات المهنية الأخرى ذات وزن عددي ضئيل بالقياس إلى الزراعة ثم نلاحظ ثانياً أن توزيع الرجال على المهن المختلفة يختلف بالنسبة للرجال فى الفئات العمرية الثلاث ٤٠ - ٤٩، ٥٠ - ٥٩، ٦٠ - ٦٩. والسبب الأساسى فى هذا الاختلاف هو التقاعد التدريجى عن العمل مع تقدم العمر كما أن فئة «بدون مهنة» - الواردة فى الجدول - (والتي تضم أيضاً أصحاب المهن غير المعلومة أو غير المحدودة) تمثل ٣٪ من الرجال فى الفئة العمرية ٤٠ - ٤٩ وأكثر من ١١٪ من الرجال فى الفئة العمرية ٦٠ - ٦٩. لذلك نقول أن الوقوف على مثل هذه المعلومات يعد شرطاً ضرورياً للتوصل إلى نتائج دقيقة لها قيمتها من جدول من هذا النوع. انظر باركلي، المرجع السابق، ص ١٩٧ - ١٩٨ حاشية رقم ٤١.

تضمنين البيانات الخاصة بالشباب ، أم أن هذا من شأنه أن يزيد الصورة تعقيدا؟  
والواقع أنه يبدو أنه ليست هناك اجابات عامة وقاطعة عن مثل هذه التساؤلات .  
وان كان باركلي يؤكد على أى حال أنه بالنسبة لبيانات الجدول رقم (٧) فقد  
خضعت لدراسة دقيقة شاملة ، ولذلك فان هناك ما يبرر الاعتقاد بأن النتائج التى  
يصل اليها هى نتائج صحيحة ، فعلا ، ولكن هل يمكن أن يتم ذلك التحقيق  
والتحميمص الشامل فى كل حالة أخرى؟ ذلك أمر متروك للباحث يجب أن يرد عليه  
بنفسه فى كل حالة .

\*\*\*

جدول رقم (٧)  
حجم أسر الرجال في البرازيل ، تبعا لنوع المهنة

| الفئات العمرية للرجال      | (أ)<br>متوسط عدد الأطفال المولودين |       | (ب)<br>الأرقام القياسية (حجم الأسرة لكل الرجال= ١٠٠) |       |
|----------------------------|------------------------------------|-------|------------------------------------------------------|-------|
| نوع المهنة                 | ٤٩-٤٠                              | ٥٩-٥٠ | ٦٩-٦٠                                                | ٧٩-٦٠ |
| الزراعة وما يتصل بها       | ٦,١٣                               | ٧,٤٩  | ٧,٨٩                                                 | ١١٠   |
| الصناعات الاستخراجية       | ٤,٤٤                               | ٥,٥٤  | ٥,٩٤                                                 | ٨٢    |
| الصناعات التحويلية         | ٤,٥٥                               | ٥,٦٥  | ٦,٣٥                                                 | ٨٨    |
| النقل والمواصلات           | ٤,٣٥                               | ٥,٢٨  | ٥,٨٠                                                 | ٨١    |
| الإدارة العامة             | ٤,٢٦                               | ٥,٤٥  | ٦,٣٠                                                 | ٨٧    |
| التجارة                    | ٤,١٧                               | ٥,٢١  | ٥,٩٦                                                 | ٨٣    |
| والعقارات والأعمال المالية | ٣,٠٦                               | ٤,٢٤  | ٥,٤٠                                                 | ٧٥    |
| الخدمات                    | ٤,٠١                               | ٥,٠٠  | ٥,٦١                                                 | ٧٨    |
| الجيش والشرطة              | ٣,٦٢                               | ٤,٧١  | ٥,٤٣                                                 | ٧٥    |
| المهن الحرة                | ٢,٩٥                               | ٣,٨١  | ٤,١٦                                                 | ٥٨    |
| الأعمال المنزلية           | ٣,٦٦                               | ٤,٤٣  | ٥,٠١                                                 | ٧٠    |
| جميع الرجال العاملون       | ٥,٥٤                               | ٦,٧٩  | ٧,٣٩                                                 | ١٠٣   |
| الرجال يعدون مهنة          | ٣,١١                               | ٤,٥٨  | ٥,٦٨                                                 | ٧٩    |
| المجموع الكلي              | ٥,٤٧                               | ٦,٦٨  | ٧,٢٠                                                 | ١٠٠   |

## الاختلافات المحلية في الخصوبة

تعد الفروق في الخصوبة بين المناطق المختلفة داخل نفس الدولة من الظواهر الجديرة بالدراسة والتحليل في ذاتها، وبسبب ما تلقى عليه الضوء من عوامل تكون ذات تأثير على الخصوبة . ذلك أن السمات المميزة لأحد الأقاليم يمكن أن ترتبط ارتباطا مباشرا بخصوبة سكان ذلك الاقليم : كميل أبنائه الى الزواج المبكر أو تأخير سن الزواج، أو تأثير تكوين سلالى معين على أبناء الاقليم، أو وجود نسبة عالية من المهاجرين الجدد، أو سيطرة النظرة التقليدية أو النظرة الحديثة الى الأسرة على تفكير وأحكام أبناء ذلك الاقليم، أو وجود بعض الأنشطة البديلة بين النساء التى يمكن أن تصرفهن عن انجاب الأطفال . الخ .

ولعل أبرز أوجه الاختلاف في الخصوبة تبدو في الفروق التى نلاحظها بين المناطق الريفية والحضرية . والسبب في ذلك أن الحياة في الريف والحياة في الحضر تمثلان نموذجين مختلفين لأنماط الحياة والتفكير، والبيئة الاجتماعية والنشاط الاقتصادي . وإذا ألقينا نظرة سريعة على معدلات التكاثر في دولة ما فإنه يتضح على الفور أن خصب السكان يقل كلما زادت حضرية المنطقة، بينما يزيد معدل التكاثر كلما زادت ريفية المنطقة . ويلاحظ لين سميث تعليقا على هذا الوضع في الولايات المتحدة أن أغلب معدلات المواليد توجد في منطقة الأبلاش الجنوبية وفي الأجزاء التى يغلب عليها الطابع الريفى في الاقليم الجنوبى وفي الأجزاء النائية من مرتفعات الروكى . ويلاحظ من ناحية أخرى أن معدل التكاثر ينخفض كثيرا في جميع المدن الكبرى لدرجة أنه يبدو أن ذلك له أثره في انخفاض معدلات المواليد عند سكان المقاطعات الريفية المحيطة بتلك المدن (١) .

ولكن الملاحظة الجديرة بالاهتمام حول هذا الموضوع أنه لكى نتمكن من أن نقرر ما اذا كانت الفروق في الخصوبة بين الريف والحضر راجعة فعلا الى الريفية والحضرية (وليس الى عوامل أخرى) فيجب تصنيف البيانات بطرق معينة . والا

---

(١) لين سميث . أساسيات علم السكان، مرجع سابق، ص ٣٧٥

فانه من المحتمل أن يقرر المرء وجود تفاوت ما، بينما هو في الحقيقة مجرد انعكاس لتفاوت آخر. كأن تكون مثلاً نسبة الزواج - كما هو الحال في بعض مناطق الولايات المتحدة - هي المسئولة عن ارتفاع خصوبة منطقة معينة. وليس كون تلك المنطقة ريفية مثلاً. كما أن التركيب العمري للمنطقة يؤثر أبعد الأثر في خصوبتها. فنحن نعرف على سبيل المثال أن المناطق الحضرية في أغلب البلاد النامية تتميز بارتفاع نسبة الشباب فيها. مما ينعكس بدوره في ارتفاع معدلات خصوبة المناطق الحضرية في البلاد النامية عن المناطق الريفية فيها. كل تلك اعتبارات يجب الانتباه إليها خوفاً من الوصول الى نتائج خاطئة أو تفسيرات مجانبية للصواب (١).

وقد أورد لين سميث بعض البيانات الاحصائية الخاصة بنسب الخصوبة في الريف والحضر في بعض بلاد أمريكا اللاتينية (الجدول رقم ١٢ على صفحة ٣٧٩ من كتاب سميث: أساسيات علم السكان المشار اليه). وقد خلص منها الى النتيجة التالية: كلما قل معدل التكاثر العام في بلد ما، فإن التفاوت في الخصوبة بين الريف والحضر يزداد. ومن المحتمل أن يستمر التفاوت السائد حالياً في معدل المواليد بين الريف لبضع عشرات من السنوات المقبلة. وذلك على اعتبار أن العوامل الفعالة حالياً تجعل المرء يتوقع استمرار اتجاه دول أمريكا اللاتينية نحو التصنيع وسكنى المدن. بل ان ذلك قد يصبح من الأمور الأكثر وضوحاً في معظم أجزاء المكسيك وأمريكا الوسطى وجمهوريات جزر الهند الغربية وأمريكا الجنوبية وفي نهاية الأمر لابد من بلوغ نقطة يؤدي هذا الاتجاه عندها الى انخفاض في معدل المواليد في طول هذه المساحة وعرضها، لأنه عندما يمثل سكان الحضر نسبة أكبر من مجموع السكان سوف تهبط نسب معدلات المواليد القومية في كثير من البلاد. بل ان هذا الانخفاض قد يكون حاداً في بعضها (٢).

---

(١) انظر لين سميث، المرجع السابق. ص ٣٧٥ وما بعدها، وكذلك باركلي المرجع السابق، ص ١٩٨-١٩٩. ونشير في هذا الصدد أيضاً الى مشكلة أخرى خاصة بتحديد الوحدات الريفية والوحدات الحضرية، وهل يتم ذلك - كما هي القاعدة السائدة - على أسس واعتبارات عديدة بحتة، أم يجب أن نأخذ في الاعتبار أسساً اجتماعية واقتصادية معينة. ذلك أن السمات المميزة للخصوبة في المناطق الحضرية - وهي الاتجاه العام الى الانخفاض - لا تبدو بصورة واضحة إلا في المدن الكبرى، أو التي يمكن أن نطلق عليها «حضرية» فعلاً بالمفهوم الاقتصادي والاجتماعي الدقيق.

(٢) لين سميث، المرجع السابق، ص ٣٧٨.

ويشير سميث - في نفس المرجع ونفس الصفحة- الى مظهرين آخرين هامين للعلاقة بين الاتجاه نحو الحضرية وبين معدل التكاثر، وهما:

١ - الطرق التي تختلف بها نسبة الخصوبة من المدن الكبيرة، الى المدن الأقل سكانا، الى المدن الصغيرة، الى القرى والريف.

٢ - أوجه التفاوت في معدلات التكاثر بين سكان المدن الرئيسية للمناطق الحضرية وبين أولئك الذين يعيشون في المناطق المجاورة مباشرة لتلك المدن.

\*\*\*





## **الباب الرابع**

### **دراسة الهجرة**

- الفصل العاشر: الهجرة: التعريف والتصنيف والأنماط.
- الفصل الحادى عشر: قياس الهجرة : الطرق والمشكلات.
- الفصل الثانى عشر: دراسة الهجرة الخارجية.
- الفصل الثالث عشر: تكيف المهاجرين.
- الفصل الرابع عشر: أسباب الهجرة الداخلية (العوامل والدوافع).
- الفصل الخامس عشر: النظريات المفسرة للهجرة الداخلية.



## الفصل العاشر

### الهجرة: التعريف والتصنيف والأنماط

#### مقدمة

يعنى مصطلح الهجرة migration الانتقال من مكان إلى آخر وبخاصة من دولة أو إقليم أو محل سكن أو إقامة ، إلى مكان آخر بغرض الإقامة فيه . وهى تعنى أيضاً الانتقال بصفة دورية من إقليم إلى إقليم آخر . وبهذا تشير كلمة هجرة إلى أنواع مختلفة من الحركات السكانية مع الافتراض الضمنى أنه سيترتب على هذه الحركات تغيير فى محل الإقامة أو المسكن (١) . ويتضمن هذا المفهوم أيضاً حالة الهجرة الدائمة أو الحراك mobility الدائم الذى تمارسه الجماعات دائمة التنقل مثل الجماعات البدوية وغيرها .

وهناك عدة مصطلحات ترتبط بمصطلح الهجرة ، مثل «المهاجر» migrant وهو الشخص الذى يقوم بالهجرة ، ومصطلح النزوح emigration وهو يعنى ترك المكان ، ثم «الوفود» immigration ويعنى الهجرة إلى مكان ما . وفى هذه الحالة يطلق على المهاجر من المكان مصطلح «نازح» emigrant ، والمهاجر إلى المكان مصطلح وافد Immigrant ويطلق أيضاً على تيار الهجرة النازح : out - migration والمهاجرين النازحين Out-migrants وعلى تيار الهجرة الوافد : in-migration والمهاجرين الوافدين in - migrants ولكن يلاحظ أنه فى اللغة العربية تستخدم كلمة مهاجر على الوافد والنازح معا ، ويفهم المعنى من السياق (١٢) .

وللهجرة أهمية خاصة فى الدراسات السكانية ، فإذا كانت مع المواليد والوفيات

---

(١) لين سميث ، أساسيات علم السكان ، ترجمة الدكتور محمد السيد غلاب ، وفؤاد إسكندر مراجعة وتقديم الدكتور عز الدين فريد ، المكتب المصرى الحديث ، الإسكندرية ، سنة ١٩٧١ ، ص ٤٩٩ .

(٢) أنظر هال هلمان . مشكلة تضخم السكان ، أخطر مشكلة تهدد عالم اليوم ، ترجمة محمد بدر الدين خليل ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٤ ، أنظر هامش ص ص ٥٦ ، ٥٥ .

- تمثل عاملاً مؤثراً في نمو وتغير السكان إلا أنها كثيراً ما تصبح أهم هذه العوامل الرئيسية الثلاث المتصلة بتغيرات السكان في مكان ما . ففي بعض الأحيان تكون هجرة جماعة معينة أقوى تأثيراً - من حيث إحداث تغيرات في السكان - من المواليد والوفيات . فالهجرة على سبيل المثال لها تأثير مباشر على التكوين الجسمي وعلى صحة السكان المهاجرين . كما أن لها آثاراً بالغة على شخصيات المهاجرين أنفسهم كما سنوضح فيما بعد . ومن الطبيعي أن تأثير الهجرة يكون في أدنى درجاته في حالة جماعات الرحل حيث يعتبر التجوال هو نمط حياتهم المعتاد ، وحيث لا تضطر الجماعة المهاجرة في هذه الحالة إلى تغيير نمط حياتهم أو نظمها أو ثقافتها ، كما أنها لاتعاني من التمزق الاجتماعي نتيجة عملية الهجرة . ومع ذلك فإنه - حتى في هذه الظروف - لابد للأفراد المتنقلين من أن يكيفوا أنفسهم لبيئات جديدة ودائمة التغير . علاوة على ذلك نلاحظ أن الوسائل التي يتخذها الرحل لحماية أنفسهم من الجو أقل تطوراً واكتمالاً من تلك التي تستخدمها الجماعات المستقرة ، ومن ثم فإن المضاعفات الاجتماعية للهجرة تكون عند حدها الأدنى لدى الجماعات الدائمة الحركة .

وتضع حياة التجول أيضاً حدوداً واضحة للتركيبات الاجتماعية التي يمكن أن تتطور وتستخدم . مثال ذلك أن حجم تلك الجماعات لابد وأن يكون صغيراً بحكم الضرورة التي تملحها قيود الحصول على الطعام - سواء بالنسبة للإنسان أو الحيوان . وتحديد عدد الجماعة - بدوره - يستبعد ظهور التخصصات العالية المبنية على تقسيم دقيق للعمل . ولذلك فإن الحياة الاقتصادية يجب أن تكون بسيطة - تعتمد على الجمع أو صيد الحيوان والأسماك أو الرعي ومن المستحيل أيضاً أن تنشأ وسائل متطورة للاتصال والنقل بين جماعة دائمة الحركة - كالتليفون ، والتلغراف ، والراديو ، والتليفزيون ، والسيارة ، والطيارة . كذلك من المتعذر في نمط الحياة الترحالية وجود المدارس والمستشفيات والكثير غيرها من أجزاء البناء الاجتماعي ، المعروف في المجتمعات الحديثة الكبرى . ولسنا بحاجة إلى أن نضيف إلى ما تقدم للتدليل على أن للهجرة دوراً لا يستهان به - حتى لدى الأقوام الرحل .

أما إذا كان معظم السكان يعيشون حياة مستقرة، فإن الهجرات بالنسبة إليهم تكون أعظم أثراً منها بين الرحل. وأهم شيء تحت هذه الظروف هو أثر الهجرة في العمليات والأبنية الاجتماعية، وفي شخصيات الأفراد. ففي الجماعات التي طابعها الاستقرار المستديم يتسبب إنتقال الأفراد من مكان إلى آخر في قطع أهم الصلات والروابط الاجتماعية، إذ يترتب على المهاجرة تمزق الهياكل الاجتماعية القائمة عند الجماعات التي خرج منها المهاجرون، في حين أن قدوم مهاجرين من الخارج كثيراً ما يدخل عناصر متعارضة ثقافياً وحضارياً مع المجموعات المستقرة التي وفدوا إليها، ولذلك فإن الهجرة تستلزم تكييفاً اجتماعياً واقتصادياً من جانب الجماعات التي نشأ فيها المهاجرون، والجماعات التي سينتقلون إليها. هذا علاوة على صور التكيف الشخصي والاجتماعي للأفراد الذين ينتقلون من مكان إلى آخر. فالمجتمع الأصلي الذي هاجر منه الأفراد، وذلك الذي حلوا به، والمهاجرون أنفسهم - لن يكونوا أبداً نفس المجتمعات أو نفس الأفراد. فإذا كانت الأعداد النازحة أو الوافدة تشكل نسبة كبيرة من مجموع السكان فإن النتائج المترتبة على ذلك قد تؤدي إلى حالة من الشلل.

ولاشك أن آثار الهجرة على الشخص كبيرة جداً، إذ أنه بإنتقاله من مكان إلى آخر يقطع روابطه وصلاته التي كانت تربطه بجماعته القديمة. فبالهجرة يتخلص الفرد من معظم إلتزاماته الاجتماعية، ويفقد بالتالي كل فوائد ومزايا الترابط الجماعي. وهو لا يحصل على مركز أو مكانة في مجموعات أو طبقات مجتمعه الجديد بطريقة آلية، بل يجب عليه أن يسعى إلى ذلك خلال فترة من التجربة والخطأ.

وقد يختلف مركز المهاجر في المجتمع الجديد إختلافاً كبيراً عنه في مجتمعه القديم، فبانقطاع الشخص عن جماعته وإهتماماته الأساسية، وبانفصاله عن الطبقة التي كان ينتمي إليها يجب عليه أن يحرز لنفسه مكاناً في المجموعات الجديدة، وأن يضع نفسه في المستوى الاجتماعي الذي سيعمل فيه في المجتمع الجديد. وحيث أنه مضطر إلى أن يخلع عن نفسه دور «مواطن أصيل» ويتخذ دور «الغريب أو

الأجنبي» فإن عملية قبوله في الموطن الجديد واستقراره به قد لا تكون سارة أو سريعة.

وعندما تنطوي الهجرة على الانتقال بين جماعات أو حضارات تختلف إختلافاً جذرياً، وبخاصة إذا استلزم ذلك تغيير اللغة، فقد يصبح التكيف الكامل أمراً مستحيلاً بالنسبة إلى المهاجر أو حتى إلى أطفاله<sup>(١)</sup>. ففي أحسن الظروف تكون عملية الاندماج بطيئة وشاقة ومؤلة. فهناك آلاف من المهاجرين إلى دول مثل الأرجنتين وأستراليا والبرازيل وكندا ونيوزيلندا والولايات المتحدة وفنزويلا الذين لم ينجحوا ألبته في الانسجام الكامل في مجتمعاتهم، بل ظلوا طوال حياتهم يحملون بعض السمات الاجتماعية للأجنبي، ولا يستطيعون تكيف أنفسهم تكيفاً كلياً للمحيط الاجتماعي المختلف. ويستمر الكثيرون منهم في التمسك بمعظم عادات عالمهم القديم. وكثيراً ما تكون نتائج ذلك وخيمة على الجيل الثاني، عندما يظل الوافدون الأصليون مكبلين بأنماط دولتهم القديمة ومشكلاتها، في حين أن الأطفال يذهبون كل مذهب في محاولة للانفصال عن هذا العالم وطرح ما يربطهم بتراث آبائهم، والتوصل إلى اعتراف المجتمع الجديد بهم إعترافاً كاملاً. وفي أجزاء العالم التي يقل بها عدد الوافدين قد نجد أن جميع هذه الآثار أكثر حدة على المهاجر نفسه وعلى ذريته<sup>(٢)</sup>.

### أنماط وتصنيفات الهجرة

ركزت معظم الدراسات الخاصة بالهجرة الخارجية على الحركة السكانية الخاصة من دولة ما أو الوافدة إليها. وقد اهتمت الأعمال الكبيرة في هذا المجال بفترة تاريخية واحدة، وعلاوة على ذلك فقد كان التركيز في هذه الدراسات على الوصف وليس على التحليل، ولهذا يعتبر الإطار النظري الذي حللت فيه هذه المعلومات المحدودة إطاراً بدائياً.

(١) سوف نناقش مسألة تكيف المهاجر سواء في حالة الهجرة الخارجية أو الداخلية في الأجزاء القادمة.

(٢) سميث، مرجع سابق، ص ص ٤٩٦-٤٩٩.

أما من وجهة محاولات تصنيف الأنماط المختلفة للهجرة فيعتبر أفضل نموذج معروف هو التمييز الذي صاغه منذ عدة سنوات Fairchild إذ صنف الهجرة إلى هجرة غازية invasion ويعتبر السلب القوطي الغربي لروما أفضل مثال على ذلك ثم هجرة الفتوحات Conquest migration حيث يقوم من هم ذوو ثقافة أرقى بالعدوان ، ثم الاستعمار Colonization عندما تقوم دولة متقدمة مستقرة تتميز بالقوة الطبيعية بالاستيطان في دول جديدة حديثة النشأة والاستقرار. ثم الهجرة الوافدة immigration وهي حركة الهجرة التي تحدث في سلام ومتأثرة بدوافع فردية من دولة مستقرة إلى دولة أخرى ، مستقرة تتميز بأنها تقريباً في درجة تحضر الدولة الأولى . وبهذا يمكن أن نقول أن فيرشايلد يستخدم تقريباً معيارين أساسيين هما الفرق في مستوى الثقافة ، ثم إذا ما كانت هذه الهجرة تتم في غالبيتها في سلام ، وليست من قبيل العدوان .

ويمكن القول بأن المحورين اللذين إتخذهما فيرشايلد ليسهما أفضل محورين يمكن الإعتماد عليهما . فمحاولة التمييز بين ثقافة عليا وثقافة دنيا هي دعوة إلى التمرکز حول السلالة ethnocentrism<sup>(١)</sup> التي لم يستطع فيرشايلد أن يتجنبها دائماً . وهناك أوجه نقد أخرى كثيرة توجه إلى تصنيف فيرشايلد . ومجمل هذا النقد يوضح حقيقتين هامتين الأولى هي أنه من المهم أن نحاول تقديم بناء منطقي لعملية التمييز ، والثانية هي أن المعايير التي عن طريقها نفرق بين نمط وآخر يجب أن تختار بدقة<sup>(٢)</sup>

---

(١) التمرکز حول السلالة هو الميل إلى تفخيم الجماعة الداخلية وقيمها ، والتقليل من شأن الجماعات الأخرى وقيمها . فهي نوع من الإقتناع المحدود الأفق بتسامي الثقافة الخاصة . والشعور بأن أسلوب الحياة الخاص بالجماعة التي ينتمي إليها الفرد وقيمتها وأنهاطها في التكيف تتسامى على جميع ما عداها ، ويفترض إهدا الشعور بإحتقار شامل لأفراد الجماعات الأخرى . أنظر شرحاً وافياً لمفهوم التمرکز في : قاموس مصطلحات الأنثولوجيا والفولكلور ، تأليف إيكه هولتكرانس ، ترجمة د. محمد الجوهري وحسن الشامي ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٧٣ ، ص ١٣٣-١٣٦ .

(2) Clifford J. Jansen ., Readings in the Sociology of Migration, Pergamon Press., 1970 pp. 49-

وبصرف النظر عن تنميط فيرتشايلد الذى وجه إليه النقد السابق يمكننا فى إطار دراستنا لظاهرة الهجرة أن نلمس أنماطاً مختلفة منها . ويمكن تصنيف هذه الأنماط من زوايا متعددة فمن حيث النطاق الجغرافى والإقليمى يمكن تقسيم الهجرات إلى هجرات خارجية وداخلية<sup>(١)</sup> والهجرات الداخلية يمكن تقسيمها إلى هجرات من الريف إلى المدن ، ومن مدينة إلى مدينة ، أو من ولاية إلى ولاية . إلخ . كما يمكن تصنيف الهجرات إلى هجرات إجبارية أو اختيارية . وإلى هجرات عامة كبيرة وهجرات فردية وهكذا . وسوف نحاول هنا التعرف على أهم هذه الأنماط .

#### ١ - الهجرات الخارجية والداخلية :

يقصد بالهجرة الخارجية أو الدولية إنتقال السكان من دولة إلى أخرى بهدف تغيير إقامتهم بصفة مؤقتة أو دائمة من الدولة الأولى إلى الدولة الثانية . بينما يعنى مصطلح الهجرة الداخلية أو المحلية الإنتقال من مكان إلى آخر ومن قرية إلى أخرى أو من مدينة إلى أخرى أو من ولاية إلى أخرى ، داخل نطاق الدولة الواحدة . وتختلف الهجرة الداخلية عن الهجرة الخارجية من عدة نواح : فهى أقل تكلفة من الهجرة الدولية بحكم أن الإنتقال يكون عادة لمسافات قصيرة بجانب هذا فإن مشكلات الدخول والخروج من دولة إلى أخرى لاتعترض المهاجر داخليا . بالإضافة إلى أن مشكلات التكيف - التى سنناقشها بالتفصيل فى الأجزاء القادمة - تكون صعبة ومعقدة فى حالة الهجرة الخارجية بعكس الأمر فى معظم الهجرات الداخلية .

وقد أدى هذا إلى أن يكون حجم الهجرة الداخلية التى يشهدها العالم أكثر حجما من الهجرات الدولية . وعلى سبيل المثال فقد قدر عدد المهاجرين داخل دولهم من إقليم إلى آخر فى قارة أوروبا (عدا الاتحاد السوفيتى) ب ٧٥ مليون

---

(١) | يعتبر تصنيف الهجرات إلى هجرات خارجية وهجرات داخلية من أهم التصنيفات وأكثرها شيوعاً . فهو التصنيف العام الذى يضعه أى باحث فى اعتباره عند دراسة موضوع الهجرة . ويرجع ذلك إلى أهمية الفروق بين نوعى الهجرة وتفاوت الظروف المرتبطة بكل منهما . ونود أن نشير إلى أننا قسمنا دراستنا لظاهرة الهجرة فى هذا الكتاب إلى هذين التصنيفين الرئيسيين .



شخص . بينما لم يزد عدد الأشخاص الذين تعرضوا للهجرة الخارجية أو الدولية داخل أوروبا على عشرة ملايين شخص .

وتختلف الهجرة الداخلية عن الخارجية أيضاً فيما يتعلق بالمسافة ، فالهجرات الخارجية غالباً ما تكون إلى مسافات بعيدة والعكس في حالة الهجرات الداخلية . غير أننا يمكن أن نجد بعض الهجرات الخارجية التي يقطع فيها المهاجر مسافة أقل مما يقطعها مهاجر آخر ينتقل من منطقة إلى أخرى داخل دولة واحدة . وتتميز الهجرة الداخلية أيضاً بأن تياراتها متقابلة وتأخذ اتجاهات عكسية ، بمعنى أن مناطق الطرد البشرى تجذب في الوقت ذاته المهاجرين . وعلى العكس نجد أن بلداً معيناً يستقبل مهاجرين لكنه يصعب أن يطرد مهاجرين في نفس الوقت (١) .

وتعتبر الهجرة الدولية أشد خضوعاً لتنظيم الدول بمقتضى القوانين التي تصدرها للتحكم في حجم الهجرة سواء كانت هجرة إلى الداخل أو هجرة إلى الخارج . بينما يصعب تقييد الهجرات الداخلية نظراً لسهولة وانفتاح الحدود بين الأقسام الإدارية في الدولة ، وذلك بسبب ما تقتضيه الحياة الاجتماعية من إتصال بين من يعيشون في قطاعات الدولة المختلفة (بسبب روابط القرابة وغيرها) ، وبسبب ما تقتضيه المصالح الاقتصادية والسياسية وغيرها .

ورغم أن البيانات المتوفرة عن كلا نوعي الهجرة غير كافية ، فإن الهجرة الخارجية تتميز بوفرة البيانات بالقياس إلى الهجرة الداخلية . فدائماً ما يحدث تسجيل لحركات السكان بين الدول سواء في حالة الهجرة إلى خارج الدولة أو إلى داخلها . ولكن يصعب وجود تسجيل دقيق لحركات الهجرة الداخلية في دولة معينة . وغنى عن البيانات أن هذا يتطلب جهداً كبيراً من الباحث الذي يقوم بدراسة حركة الهجرة الداخلية ، بل أن عدم توفر البيانات اللازمة يمكن أن يعوق

---

(١) أنظر مناقشة مختصرة لهذه الفروق في كتاب د . محمد السيد غلاب ، د . محمد صبحي عبد الحكم ، المرجع

إجراء البحث أو يضع قيوداً على الإمكانيات المتاحة للباحث لكي يرى أبعاد الموضوع بجلاء.

ولقد لقي موضوع الهجرة الخارجية عناية كبيرة من الدارسين بالمقارنة بالهجرة الداخلية. هذا على الرغم من أن الهجرة الداخلية أصبحت اليوم أحد الأعراض الأساسية للتغير الاجتماعى. فقد صاحب التصنيع فى بلاد متعددة حركات سكانية متنوعة. فهناك الهجرة من الريف إلى المدن ، ثم الهجرة بين المدن المختلفة داخل نطاق الدولة الواحدة.

## ٢ - الهجرة الإجبارية أو الإضطرارية، والهجرة الاختيارية:

وقد تكون الهجرة إجبارية أو إضطرارية حيث لا يكون للمهاجر حرية الاختيار بين أن يهاجر أو لا يهاجر ، بل عليه أن يهاجر وذلك مثلما يحدث فى ظروف الحرب والكوارث وغيرها. وهناك الهجرة الاختيارية وذلك حينما تكون أمام المهاجر فرصة الهجرة ولكن قراره الشخصى هو الذى يتوقف عليه أمر هجرته.

ويقسم النوع الأول من الهجرة (الهجرة المفروضة على المهاجر) ، إلى نوعين:

١ - الهجرة الإضطرارية: وهى التى تحدث عندما يكون المهاجر مضطراً للهجرة، ولكن لديه فرصة لأن يتخذ قرار الهجرة والمكان الذى يذهب إليه. وتحدث هذه الحالة عندما لا تكون الظروف الإضطرارية قهرية.

٢ - الهجرة الاجبارية: وهى التى تحدث عندما لا يكون لدى المهاجر أى خيار فى أن يهاجر أو لا. والحد الفاصل بين النوعين من الهجرة ، النقطة التى يصبح عندها الاختيار لا يكاد يذكر، فيصبح من الصعب التفرقة بينهما. ومع ذلك فالتفرقة بين النوعين تكون واضحة بالنسبة لأغراض التحليل. ولكن يصعب إيجاد نماذج تاريخية توضح هذه التفرقة.

والمعيار الثانى الذى يمكن عن طريقه التمييز بين الهجرة الإضطرارية والهجرة الإجبارية هو وظيفتها، لا كما يحددها المهاجر ولكن كما تحددها الجهة أو الهيئة التى شجعت حركة الهجرة أو قادتها. فيمكن أن يجبر الأفراد على الهجرة لحملهم على التخلي عن الأرض التى يسكنونها أو يمتلكونها أو يستثمرونها. وفى هذه الحالة إذا

كان لا يتبع الهجرة تغيير في نمط حياة المهاجرين فان هذه الهجرة تشبه الهجرة المحافظة ، ويمكن تصنيفها تحت الهجرة المحافظة . وهناك آخرون يجبرون على الهجرة لاستغلالهم كقوة عاملة في مكان آخر، وهذه الهجرة التي تتضمن تغييراً في أنماط سلوكهم بالاضافة إلى تغيير المكان يمكن تعريفها بأنها تجديدية .

### ٣ - الهروب:

ولقد كان الهروب على طول التاريخ البشرى شكلاً هاماً من أشكال الهجرة . فأينما اتجه أناس أقوى إلى أى مكان ، فهم يطردون السكان الذين كانوا يشغلون الإقليم قبلهم . ولم يكن غزو أوروبا في القرون الأولى للمسيحية راجعاً فقط إلى تفكك الإمبراطورية الرومانية، ولكنه نتج أيضاً عن سلسلة الدفعات الناجمة التي نشأت من جفاف السهوب في وسط آسيا ، وراجعة إلى امتداد أو توسع الإمبراطورية الصينية .

وقد كانت كثير من الهجرات عبارة عن عمليات هروب تسبق غزو جيوش معينة<sup>(١)</sup> . ومع ذلك ففي الآونة الحديثة تختلف حركات الهروب في هجرة جماعات معينة من إقليم ما بحيث لم تعد هذه الهجرة تشمل كل سكان الإقليم فالمنشقون عن النظام السياسى القائم أحياناً يطالبون بمغادرة البلاد أو يتم نفيهم عندما يصبحون خطرين على أمن الدولة . ولكن مع نمو الحركات القومية أصبح التجانس السياسى هدفاً يبحثون عنه . وفي فترة الحرب باشرت عصبة الأمم عمليات نقل بعض السكان للتقليل من الأقليات من الدول المجاورة . ويعتبر إنفصال باكستان عن الهند مثالا آخر ارتبط بأكبر الهجرات في تاريخ الإنسانية، وقد أدت إلى الهجرات الجماعات الإرهابية في كلا الدولتين . وقد رتب إلى حتما بطريقة رسمية .

---

(١) أنظر على سبيل المثال:

Eugen K. Kulischer, Europe on the Move, New York, Columbia University Press, 1948.

ومن المفيد أن نميز بين نوعين من هؤلاء الذين هاجروا إجبارياً أو اضطرارياً:  
١ - مهاجرين هربوا وتركوا أوطانهم ولكنهم كانوا يعلمون أنهم سيعودون مرة أخرى إلى أوطانهم ويتطلعون إلى ذلك اليوم.

٢ - ولاجئين تعمدوا الخروج من الوطن والاستقرار بصفة دائمة في دولة أخرى، ولا يعلمون متى يعودون إلى وطنهم.

ويلاحظ أنه إذا وضع أفراد ينتمون إلى كلا النوعين في ظروف متماثلة فإن عملية التثقف ستكون أسرع بالنسبة للجماعة الثانية فهم سيكونون قابليين لأن يعيشوا حياة جديدة أكثر مما هو الحال بالنسبة للذين هاجروا ، لكن مازالوا مرتبطين روحياً ووجدانياً بالوطن الأم.

وأياً كان الادعاء بأن الهجرة التي تمت في عهد النازي كانت اختيارية فإنه من الواضح أن النازي اتبع سياسة خاصة تجاه سكان أوروبا تلخصت في أنه كان يصدر اليهود ويستورد القوة العاملة من البلاد التي استعمرها.

ويعبر عن هؤلاء الأشخاص الذين أجبروا على الهجرة بمصطلح «المنقولين» displaced persons تعبيراً عن أنهم كانوا مسلوبى الإرادة ، ولم يكن لهم دور إيجابى فى القيام بالهجرة ، ويطلق على عملية الاجبار على الهجرة، مصطلح «الازاحة» displacement .

وقد خدمت حركة الهجرة الاجبارية التي تمت تحت رعاية السوفيت هدفين :  
الهدف الأول يتمثل فى إبعاد الجماعة المنشقة أو التي كان يحتمل أن تنشق من وطنها. أما الهدف الثانى فهو إعداد قوة عاملة فى منطقة قاسية، فقد تم تهجير عدة ملايين من الكولاك Kulacks خلال خطتين استغرقت كل منهما خمس سنوات. وقد هجروا مرة واحدة إلى المدن الجديدة، أما سكان الخمس وحدات التي قضى عليها خلال الحرب فقد رحلوا بالقوة إلى معسكرات للعمل الاجبارى.

وهناك شكل مشابه من الهجرة الاضطرارية هو هجرة ماسمى تجارة العمال غير المهرة وتعتبر حركة هجرة الآسيويين إلى مناطق المزارع المثال النموذجى لهذا النوع من الهجرة ، وكذلك هجرة خدم البيض الذين ارتبطوا بعقود رسمية مع البيض

لخدمتهم في المستعمرات البريطانية في القرن الثامن عشر. وهؤلاء المهاجرون على الرغم من أنهم أرتبطوا بعقود مع من عملوا معهم، فإن استدانة العبد من الأجنبي كانت غالباً تؤدي إلى إمتداد فترة خدمته له دون حدود. ولكن كما هو الحال في حالات أخرى من الهجرة الاجبارية والهجرة الاضطرارية فإن التفاوت بين الأمثلة والنماذج التي حدثت عبر التاريخ، ليست واضحة تماماً، ولكن التمييز التحليلي يكون واضحاً على أى حال.

وهناك فرق هام بين هجرة العبيد وهجرة الأيدي العاملة غير الماهرة هو أن كثيراً من هؤلاء العمال غير المهرة قد عادوا مرة أخرى إلى موطنهم الأصلي. وقد قدر حجم الهجرة الكلية من الهند في الفترة من عام ١٨٣٤ وحتى عام ١٩٣٧ - على سبيل المثال - بما يزيد عن ٣٠ مليون شخص وقد عاد من هذا العدد ٢٤ مليوناً. وبهذا كان صافي الهجرة خلال هذا القرن ٦ مليون نسمة.

### الهجرة الاختيارية

من الواضح أن مناقشة موضوع الهجرة البدائية الإجبارية والاضطرارية أظهرت أن رغبة المهاجر لم تكن أمراً هاماً في هذا النوع من الهجرة. فالهجرة البدائية كانت تحدث بسبب نقص الاحتياجات التي تعنى بالاحتياجات الطبيعية للإنسان. وفي حالة الهجرة الاجبارية أو الاضطرارية كان المهاجرون مسلوبى الإرادة تماماً. وسوف نتطرق الآن إلى الهجرة التي يكون فيها قرار المهاجر نفسه هو العامل الحاسم في تقرير الهجرة من عدمها، وهذا النوع هو الذى نطلق عليه الهجرة الاختيارية.

ويمكن تقديم حركات الهجرة التي خرجت من إنجلترا إلى ما وراء البحار خلال القرن التاسع عشر كأمثلة جلية لهذا النوع من الهجرة، وذلك بسبب التحليلات الممتازة التي قدمت لها. فدراسة ليندبرج Lindberg المونوجرافية للهجرة من السويد إلى أمريكا قد اختيرت كمثال لهذا النوع من الهجرات. ويميز ليندبرج بين ثلاثة فترات احتوى ترتيب كل منها على نوع معين من المهاجرين:

١ - في المرحلة الأولى : التي تبدأ من عام ١٨٤٠ تقريباً وفد المهاجرون من

مدينتين جامعتين بصفة خاصة هما أوبسالا Lundberg، Upsala. وقد كانوا ذوى خلفية ثقافية واجتماعية ممتازة، وكان معظمهم من الشباب وذوى النزعات الرومانتيكية. ونظراً لأن المخاطرة فى هذه الهجرة كانت كبيرة وكان من الصعب حسابها، فقد كان المهاجرون هم الفئة التى تميزت بحب المخاطرة. وقد كانوا مثقفين دفعتهم إلى الهجرة مثلهم الخاصة، خاصة من كانوا معزولين عن الحياة الأوروبية خلال فترة تميزت برد الفعل السياسى. وتمثلت أهمية هذه الحركة الرائدة ليس فقط فى حجمها، إذ لم يكن حجم الحركة كبيراً، ولكن فى أنها قدمت مثلاً لهجرة ناجحة. فقد كان هذا النموذج من الهجرة الذى شق الصخر ومهد الطريق لهجرة تالية تضمنت فئات مختلفة تماماً عن تلك التى تضمنتها الهجرة الرائدة: فقد كان المهاجرون يرسلون خطابات إلى ذويهم، كما تحدثت الصحف اليومية السويدية عن مغامراتهم فى العالم الجديد. وبمجرد أن تحقق الاستقرار لكثير منهم ساهموا فى تمويل نفقات السفر بالنسبة لأقربائهم.

٢ - مرحلة الهجرة الجماعية: وبالتدرج نمت هذه المرحلة الثانية، وهى مرحلة الهجرة الجماعية فقد تمت على سبيل المثال - هجرة جماعات محلية تقوية (١) Pietist Communities تحت قيادة رعاتهم (هم غالباً القساوسة أو غيرهم من المسئولين). وحتى فى الحالات التى لم يكن المهاجرون يكونون فيها جماعة مشقة أو خارجة كانوا يميلون أيضاً إلى الهجرة الجماعية وذلك لأهداف حماية بعضهم البعض ومساعدة بعضهم البعض مادياً ومعنوياً خاصة فى أوقات الأزمات التى تحل ببعضهم أو فى حالة تعرضهم للبطالة أو لأى أزمات مادية أو نفسية أخرى خلال الرحلة التى تنطوى على مخاطرة وضد وحشية الهنود وروحهم التى تتصف بالكرهية الأمر الذى كانوا يتوقعون مواجهته فى نهاية الرحلة.

ومرة أخرى نقول أن أهمية هذه الهجرة الجماعية لا تكمن فقط فى حجمها ولكن فى أنها كانت محرّكا ودافعا.

---

(١) الحركة التقوية حركة دينية نشأت فى ألمانيا فى القرن السابع عشر، وأكدت على دراسة الكتاب المقدس والخبرة الدينية الشخصية.

٣ - وخلال العقد الذى ابتداءً بعام ١٨٤١ كان يهاجر من السويد حوالى ٤٠٠ شخص فقط سنوياً، وخلال العقد الذى يليه هاجر منها ١٥٠٠ شخص فقط (١)

#### ٤ - الهجرة الفردية والهجرة الجماعية :

هناك تصنيف آخر للهجرة إلى هجرة فردية وهجرة جماعية - والفرق بينهما هو أن الأولى - حتى ولو كانت هجرة أعداد كبيرة - إلا أنها تعتمد على القرار الفردى ولا ترتبط بأهداف قومية أو عنصرية أو... إلخ. أما الهجرة الثانية فهي هجرة جماعات، وهى عادة ما ترتبط بجماعات تشترك معاً فى أصول واحدة وتواجه ظروفاً اجتماعية أو اقتصادية أو دينية واحدة، ويلاحظ أن الهجرة الفردية يمكن أن تتحول إلى هجرة جماعية، فقد كانت مهمة بعض المهاجرين هى قيادة القاطرة التى تتبعها غيرهم. وفى هذه الحالة تحول العدد الصغير إلى نهر متدفق وتحولت الهجرة من سلوك فردى إلى سلوك جماعي ونمط يتبعه الناس.

ويلاحظ أنه متى بدأت الحركة فإنها غالباً ما تنمو بطريقة أوتوماتيكية وذلك طالما أن هناك بشراً يمكن أن يهاجروا، وطالما أن هناك سبباً أساسياً للهجرة. أما الظروف الأخرى فسوف تلعب دور العوامل المشجعة أو المعوقة للهجرة وستؤثر هذه العوامل - فيما عدا النمو السكاني - على سلوك الهجرة.

وعندما تصبح الهجرة نمطاً اجتماعياً فإنه لا مجال للبحث عن الدوافع الشخصية، لأن الفرد - كما يقول لندبرج - يكون فى حالة توازن غير مستقر - فعادة ما يكون هناك دافع بسيط فى اتجاه معين هو الذى يحدد رأيه. فالمهاجر يكون فى هذه مدفوعاً بدوافع جماعية عامة وفى هذه الحالة يذكر الأسباب التى يعتقد أنها متوقعة.

وإذا كان هناك أمثلة كثيرة للهجرات الجماعية (مثل هجرة اليهود إلى فلسطين) إلا أننا سوف نقدم هنا السويد على أنها مثال نموذجى لتطور الهجرة من هجرة فردية إلى هجرة جماعية، ولتحول السلوك الفردى إلى سلوك جماعى. فخلال الفترة من

(1) Jansen, op. Cit., PP. 28-63

١٨٦١ - ١٨٧٠ عندما قفز عدد المهاجرين إلى ٩٣٠٠ مهاجر سنوياً بدأ الانتقال إلى مرحلة الهجرة الجماعية. وقد ارتبط ذلك بتحسين وسائل المواصلات إذ ربطت خطوط السكك الحديدية بين المدن الساحلية وبين المناطق الداخلية في الدولة، واستبدلت المراكب القديمة بسفن بخارية أسرع وأكثر أمناً. وعلى الرغم من أن العلاقة بين تحسين وسائل المواصلات وبين الهجرة الجماعية كانت علاقة هامة إلا أن المتغير الأول لم يكن سبباً في الثاني. بل إنه من المحتمل أن تكون بداية الهجرة وتطورها قد نتجت عن أسباب واحدة. ولكن يلاحظ أن هذا التطور لم يؤد فقط إلى تقصير لمسافات الجغرافية بل إلى التقليل مما أسماه ليندبرج المسافات الاجتماعية (١) فقد نمت المجتمعات المحلية الجديدة الخاصة بالمهاجرين في هذا البلد الجديد وازدادت في الحجم والأهمية. وتطلب الانتقال إلى أمريكا أقل قدر من التكيف الشخصي. فقبل أن يترك المهاجر وطنه بدأت عملية التثقف في مناخ أمريكي سويدي كونته الخطابات المتبادلة عن العالم الجديد، وكونته الصور الفوتوغرافية، والتذكارات والحلي الصغيرة. ونما لديهم ما أسماه المزارعون «حمى أمريكا»، ففي بعض المقاطعات لم توجد مزرعة واحدة يعمل فيها أناس ليس لهم أقارب في أمريكا. وقد هاجر عدد كبير جداً من الأطفال، إذ كان الأطفال يتعلمون عملية الهجرة. وقد اقتبس ليندبرج من تقرير حكومي ما يؤكد أن الأفراد كانوا يتعلمون سلوك الهجرة. فقد كان عليهم مجرد أن يتبعوه كطريقة تقليدية. وأصبح المهاجرون الذين هاجروا إلى مينيسوتا Minnesota مزارعين أو حرفيين أو تجاراً في المدن الصغيرة.

\*\*\*

---

(١) المسافات الاجتماعية مصطلح سوسيولوجي يشير إلى قوة أو ضعف العلاقات بين الأفراد والجماعات بصرف النظر عن المسافات الجغرافية.



ونود أن نشير إلى أنه من المفيد - لأغراض التحليل - التمييز بين حركات الهجرة الجماعية في ضوء طبيعة المكان الذي تقصده الجماعة وتستقر فيه ، وفي ضوء درجة تحضر هذا المكان (١)

ونود أن نشير في نهاية مناقشتنا لأنماط وتصنيفات الهجرة إلى أن هذه التصنيفات ليست سوى بعض التصنيفات الممكنة لأنماط متعددة للهجرة ، وهي مقدمة هنا كمرشد للدارس وكطريقة للتفكير في كيفية دراسة موضوع الهجرة . وإذا كانت التقسيمات والأنماط التي نوقشت هنا هي أهم التقسيمات الشائعة إلا أنه يمكن أن توجد تقسيمات وأنماط أخرى بحسب الزاوية التي ينظر من خلالها الدارس إلى الهجرة . ويلاحظ أن بعض هذه التقسيمات التي لم تناقش في هذا الجزء بصورة مستقلة مثل تقسيم الهجرة إلى هجرة دائمة وهجرة مؤقتة - قد وردت في ثنايا مناقشتنا لموضوع الهجرة الخارجية أو الداخلية في أجزاء تالية من هذا الكتاب .

\*\*\*

(1) Jansen., op. Cit., PP. 62-63



## الفصل الحادى عشر

### قياس الهجرة

#### الطرق والمشكلات (★)

أولاً: التعريفات الإحصائية للهجرة :

المحنا من قبل إلى أن تحليل الهجرة يثير بعض المشكلات النوعية الخاصة بهذا الموضوع بالذات من موضوعات علم السكان - ومن أبرز تلك المشكلات ما أشرنا إليه سابقاً من أن سجلات الهجرة هى أسوأ أنواع البيانات السكانية وأقلها وفاء بمتطلبات البحث العلمى وأقلها إشباعاً لما يطمع فيه الباحث من الدقة والتفصيل . ويرجع سوء سجلات الهجرة فى جانب منه إلى جوانب تنظيمية وإدارية تتصل بالقصور فى طرق الحصول عليها وفى دقة تسجيلها .

هذا كله علاوة على العيب الأساسى فى موضوع الهجرة ذاته ، ألا وهو صعوبة حصرها فى وحدات قياسية موحدة ، فلا يمكن مثلاً أن نحددها بالكيلو مترات ، فنقول إن الشخص كذا وكذا من الكيلو مترات يعد مهاجراً ، أما من انتقل مسافة أقل من ذلك فلا يعد كذلك . حقيقة ان الباحث مطالب بأن يضع بعض المقاييس والتحديدات ولكن المهم أن الموضوع ليس بطبيعته مما يسهل صبه فى هذه القوالب الثابتة دون مشكلات .

كما نجد علاوة على هذا أن هناك هيئات وجهات متنوعة تتولى جمع بيانات الهجرة فى كل مجتمع . وقد لايقوم بين تلك الهيئات والجهات القدر الواجب من التعاون والتنسيق ، مما يزيد المشكلة صعوبة . ومن النادر كذلك أن نجد سجلات الهجرة محفوظة فى جهة واحدة مع سجلات الوقائع الحيوية العادية . وإنما هى فى العادة نتاج ثانوى لعمل بعض الادارات والمصالح الحكومية ، أى أن تسجيل

(★) اعتمدنا فى عرض مادة هذا الفصل اعتماداً أساسياً على المصدر التالى :

Barclay, George W., Techniques of Populations Analysis, John Wiley and Sons, Inc., New York, London, Sydney, 1958, Especially Ch.8. PP-241-261

بيانات الهجرة ليس هو الشغل الرئيسى الشاغل لجهة بعينها، ولذلك فمن النادر أن تخصصها أى جهة من تلك الجهات بالقدر الواجب من العناية والاهتمام والاتقان.

فالملاحظ أن الحكومات تهتم أساساً بتسجيل المهاجرين الوافدين إليها من دول أخرى، وهذا واضح لدواعى الحفاظ على الأمن والسيادة الوطنية. ولكن تلك الحكومات نفسها لا تبذل جهداً مساوياً لتسجيل التحركات من مكان إلى آخر داخل نفس الدولة. والنتيجة المنطقية لهذا الوضع أن وجدنا كثيراً من الدراسات والتحليلات التى تتناول المهجرات الدولية من زواياها المختلفة (بسبب توفر البيانات أساساً) على حين لانجد سوى النذر اليسير من الدراسات التى تهتم بمعالجة الجوانب المختلفة لموضوع الهجرة الداخلية.

بل إن الأمر المؤسف - رغم كل هذا - أن المهاجرين من دولة إلى أخرى هم دائماً جماعة مهملة، أو هى فى العادة على هامش اهتمام المجتمع المصنف، ولذلك نجد المعلومات عنها غير دقيقة، وبعض الحكومات تستبعد فئات بأكملها لاتدخلها ضمن عملية التسجيل التى تجربها لهذا الاعتبار أو ذاك. وحكومات أخرى تراخى أساساً فى عملية التسجيل، ربما بسبب نقص الكوادر الفنية اللازمة، أو لصعوبة ذلك أصلاً بسبب اتساع الحدود. وعدم السيطرة عليها سيطرة كاملة. الخ ذلك من أسباب يضيق المقام عن حصرها جميعاً، ولكنها تشير فى النهاية إلى النقص الخطير فى بيانات الهجرة الدولية <sup>(١)</sup> ونتيجة هذا نجد أن بيانات الهجرة المأخوذة

(١) بل العجيب أن هناك بعض الحكومات التى لاتتحمل أصلاً المسئولية كاملة عن تسجيل المهاجرين إليها من دول أخرى، وبالتالي قد لاتحتفظ بسجلات كاملة أو تنصف بأى قدر من الدقة حول هذه الأمور. وبعضها يحصل على بياناته من مصادر خاصة (غير حكومية) أو يجمع بين بيانات مأخوذة من مصادر خاصة بأخرى مستقلة من مصادر حكومية، وبعضها - وهذا مؤسف أيضاً - يترك مسئولية تسجيل هذه البيانات موزعة على أكثر من هيئة حكومية واحدة، وهو أهم عامل فى تضارب البيانات وتداخلها وربما نقصها بشكل مخل بسبب اعتماد كل جهة على الجهات الأخرى. أنظر حول هذه المشكلة إشارات مفيدة فى المصدر التالى:

United Nations, Department Of Social Affairs, Problems Of Migration Statistics, New York 1949, Chapter II.

وتقترح هذه الدراسة بعض المقاييس والمعايير المحددة لتحسين نوعية بيانات الهجرة ومستواها.

من دول مختلفة تتصف بكثير من الثغرات أو التضارب أو عدم الدقة أو التداخل أحياناً (مما قد ينعكس في زيادة الأرقام عن الواقع الفعلي، وهي أمور لانجدها بنفس الدرجة في الاحصائيات الحيوية العادية التي تناولناها من قبل (في فصول سابقة من هذا الكتاب).

ولو أن المشكلة تكمن إلى حد ما في كون الهجرة نفسها مفهوماً غامضاً وغير محدد من الناحية الاحصائية ولا توجد معايير موحدة كافية لتمييز المهاجر عن غير المهاجر، أو الشخص الذى انتقل كذلك من مكان إلى مكان ولكننا لانستطيع أن نعتبره مهاجراً. ويمكن أن نقول إن أبرز سمات المهاجر أنه شخص ينتقل من مكان إلى مكان آخر. ولكن هذا هو العنصر الوحيد الواضح في الموضوع كله، إذ بعد هذه النقطة يبدأ الخلاف في بقية التفاصيل والملاح. لأن المهاجرين هم في العادة قطاع محدد أو نسبة ضئيلة من الأفراد الذين تركوا أماكن إقامتهم إلى أماكن جديدة، ولكن ماهى الحدود التى توضح لنا تلك الفئة أو ذلك القطاع.

ولقد توصل العلماء والمفكرون في موضوع الهجرة إلى وضع بعض المعايير، نذكر منها على سبيل المثال:

- إن المهاجرين هم كل الأشخاص الذين انتقلوا من مكان إلى آخر واستقروا فيه، أى أنهم ليسوا مجرد زوار ولا عابرين لهذا المكان، ولكنهم يتجهون إلى الإقامة الدائمة فيه.

- قصر صفة المهاجر على الشخص الذى ارتبط انتقاله إلى المكان الجديد بتغيير المهنة، أى أن المهاجرين هم فقط الذين اتخذوا لأنفسهم مهنة جديدة في المكان الجديد.

- أو يقتصر على شرط واحد هو تحديد حد أدنى لاقامة المهاجر في بيئته الجديدة، ولنقل مثلاً مدة عام كامل، بحيث أن كل شخص ينتقل من مكان إلى مكان، ويبقى في المكان الجديد مدة عام كامل يعد مهاجراً.

وهناك علاوة على هذه المعايير الثلاثة معايير أخرى كثيرة يضيق عنها المقام، ولكننا أوردناها كنموذج فقط. ولكن سوف يتضح لنا عند إمكان التفكير فيها أنها

جميعاً معايير تعسفية وليست موضوعية بحال من الأحوال. فمن الذى يحدد أن الشخص الذى انتقل من مكان إلى مكان جديد هو مقيم ومستقر فيه وليس عابراً له أو زائراً إياه، ومن الذى يحدد المدة بسنة واحدة فقد يعود الفرد إلى بيئته الأصلية بعد عدة سنوات، ثم إننى إذا درست حالة شخص مهاجر إلى بيئة جديدة، ولم تنقص عليه سوى بضع شهور، فلا اعتبره مهاجراً، ولكنه فى الحقيقة كذلك. وكذلك شرط تغيير المهنة لا يمكن أن نعتبره معياراً سليماً أو مطلقاً أو موضوعياً. ففى جميع حالات الهجرة التى يغادر فيها الشباب العربى بلادهم إلى أمريكا - مثلاً - لا تمنح لهم حقوق الهجرة إلا بسبب المهن التى يشغلونها والكفاءات المهنية التى يتمتعون بها، فهى عامل إغراء للمجتمعات الجديدة على قبولهم. . . وهكذا لو فندنا كل معيار من هذه المعايير أو غيرها لا تضح لنا كما قلت انها جميعاً معايير تعسفية. ولذلك فليس أمام الباحث سوى أن يلجأ إلى التعريفات الاجرائية <sup>(١)</sup> لأنه لا يستطيع أن يضع تعريفاً عاماً شاملاً يراعى فيه كل التجسيديات الواقعية لظاهرة الهجرة. وفى هذه الحالة فإننا نتقبل البحث ونتأمله فى ضوء هذا التعريف الاجرائى للموضوع، لأن التعريف هو الذى سيوجه عملية جمع بيانات الهجرة فى مجتمع معين فى فترة معينة.

وعلى الرغم من أن هناك كثيراً من الهيئات والمصالح التى تجمع معلومات عن المهاجرين، إلا أنها جميعاً لا تعرف سوى نوعين إثنيين فقط من البيانات الإحصائية الخاصة بالمهاجرين. النوع الأول عبارة عن تسجيل الأشخاص الذين يعبرون نقطة معينة، فلنقل مثلاً محطة من محطات الحدود أو أحد موانئ الدخول البحرية أو الجوية. ويطلق على هذه الإحصائيات اسم: إحصائيات العبور. والنوع الثانى

---

(١) فى بعض الأحيان قد يضطر الباحث إلى إتخاذ القرارات التعسفية لتحديد معالم الظواهر الاجتماعية قبل أن يدرسها فى الواقع الاجتماعى. فيجب على الباحث أن يضع معياراً يحدد فى ضوءه ما يجب أن يدخل فى نطاق الظاهرة وما لا يدخل. ويطلق على هذه العملية من الناحية العلمية «التعريف الإجرائى للمفاهيم»، بمعنى تحويل الأفكار النظرية المجردة إلى أشياء يمكن قياسها والتعبير عنها بشكل عملى فى الواقع الاجتماعى.

أنظر مزيداً من التفاصيل فى كتابنا: محمد الجوهري وعبدالله الخريجي، طرق البحث الاجتماعى، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٧٩.

من البيانات عبارة عن تسجيل للأشخاص الموجودين وقت البحث في مكان معين لم يكونوا يعيشون فيه من قبل (لنقل مثلاً قبل خمس سنوات أو عشر سنوات أو بعد مولدهم مباشرة). ويتم الحصول على هذه البيانات بشكل موثوق فيه من واقع إحصائيات التعداد التي تبين الأشخاص حسب محل الميلاد، وإحصائيات سجل الميلاد تقسم السكان إلى أشخاص مولودين في منطقة التعداد (أى في المكان الذي تجمع فيه بيانات التعداد)، وأشخاص آخريين مولودين في أماكن أخرى (غير منطقة التعداد). بمعنى أن هذه الفئة الأخيرة من الأشخاص لابد وأن تكون هاجرت من محل ميلادها إلى منطقة التعداد في وقت سابق على إجراء التعداد (قد يكون شهراً وقد يكون سنوات) (١)

وسنحاول فيما يلي أن نلتمس تعريف المهاجر وفقاً لهذين النوعين من البيانات.

١ - النظرة المكانية إلى الموضوع : إن أى مسافر - وفقاً لأى نوع من الإحصائيات لا يمكن أن يعد مهاجراً إلا بعد أن يعبر حداً معيناً أو حدوداً معينة أياً كانت، سواء كانت حدود مدينة، أو إقليم، أو دولة. ولذلك فإن كلمة مهاجر لابد وأن تنطوى في جميع الأحوال على إشارة مكانية من نوع ما، أى على الانتقال عبر المكان. وهنا يجب الانتباه جيداً إلى أن حجم الوحدة المكانية التي يجرى العد فيها يلعب دوراً أساسياً في التعريف الإحصائي للمهاجر. فعند تجاوز الوحدات السياسية (أى الدول) - كما في وسط وغرب أوروبا - فقد تصبح الهجرة الدولية شيئاً عابراً وعرضياً في حياة الناس، على خلاف صعوبة وطول الرحلة التي قد يقطعها المهاجر الداخلي في داخل حدود دولة مترامية الأطراف. فقد يبذل الأخير قدراً أكبر من الجهد في

---

(١). ومن الممكن في بعض الحالات أن تتضمن إحصائيات التعداد بيانات ومعلومات ماثلة (تؤدى نفس الغرض) إذا كانت تحدد «مكان الإقامة الدائمة السابق» - مثلاً منذ عام أو ثلاثة أو خمسة أعوام. ويتميز هذا النوع من البيانات بكل مزايا وعيوب إحصائيات محل الميلاد التي أشرنا إليها في سياق الكتاب من قبل.

الرحلة، ويقطع مسافة أطول، ويتحمل كمية من المشاق والمخاطر أكثر بكثير مما يتحمله الأول. (١)

ومن هنا فإننا نقول إننا في تحليلنا لإحصائيات الهجرة الداخلية، يجب أن نأخذ في اعتبارنا جيداً أن إختيار الوحدة المكانية يساوى تماماً تحديد نوع المهاجرين الذين سوف تنصب عليهم الدراسة. فنحن نعرف أن تحركات الناس بين الوحدات الكبرى المكونة لدولة معينة قد تختلف أشد الاختلاف في طبيعتها عن التحركات التي تتم بين الأقسام الإدارية الفرعية. إذ لاشك أن هجرة مواطن من منطقة الباحة إلى مدينة الطائف تختلف في مداها وصعوباتها ونتائجها عن هجرة نفس المواطن إلى المنطقة الشرقية أو إلى البادية في الشمال. ولهذا السبب يصبح من الخطأ الفادح مقارنة بيانات الهجرة الداخلية المأخوذة من دول مختلفة، أو مقارنة أرقام الهجرة الخارجية (الدولية) بين دول ذات أحجام متفاوتة. والحق أننا نصادف هذه الصعوبة الفنية بنفس القدر في إستخدامنا لكلا النوعين من بياني الهجرة اللذين أشرنا إليهما.

٢ - أعداد المهاجرين الاجمالية أو الصافية :- جرت العادة دائماً أن تعتمد بيانات العبور على التحركات في فترة زمنية محددة تحديداً دقيقاً. فهي تسجيل عدد الأشخاص الذين دخلوا منطقة معينة خلال فترة زمنية معينة، وكذلك عدد الأشخاص الذين غادروا نفس المنطقة خلال نفس الفترة الزمنية. والحقيقة أننا نحتاج إلى كلا الرقمين لأغراض متعددة ومن جهات نظر مختلفة، ولكننا نحتاج أيضاً في العادة إلى عدد التحركات الصافي، أي عدد الداخلين مطروحاً منه عدد

---

(١) فنلاحظ على سبيل المثال أن أعدادا غفيرة من البشر تقوم يوميا برحلات عمل بين هونغ كونج والصين (هجرة دولية بسيطة وسهلة)، على حين أننا نعرف أن أكبر وأضخم هجرات جماعية عرفها التاريخ قد حدثت داخل حدود دولة الصين نفسها. أنظر كذلك مزيداً من التفاصيل في المصدر التالي :-

United Nations, Population Division, Sex and Age of of Interna tional Migrants, Popultion studies, No.77, New York, 1953, P.4

وأنظر كذلك، باركلي، أساليب التحليل السكاني، مرجع سابق، الفصل الثامن، ص ٢٤٣ - ٢٤٤.



المغادرين ، لأن حاصل هذا الطرح يمثل بطبيعة الحال صافي عدد المهاجرين الذين استقروا في المنطقة . لكننا سنلاحظ - بعد مزيد من التفكير في هذه الأرقام - أن المهاجرين الذين وفدوا إلى المنطقة محل الدراسة ثم تعرفوا فيها خلال تلك الفترة سوف يبدون لنا كما لو أنهم مازالوا مقيمين في المنطقة (وهذا أحد عيوب بيانات العبور، لأنها تقتصر على أرقام فقط).

ولكن على خلاف هذا نجد أن بيانات التعداد (حسب محل الميلاد) تشير إلى نقطة زمنية محددة (هى اليوم أو الأسبوع الذى أجريت فيه عملية العد الفعلية)، ولكن الناس الذين يثبت أنهم قد ولدوا خارج منطقة التعداد ربما يكونوا قد هاجروا إليها فى أى وقت منذ مولدهم، منذ أشهر أو سنوات، حيث أن طبيعة هذه البيانات لاتحدد مدة بقائهم فى الوطن الجديد. فالهجرة التى تقدمها لنا بيانات التعداد لاتشير إذن إلى أى مدى زمنى محدد، اللهم إلا إذا أضفنا إليها جداول إضافية تحدد مدة البقاء فى الوطن الجديد، أى فى منطقة التعداد.

معنى هذا أن الأرقام المستمدة من التعداد تقدم لنا دائماً صافي عدد المهاجرين الذين استقروا فى منطقة التعداد (١)، ولكنها تغطى فترة زمنية غير محددة دائماً، وهى فترة تختلف بالنسبة لكل فرد من المهاجرين، فهذا قد وفد منذ شهر، وذاك منذ عامين، وثالث منذ عشرين عاماً وهكذا، ثم أن تأثير عامل الوفاة يكون مستخلصاً دائماً منذ البداية، ذلك أن المهاجرين الذين تسجلهم بيانات التعداد هم الأشخاص الذين دخلوا المنطقة وظلوا على قيد الحياة حتى وقت التعداد، فأنا باعتمادى على هذه الطريقة استبعد واعياً البعد الزمنى فى الهجرة وتأثير الوفيات لأننى آخذ حاصل تلك الوفيات جاهزاً.

٣ - مدة البقاء فى منطقة المهجر : لاتبين لنا إحصائيات العبور فى العادة المدة التى

---

(١) وهذا الرقم الصافي يمثل صافي عدد المهاجرين الوافدين In-migrants فهو ليس فى الحقيقة صافي الهجرة (أى حاصل طرح عدد النازحين من إجمالى عدد الوافدين) لأنه لا يوضح لنا أعداد الناس الذين ولدوا فى منطقة التعداد ثم هاجروا منها إلى مواطن أخرى اللهم إلا إذا كانت الأرقام الخاصة بها يمكن التماسها فى إحصائيات المناطق الأخرى التى هاجروا إليها. أنظر المرجع السابق ص ٢٤٤، حاشية رقم ٥.

قضاها الأفراد في منطقة المهجر محل الدراسة . ولو أن حاصل طرح عدد المغادرين من عدد القادمين يمكننا من إستبعاد أغلب الأشخاص الذين قضوا في منطقة الدراسة فترة زمنية قصيرة (ولنقل مثلاً سنة واحدة أو أقل) وذلك على فرض أن الفترة التي تجمع فيها بيانات العبور فترة قصيرة محددة. إذ أنه سيكون من المنطقي أن نستبعد أعداد الأشخاص الذين وفدوا خلال هذا العام ثم غادروا، فهؤلاء لن تظهر أرقامهم في الرقم النهائي الذي يبين أعداد المهاجرين إلى المنطقة، معنى هذا أن صافي أعداد المهاجرين خلال فترة عام واحد يدلنا على أن بعض هؤلاء الوافدين كانوا أكثر من مجرد زائرين عابرين، ولو أن تلك النقطة قد تكون مضللة في بعض الأحيان. لذلك نقول إن صافي أعداد المهاجرين على مدى عدة سنوات متتابة يكون دليلاً أقوى وأكثر إقناعاً. على أن بعض هؤلاء المهاجرين الوافدين قد تحول فعلاً إلى مقيمين بصفة مستمرة (أو شبه ذلك) في المنطقة الجديدة. (وإن كنا لن نستطيع مع ذلك أن نتبين من هذا العدد أعداد المهاجرين الوافدين الذين توفوا في منطقة المهجر، لأن أولئك سوف يظهرون كما لو كانوا مقيمين).

والمعروف أن بيانات التعداد لاتقدم أى إشارة إلى مدة بقاء المهاجر في منطقة المهجر، اللهم إلا إذا احتوت الجداول على بيانات تكون قد أضيفت خصيصاً لتبين مدة إقامة كل شخص غير مولود في المنطقة محل الدراسة (وتحسب هذه المدة عادة منذ تاريخ آخر دخول). والملاحظ بصفة عامة أن احتمال دخول المهاجرين ذوى الإقامة القصيرة أو العابرة ضمن بيانات التعداد تكون فرصته أقل، بالقياس إلى المهاجرين ذوى الإقامة الطويلة الذين يزداد احتمال دخولهم ضمن بيانات التعداد. ولذلك فإن بيانات التعداد تولى إهتماماً أكبر إلى هذا القطاع من المهاجرين ذوى الإقامة الأطول.

#### ٤ - الهجرة المباشرة والهجرة المتعددة المراحل :

في بعض الأحيان لاتحدث الهجرة دفعة واحدة، أى لاتحدث عن طريق نقلة واحدة من الوطن الأصلي إلى المهجر أو الهدف الذي يسعى المهاجر إلى الوصول إليه. وإنما الواقع الذي يحدث في أغلب الحالات أن المهاجر ينتقل إلى مكان معين

(أى محطة على طريق هجرته البعيدة)، حيث تسجله إحصائيات العبور التى تحدثنا عنها من قبل، أو يملك فى تلك «المحطة» فترة قصيرة من الوقت قبل أن يغادرها فى طريقه إلى المهجر الذى يسعى إلى الوصول إليه، والذى كان قد وضعه هدفاً نصب عينيه قبل مغادرته موطنه الأصلى .

ونحن نعرف أن عمال المناجم والتعدين المهاجرين وكذلك العمال الزراعيين - على سبيل المثال - كثيراً ما يقضون فترة عام أو نحو ذلك فى أول مكان يبلغونه بعد هجرتهم موطنهم الأصلى . ولكنهم يحرصون فى خلال تلك الفترة على إدخار مبلغ من المال يمولون به رحلتهم إلى مكان آخر (مهاجر جديد) يزاولون فيه عملاً آخر جديداً . ولذلك فإنه من صالح البحث عن الهجرة أن نأخذ فى الاعتبار دائماً المحطات التى يتوقف فيها المهاجر منذ أن يغادر موطنه الأصلى (وقبل أن يصل إلى مقر هجرته الدائم أو الأخير) . وإذا لم يرغب الباحث فى ذلك فيمكنه أن يتجاهل تلك «المحطات» ، ولكن عليه أن يلتقط المهاجر بعد أن يكون قد وصل إلى مهجره النهائى . . فالهدف المهم لهذه الملاحظة ألا نأخذ أحد تلك المحطات ونسجله على إعتباره المهاجر النهائى ، وهو ليس كذلك فى الحقيقة . ذلك أن إحصائيات العبور تسجل كل حركة أو كل «نقطة» على حدة ، وتسجل كذلك عدد «المحطات» ، وليس عدد المهاجرين . أما بيانات التعداد فتسجل كل مهاجر على حدة وكوحدة مستقلة ، وتستبعد من إعتبارها عدد المحطات التى توقف فيها ذلك المهاجر قبل وصوله إلى مهجره ومقر إقامته الأخير . مع العلم بأننا فى حالة بيانات التعداد لانستطيع أن نعرف ما إذا كان محل إقامة الشخص هو مجرد محطة على طريق لم يكتمل قطعه بعد ، أم أنه هو محل إقامته الدائم النهائى .

التذبذبات الموسمية وتأثيرها على وقت إجراء الملاحظة :

من المعروف أن الهجرة لا تتدفق فى الغالب بشكل منتظم ، ولكنها تتذبذب فى العادة بين الاندفاع والأحجام ، فتزيد فى فترة معينة زيادة فائقة ثم تعود إلى الانحسار فى فترة تالية إنحساراً شديداً ، وهكذا لا يمكن حتى أن نضع لها قانوناً عاماً له صفة الانتظام . وسوف يجد الباحث أن خضوع تيار الهجرة فى مجتمع معين

لهذا التذبذب أو لنوع من الانتظام يعد من الأمور ذات الأهمية والدلالة التى يجب أن يوليها أقصى قدر من الإهتمام (على قدر استطاعته بطبيعة الحال ، لأن التحقق من هذا الأمر رهن بتوفر الإحصائيات الدقيقة على إمتداد فترة زمنية طويلة).

ويمكن لإحصائيات العبور، إذا جمعت على فترات قصيرة متعاقبة ومنتظمة، أن ترشدنا إلى هذه الذبذبات التى تحدث من فترة إلى أخرى، ومن الممكن لو جمعت بيانات العبور ورتبت على إمتداد فترة زمنية طويلة أن تكشف لنا عن الاتجاهات المنتظمة فى حركة الهجرة فى هذا المجتمع (سواء منه أو إليه).

ولكن الأمر سيكون على خلاف هذا بالنسبة لبيانات التعداد (التي تحدد الأفراد حسب محل الميلاد) لأنها تضيع أى أثر للتذبذبات الخفيفة فى حركة الهجرة، وتمثل النتيجة أو المحصلة النهائية لتيارات الهجرة على إمتداد فترة زمنية طويلة. لأنها لا تحدد كما نعلم متى جاء هذا الشخص من المكان الفلانى، ولكنها تحدد بصفة عامة أن هؤلاء الأشخاص ليسوا مولودين فى هذا المكان، وإنما هم مولودين فى الأماكن كذا وكذا. يضاف إلى هذا نقطة هامة أيضا وهى أنه إذا اتفق وأجرى التعداد فى وقت من أوقات الذروة فى الهجرة، أى فى خلال فترة نزوح كبير أو وفود كبير فى السنة (كما يحدث مثلا فى حالة وفود أو نزوح أعداد كبيرة من الأيدي العاملة للعمل الموسمى)، فإن بيانات التعداد لن تعطينا هذه المحصلة النهائية التى نتكلم عنها؛ وإنما سوف تصبح بيانات مضللة أشد التضليل، لأن الحالة التى تصورها تلك البيانات ليست هى الحالة «الطبيعية» للمجتمع موضوع الدراسة.

\*\*\*

ثانيا: الهجرة «الداخلية» والهجرة «الدولية»

درج المؤلفون فى علم السكان على الفصل بشكل واضح بين الهجرة «الداخلية» والهجرة «الدولية»، خاصة فى الكتابات الأولى حول هذا الموضوع. وقد كان الاعتبار الأول فى هذا الفصل أنه أكثر راحة لمن يكتب فى الموضوع. ويرجع هذا المفهوم إلى فترة تاريخية معينة من تاريخ العالم أو من تاريخ الهجرة البشرية، كانت المناطق الحالية نسياً أو المخلخلة سكانيا فى العالم تجتذب إليها مهاجرين من بلاد

أخرى. وظلت هذه الناحية مسيطرة على الكتابات المختلفة إلى حد أننا لانجد حتى مطلع القرن العشرين إلا إحصائيات عن الهجرات الدولية فقط، أما المهاجرين من الأنواع الأخرى، فليست هناك أى إشارة إليهم ولا اهتمام بتسجيل شئونهم ومشكلاتهم. وبالطبع أدى عدم الاهتمام بالأنماط «الأخرى» من الهجرة، إلى عدم جمع أى بيانات إحصائية عنهم. فأصبحت كل دراسات الهجرة دراسة للهجرة الدولية، وأهملت الهجرة الداخلية إهمالاً يكاد يكون كاملاً.

أما اليوم فقد تغيرت الأوضاع والظروف الدولية تغيراً بعيد المدى، وأصبحت الهجرة من دولة إلى دولة أخرى مسألة تخضع للعديد من الضوابط والقيود، وإن كانت لم تتوقف بالطبع إطلاقاً. ولكنها باتت منظمة أشد التنظيم، وحدث في نفس الوقت أن زادت حركة الهجرة داخل حدود الدولة الواحدة (أى الهجرة الداخلية) زيادة هائلة، وذلك على إثر التغيرات الاقتصادية والاجتماعية السريعة التى شهدتها مختلف بلاد العالم. واستلقت النظر تلك المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية الناجمة عن تلك الهجرات الداخلية الواسعة النطاق البعيدة المدى، أن المشكلات اللغوية والثقافية (فى العادات والتقاليد والمعتقدات) والمهنية التى يواجهها المهاجرون داخل حدود دولة كبيرة المساحة أصبحت تفوق فى خطورتها ونتائجها فى بعض الأحيان تلك المشكلات الناجمة عن الهجرة إلى دولة أجنبية<sup>(١)</sup> فنحن نود أن نميز بين أنواع الهجرة أو أنواع الأسباب الدافعة إلى الهجرة، ولكن هذا التقسيم إلى هجرة داخلية وهجرة دولية لايناسب كإطار لهذا التصنيف فى الحقيقة. والشائع اليوم أننا ندرس الهجرة كهجرة، بغض النظر عن الطبيعة السياسية للحدود التى يعبرها المهاجرون.

★★★

(١) بل إننا نلاحظ علاوة على هذا أن هجرة بعض الناس بين دول مختلفة قد تكون فى حقيقتها هجرة «داخلية» من وجهة نظر إقليم معين، حيث يعبر المهاجر إلى جزء آخر من الإقليم الذى يعيش فيه، ولكنه واقع فى الحقيقة وراء حدود دولة مجاورة. ونحن الآن نولي اهتماماً بالعوامل التى تغرى الناس بالهجرة أكثر من اهتمامنا بأنواع الحدود التى يعبرها المهاجرون فى طريق هجرتهم. وتلك أوضاع شائعة فى كثير من بلاد أوروبا وآسيا وأفريقيا. أنظر على سبيل المثال.

### ثالثاً: قياس حجم الهجرة

لاشك أن وجود أنواع متعددة ومتباينة من البيانات الإحصائية يثير أماناً مشكلة اختيار الأساس الصحيح للملائم لقياس حجم الهجرة. ويمكن تناول هذا الموضوع من عدة زوايا، نذكر منها على سبيل المثال:

(أ) من زاوية أثر الهجرة على المنطقة الموفدة أو التي نرح منها المهاجرون.  
ثم، ب - من زاوية أثر الهجرة على المنطقة التي تستقبل أولئك المهاجرين.  
أو، ج - بالنظر إلى المهاجرين أنفسهم كمجموعة متميزة من الناس ولاشك أن اختيار هذه الزاوية أو تلك من زوايا الدراسة يتوقف على طبيعة الدراسة التي نحن بصددتها وعلى الأهداف التي تتوخى تلك الدراسة تحقيقها.

ونلاحظ أن جماعة المهاجرين ليست هي نفسها بالضبط من وجهة نظر هذه الزوايا المختلفة، إذ لاشك أنها تختلف باختلاف الزوايا التي ننظر إليها. (١) ولكن النقطة الأكثر أهمية هنا أن كل حالة من هذه الحالات تتطلب مستوى متميزاً للقياس، فنجد من الحالات الثلاث السابقة.

(أ) نسبة عدد المهاجرين إلى مجموع سكان المنطقة الموفدة.  
(ب) نسبة عدد المهاجرين إلى مجموع سكان منطقة المهجر (أي المنطقة المستقبلية).  
(ج) العدد المطلق للمهاجرين، أو ربما نسبة عدد المهاجرين في فترة أخرى.  
ونلاحظ - على سبيل المثال - أن هجرة حوالى مليون مواطن صيني (أو أكثر) إلى شبه جزيرة الملايو في الخمسينات كان رقمًا ضئيلاً بالقياس إلى إجمالي عدد سكان

---

(١) فجماعة المهاجرين في وقت الشروع في الهجرة ليست هي نفسها أو أنها لا تظل على حالها وبنفس ظروفها في أي تاريخ لاحق على الهجرة، سواء في الوطن الأصل أو في المهجر الذي ينتهي بها المطاف إليه. فمن الناحية العددية البحتة يتغير حجمها (بسبب حالات الوفاة) أثناء الهجرة وبعدها. كذلك يتغير تركيبها السكاني كجماعة (بسبب بلوغ بعض أفرادها مرحلة الشيخوخة وتقدمهم في السن بصفة عامة، وحالات الزواج التي تقع لأفرادها أو بعضهم، والتغيرات التي تطرأ عليهم في المجال المهني... الخ). ولاشك أن تلك التغيرات تزداد وتتضاعف بمرور الوقت. على حين أنها تظل محدودة في المدى الزمني القصير. لذلك نقول باختصار إن المهاجرين الذين يغادرون المنطقة الموفدة ليسوا هم بالضبط نفس المجموعة التي تصل إلى منطقة المهجر فبعض أفراد المجموعة الأولى يتوزعون على مناطق متعددة، وبعض أفراد المجموعة الأخيرة يعيشون في مناطق متفرقة.

الصين البالغ أكثر من خمسمائة مليون في ذلك الوقت. ولكن هذا الرقم نفسه (الضئيل نسبياً) يمثل أكثر من نصف عدد سكان الملايو وسنغافورة في ذلك الوقت نفسه (١)



#### رابعاً: حجم الهجرة. إحصائيات العبور

سوف نتناول في البداية الإحصائيات التي تعرض للمهاجرين كجماعة متميزة وهذه الإحصائيات عبارة عن تسجيل للوقائع وقت حدوثها، لأنها تحدد عدد الأشخاص الذين يدخلون ويغادرون منطقة معينة في فترة معينة من الزمن. ولما كانت هذه الأرقام تمثل عدد المهاجرين أنفسهم، فإنها تعد أفضل مصدر للحصول على بيانات عن الهجرة على الإطلاق. ولو أن الواقع مع ذلك أنها قليلة الفائدة بشكل لافت النظر، وأصبحت الآن ذات أهمية ثانوية بين البيانات المختلفة عن الهجرة.

ولكنها مع ذلك لها بعض المزايا، نذكر منها على سبيل المثال أننا نستطيع بفضل هذه الأرقام أن نقيس تدفق أعداد المهاجرين الوافدين والنازحين من بلد معين عاماً بعد آخر. وسوف تتضمن تلك الأرقام بطبيعة الحال كافة الذبذبات التي تحدث كرد فعل لظروف العمل أو الحروب على سبيل المثال (أنظر الجدول رقم (١))، ولاستطيع أن تمدنا بالمعلومات الراهنة عن هذه الجوانب سوى إحصائيات العبور المعاصرة فهي تعد المصدر الوحيد المباشر للحصول على إحصائيات عن المهاجرين النازحين، ذلك أن أغلب بيانات التعداد تشير إلى المهاجرين الوافدين. (أنظر الجدول رقم (١))، ثم أنها توضح علاوة على هذا الهجرة في كلا الاتجاهين (الوفود والتزوح)، وهو ما لا تكشف عنه بيانات التعداد (فيما عدا الحالات التي أشرنا إليها

---

(١) يمثل جزء كبير من هذا الرقم مواطنون من أصل صيني مولودين في الملايو، أى أنهم بعبارة أخرى عبارة عن الزيادة الطبيعية للمهاجرين الأصليين. وتعد هذه الحالة شاهداً جديداً على التضارب الموجود بين أرقام وإحصائيات الهجرة المختلفة، والذي يبين لنا مدى الحذر الذي يجب أن نتسلح به عند التصدي لتحليل هذه الأرقام، وتبين إتجاهاتها العامة الرئيسية.

في الفقرة السابقة من هذا الفصل : عن القياس غير المباشر لحجم الهجرة). فهي تقدم لنا الوصف الإحصائي الوحيد لتركيب المهاجرين وقت الهجرة (١).

غير أننا نعرف تماماً أن معظم خصائص جماعة المهاجرين تتغير باستمرار فالتناس يغيرون مهنتهم، وتتغير حالتهم الزوجية، وقد يتغير دينهم، ويتغير تحصيلهم الدراسي... الخ (٢). ولا يتم تسجيل دقيق وأمين لإحصائيات العبور إلا في حالة عبور الحدود الدولية فقط، ولكن فيما عدا هذا فلا يمكن أن نعتد بأى إحصائيات للعبور. بل إنها في هذه الحالة أيضاً (حالة عبور الحدود الدولية) يمكن أن تتصف بالنقص والقصور. (بسبب مانعرفه عن كثرة حالات العبور غير المشروع لحدود بعض الدول، أو ما يعرف باسم التسلل). ثم أن هناك بعض الدول التي تدخل مواطنيها ضمن إحصائيات الهجرة الخارجية، على حين تقضى الأنظمة في دول أخرى باستبعاد المواطنين من تلك الإحصائيات. ومن البديهي أن حالات الهجرة السرية لا تدخل ضمن إحصائيات العبور، لأن الأخيرة لا تسجل فقط سوى الحالات التي تمر على محطات الحدود. وإن كانت هناك فرص أفضل للحصول على هذه المعلومات عن طريق وسائل القياس غير المباشر التي سنعرض لها في فقرة تالية من هذا الفصل.

وإزاء هذه العيوب والمشكلات لا يمكننا الاعتماد في كل الأحوال على إحصائيات العبور، علاوة على أنها نادراً ما تغطي الهجرة التي تتم داخل حدود الدولة الواحدة. ولهذا السبب نتجه إلى الاعتماد عامة على المصادر غير المباشرة لقياس حجم الهجرة الداخلية.



(١) أنظر مزيداً من التفاصيل في كتاب الإدارة السكانية للأمم المتحدة عن «التركيب النوعي والعمرى للمهاجرين الدوليين، الصادر في نيويورك عام ١٩٥٣.

(٢) ولا يبقى على حالة، ولا يتغير من خصائص جماعة المهاجرين سوى محل الميلاد، وتاريخ الميلاد، والنوع (ذكر أو أنثى) فبديهي أنها جميعاً حقائق ثابتة لا تتغير بالهجرة أو بمرور الوقت. ولهذا السبب تعد إحصائيات التعداد أكثر مصادر البيانات فائدة عن الهجرة. خاصة بالنسبة للمهاجرين أو الوافدين، وذلك إذا ما كانت تحتوي تلك البيانات الأساسية عنهم. أنظر مزيداً من التفاصيل عند باركلي، أساليب التحليل السكاني، مرجع سابق، ص



الجدول رقم (١)  
الهجرة من الملايو وسنغافورة وإليهما  
من عام ١٩٢٩ حتى عام ١٩٣٩

| السنة    | عدد الوافدين | عدد النازحين | الهجرة الصافية<br>(علامة - تدل على الخسارة<br>الصافية في المهاجرين) |
|----------|--------------|--------------|---------------------------------------------------------------------|
| ١٩٢٩ (أ) | ٤٠٧, ٤١٩     | ٧٦, ٦٤٩      | ٣٣٠, ٧٧٠                                                            |
| ١٩٣٠     | ٥٠٧, ٧٠٨     | ٥٢٢, ٢١٨     | ١٤, ٥١٠-                                                            |
| ١٩٣١     | ٣٣٠, ١٤٦     | ٥١٧, ٦٧٥     | ١٨٧, ٥٢٩-                                                           |
| ١٩٣٢     | ٢٤٦, ٧٣٨     | ٤٢٧, ٧١٦     | ١٨٠, ٩٧٨-                                                           |
| ١٩٣٣     | ٢٥٠, ١٢٦     | ٢٨٨, ٥٧٥     | ٣٨, ٤٤٩-                                                            |
| ١٩٣٤     | ٤٩٤, ٧٥٣     | ٣٥٢, ٦٦٤     | ١٤٢, ٠٨٩                                                            |
| ١٩٣٥     | ٥٤٨, ٣٣٩     | ٤٢٣, ١٣٣     | ١٢٥, ٢٠٦                                                            |
| ١٩٣٦     | ٥٢٥, ٦٢١     | ٤٤٢, ٨١٢     | ٨٢, ٨٠٩                                                             |
| ١٩٣٧     | ٧٦٠, ٤٥٣     | ٤٩٣, ٢٤٧     | ٢٦٧, ٢٠٦                                                            |
| ١٩٣٨     | ٤٦٥, ٥٦٤     | ٤٣٤, ٥٢٦     | ٣١, ٠٣٨                                                             |
| ١٩٣٩     | ٧٨٣, ٧٣٨     | ٣٨٦, ٤٥٠     | ٢, ٧١٢-                                                             |

(أ) البيانات التي ترجع إلى ما قبل عام ١٩٣٠ تقتصر على مستوطنات المضائق فقط، أما بيانات الزواج فتتضمن أعداد الهند فقط.

المصدر : الأمم المتحدة. قسم شؤون السكان، التقسيمات العمرية والنوعية للمهاجرين النوليين : احصائيات الفترة من ١٩١٨ حتى ١٩٤٧، نيويورك، ١٩٥٣، جدول رقم ٦٢، أنظر كذلك.

United Nation, Population Division, International Migrations in the Far East during Recent Times, in : Population Bulletin No. 1 (December 1921) and No, 2 (october 1952).

## خامسا : حجم الهجرة : احصائيات التعداد حسب محل الميلاد

لاتكاد توجد اليوم استمارة تعداد فى أى دولة من الدول تخلو من سؤال عن محل ميلاد كل شخص تدرج بياناته فى الاستمارة . وأصبحت كثير من الدول تنشر جداول تبين توزيع السكان فيها حسب محل الميلاد وذلك ضمن ما تنشره من نتائج التعداد فيها . وفى هذه الحالة يمكن الاعتماد على هذه الجداول فى دراسة كل من الهجرة الداخلية والخارجية .

ويعتبر الجدول رقم (٢) نموذجا مبسطا لهذا النوع من الجداول ، لأنه بصورته التى نقدمه بها هنا مختصر أشد الاختصار ، ويستهدف مجرد التوضيح فقط . ويقدم هذا الجدول تصنيفا لسكان المكسيك حسب بيانات تعداد ١٩٥٠ وذلك تبعا لمحل الميلاد (حسب الفئات الأربع التالية : «مولودين فى المكسيك» ، «مولودين خارج المكسيك» ، «مولودين فى نفس الاقليم» ، «مولودين خارج الاقليم» ) . ويمكننا أن نتبين من أول نظرة إلى الجدول عدد الأشخاص الذين يعيشون فى المكسيك عام ١٩٥٠ وهم وافدين إليها ، وكذلك عدد الأشخاص الذى يقيمون فى إقليم غير الاقليم الذى ولدوا فيه . كما يتضح لنا الحجم الصافى للهجرة فى كل إقليم من أقاليم المكسيك وذلك من واقع الجدول الكامل بصورته المنشور بها فى البيانات الأصلية للتعداد . ويمكننا بذلك التعرف على كثير من تيارات الهجرة فى الماضى

بحساب بعض النسب المئوية من المادة المتضمنة فى هذا الجدول :

- النسبة المئوية من سكان المكسيك المولودين فى الخارج .
- النسبة المئوية من المقيمين فى كل إقليم والمولودين خارج البلاد .
- النسبة المئوية من المقيمين فى كل إقليم والمولودين فى أقاليم أخرى (داخل المكسيك) (وهى تبين الهجرة الداخلية) .
- النسبة المئوية من المهاجرين الوافدين المولودين فى مقاطعة يوكاتان .

ولو أن الجدول المذكور كان يوضح بالتفصيل محل ميلاد كل شخص مقيم فى البلاد ، لكان بوسعنا أن نحسب من واقع ذلك الجدول محل إقامة المهاجرين

الجدول رقم (٢)

الهجرة بين الوحدات الإدارية (★) تبعاً لإحصائيات محل الميلاد في المكسيك (وفقاً لتعداد ١٩٥٠)

| محل الميلاد                 |                               |                         |                            | محل الإقامة                                        |
|-----------------------------|-------------------------------|-------------------------|----------------------------|----------------------------------------------------|
| المولودين في<br>بلاد أجنبية | مجموع المولودين<br>في المكسيك | قسم إداري<br>فرع آخر(*) | القسم<br>الإداري الفرعي(*) |                                                    |
| ١٨٢,٧٠٧                     | ٢٥,٦٠٨,٣١٠                    | ٣,٣١٤,٦٣١               | ٢٢,٢٩٣,٦٧٩                 | مجموع الدولة<br>الإقليم الاتحادي<br>مقاطعة يوكاتان |
| ٦٥,١٨٧                      | ٢,٩٨٥,٢٥٥                     | ١,٣٨٥,٠٣٧               | ١,٦٠٠,٢١٨                  |                                                    |
| ١,٤١٦                       | ٥١٥,٤٨٣                       | ٧,٩٩٢                   | ٥٠٧,٤٩١                    |                                                    |

(\*) مصطلح وقسم إداري فرعي، يشير إلى الولايات (٢٨)، والأقاليم (٣) وإقليم اتحادي واحد، حسب التقسيم الإداري الذي كان موجوداً في المكسيك وقت إجراء هذا التعداد عام

١٩٥٠.

المصدر: المكسيك، تعداد سكان عام ١٩٥٠: الجداول العامة، جدول رقم ٥. صدر في مكسيكو سيتي، ١٩٥٣.

الوافدين من أقاليم غير إقليمهم، أن نتوصل إلى توزيع الهجرة الداخلية حسب المناطق التي هاجر إليها أولئك الناس. غير أن هذا الجدول لا يقدم لنا سوى صورة شاملة شديدة العمومية للهجرات الماضية، مصنفة حسب منطقة المهجر (داخل المكسيك طبعاً، لأنه لا يتضمن بيانات عمن هاجروا إلى خارج المكسيك) في وقت إجراء التعداد.

ونقدم فيما يلي نموذجاً آخر من واقع بيانات تعداد ١٩٦٠ يبين معدلات الهجرة الداخلية في محافظات مصر حسب طريقة محل الميلاد<sup>(١)</sup> وقد أظهرت بيانات التعداد عام ١٩٦٦ على سبيل المثال أن خمس (٢ — ٥) سكان القاهرة وثلاث سكان الإسكندرية قد ولدوا خارج هاتين المدينتين. ويوضح جدول رقم (٣) معدلات الهجرة الداخلية في المحافظات حسب طريقة محل الميلاد وإعتدافاً على بيانات تعداد سنة ١٩٦٠.

ولعلنا ندرك من هذا المثال السريع إدراكاً واضحاً أن تضمين جداول التعداد بعض السمات السكانية القليلة (حتى مجرد النوع والعمر) يزيد كفاءة تلك الجداول زيادة بالغة، إذ نستطيع في هذه الحالة أن نطبق كل المقاييس بالنسبة لكل فئة على حدة، وهي أمور ستزيد فهمنا لطبيعة الجماعة السكانية التي ندرسها. ولا يتطلب ذلك القيام بأى عملية إضافية أو جهود مرهقة ولكن مجرد إعادة ترتيب - صور - لجداول التعداد على النحو المطلوب.

وقد تكون هذه العملية مرهقة في بعض الأحيان إذا لم تكن بيانات توزيع السكان حسب الموطن الأصلي مجمعة من قبل في جدول واحد.<sup>(٢)</sup>

وباستخدام هذه الطريقة في عدة تعدادات متعاقبة فانه يمكن معرفة تطور

---

(١) هذا الجدول نقلا عن فتحي أبو عيانه، مرجع سابق، ويفرد كتاب الدكتور ابو عيانه المشار

إليه بتقديم شرح واف لكيفية حساب معدل الهجرة الداخلية وقياس حجمها أنظر ص ٣٢٠-٣٢١ من الكتاب المذكور.

(٢) وقد ناقش هذه المشكلة بالتفصيل تاوبر في دراسته عن سكان اليابان أنظر مؤلفه:

I.B. Taeuber, Population of Japan, Princeton, 1958, Chapter 7.

جدول رقم (٣) يوضح معدلات الهجرة الداخلية في محافظات مصر

حسب طريقة محل الميلاد سنة ١٩٦٠

| المحافظة    | معدل الهجرة<br>الوافدة %<br>(١) | معدل الهجرة<br>الخارجة %<br>(٢) | معدل الهجرة<br>الكلية %<br>(٢+١) | معدل الهجرة<br>الصافية %<br>(٢-١) |
|-------------|---------------------------------|---------------------------------|----------------------------------|-----------------------------------|
| القاهرة     | ٣٥,٧                            | ٧,٢                             | ٤٢,٩                             | ٢٨,٥+                             |
| الاسكندرية  | ٢٦,٣                            | ٦,٦                             | ٣٢,٩                             | ١٩,٧+                             |
| بورسعيد     | ٣٠,١                            | ١٣,٧                            | ٤٣,٨                             | ١٦,٤+                             |
| الاسماعيلية | ٣٨,٦                            | ١٠,١                            | ٤٨,٧                             | ٢٨,٥+                             |
| السويس      | ٤٤,٩                            | ٩,٩                             | ٥٤,٨                             | ٣٥,٠+                             |
| دمياط       | ٩,٦                             | ١٣,٣                            | ٢٢,٩                             | ٣,٧-                              |
| الدقهلية    | ٣,٥                             | ١١,٩                            | ١٥,٤                             | ٨,٤-                              |
| الشرقية     | ٣,٨                             | ١٠,٣                            | ١٤,١                             | ٦,٥-                              |
| القليوبية   | ٩,٢                             | ١٣,٧                            | ٢٢,٩                             | ٤,٥-                              |
| كفر الشيخ   | ٥,٨                             | ٥,٩                             | ١١,٧                             | ,١-                               |
| الغربية     | ٦,١                             | ١٣,٩                            | ٢٠,٠                             | ٧,٨-                              |
| المنوفية    | ٢,٦                             | ٢٨,٢                            | ٣٠,٨                             | ٢٥,٦-                             |
| البحيرة     | ٦,٤                             | ٧,٩                             | ١٤,٣                             | ١,٥-                              |
| الجيزة      | ٢٠,٩                            | ٧,٠                             | ٢٧,٩                             | ١٣,٩+                             |
| بنى سويف    | ٣,٦                             | ٨,٩                             | ١٢,٥                             | ٥,٣-                              |
| الفيوم      | ٢,٩                             | ٧,٥                             | ١٠,٤                             | ٤,٦-                              |
| المنيا      | ٣,٠                             | ٥,١                             | ٨,١                              | ٢,١-                              |
| أسيوط       | ٢,٧                             | ١٤,١                            | ١٦,٨                             | ١١,٤-                             |
| سوهاج       | ٢,٢                             | ١٧,٢                            | ١٩,٤                             | ١٥,٠-                             |
| قنا         | ٢,١                             | ١٦,٢                            | ١٨,٣                             | ١٤,١-                             |
| أسوان       | ١٣,١                            | ٢٥,٤                            | ٣٨,٥                             | ١٢,٣-                             |
| الحدود      | ١٧,٥                            | ٣٠,٤                            | ٤٧,٩                             | ١٢,٩-                             |
| الجملة      | ١١,٦                            | ١١,٦                            | ٢٣,٢                             | صفر                               |

حركة الهجرة الداخلية في البلاد - ولعل في مصر - مرة أخرى - مثال على ذلك كما تبين أرقام الجدول رقم (٤)

جدول رقم (٤) تطور عدد المهاجرين ونسبتهم إلى جملة عدد السكان في مصر في الفترة من ١٩٢٧-١٩٦٦

| السنة | جملة عدد السكان | عدد المهاجرين الذين عدوا خارج ميلادهم | النسبة % |
|-------|-----------------|---------------------------------------|----------|
| ١٩٢٧  | ١٤,٢١٧,٨٦٤      | ٩٩٠,٦٤٥                               | ٧,٠      |
| ١٩٣٧  | ١٥,٩٣٢,٦٩       | ١,٠٩٨,٧٥٢                             | ٦,٩      |
| ١٩٤٧  | ١٩,٠٢١,٨٤٠      | ١,٦٩٩,٩٧٤                             | ٩,٠      |
| ١٩٦٠  | ٢٦,٠٨٥,٣٢٦      | ٣,٠٠١,٦١٥                             | ١١,٥     |
| ١٩٦٦  | ٣٠,٠٨٣,٤١٩      | ٢,٧٣٦,٤٠                              | ٩,٢      |

وليس هناك أدنى شك في أن مثل هذه الجداول تمثل أدق وأصدق المصادر التي يمكن أن نحصل منها على إحصائيات عن الهجرة، ويرجع ذلك إلى أننا نستطيع اختبار درجة دقتها ومدى صدقها بصفة عامة مع بقية بيانات التعداد . (١) ولكنها تعاني من بعض نواحي القصور، ولكنها عيوب من نوع آخر ونتيجة إعتبارات أخرى. ذلك أن بيانات محل الميلاد لا تشير إلا إلى حالات الاختلاف بين محل الميلاد ومحل الإقامة . وليس هذا بقياس مباشر للهجرة، طالما أن تلك البيانات لا تحدد لنا أعداد الأشخاص الذين هاجروا خلال فترة زمنية معينة.

(١) أي أننا نستطيع التحقق من دقة بيانات التعداد بصفة عامة، ومن دقة بياناته عن العمر، وربما كذلك من بعض الخصائص المميزة للجماعة السكانية ونقاط الضعف المعينة في بيانات التعداد. ومن الملاحظ أن اختبار إحصائيات محل الميلاد بشكل مباشر ليس بالأمر اليسير عملياً. ولذلك فأننا نلجأ إلى اختبار دقة بيانات التعداد نفسها من نواح أخرى، ونحكم على صدقها بوجه عام، ومن ثم يمكننا أن نأخذ المعلومات الواردة منها عن محل الميلاد كما هي وبدون تحفظات أو تخوف من احتمال عدم دقتها.

ولذلك فهي لا يمكن أن تؤدي بنا إلى تحديد «معدل» للهجرة في هذا المجتمع<sup>(١)</sup> فربما قد انقضت فترة طويلة (ولكنها غير معلومة) بين وقوع حالة أو حالات الهجرة وبين تاريخ إجراء التعداد. وإن كانت هذه الفترة لا يمكن أن تكون بطبيعة الحال أطول من عمر فوج معين من الناس. (لأن حالات الهجرة التي توفيت قبل إجراء التعداد لن تظهر بياناتها في جداول التعداد). وإن كانت تلك الحقيقة تعنى في نفس الوقت أن التصنيفات المقارنة حسب العمر يمكن أن تزودنا ببعض المعلومات الإضافية ذات الفائدة الكبيرة.

أما إذا إستخذ منا تلك البيانات (إحصائيات التعداد حسب محل الميلاد) كإحصائيات للهجرة الصافية، فإننا سوف ننتين أنها تعاني من نقطتي ضعف بارزتين هما: أنها لا تقدم لنا تسجيلاً لعدد التنقلات (أو الهجرات) التي قامت بها نفس المجموعة من الأشخاص، لأنه يحدد لنا فقط الموطن الأصلي وآخر محطة في رحلة ذلك الشخص، فقد تكون أولى المحطات على طريق هجرة طويلة، وقد تكون محطة وسيطة، أو غيرها، وقد تكون نهاية المطاف في طريق الهجرة... نحن لانستطيع أن نعلم على وجه التحديد. بل إن هناك بعض حالات الهجرة التي لا يمكن أن تكشف عنها أبداً، حيث يكون المهاجر قد وفد من موطنه الأصلي، ثم أقام في المهجر فترة معينة، عاد بعدها إلى مسقط رأسه.

غير أن هذه العيوب أو نقاط الضعف يمكن ألا تكون شديدة الوطأة على الباحث ومعوقه لعمله ولوصوله إلى أرقام دقيقة (نسبياً على أى حال) لو أنه كان واعياً بها أثناء جمعه لمادة بحثه وأثناء تحليلاته وفي صياغته للنتائج التي يتوصل

---

(١) وإن كان من الممكن أن نستخلص من تلك البيانات بعض التقديرات المفيدة ولكن بعد إجراء بعض عمليات إعادة للترتيب المرحقة أشد الإرهاق للجداول وبعد إجراء بعض العمليات الحسابية التقديرية الطويلة. وقد ناقش بعض تلك العمليات وإستعراضها بشيء من التفصيل وقدم عليها طائفة من النماذج «لى» وزملاؤه في الكتاب التالي:

E. S. Lee et al., Population Redistribution and Economic Growth, United States 1870 - 1950, Volume 1, Part 1, Migration Estimates, Philadelphia, 1957.

إليها. ولذلك نخلص إلى أن إحصائيات التعداد حسب محل الميلاد يمكن - إذا استخدمت بحذر - أن تمدنا بأكبر ذخيرة من المعلومات يمكن أن نحصل عليها عن الهجرة، ولا يمكن أن يوفرها لنا أى مصدر آخر من مصادر البيانات السكانية المعروفة حتى الآن.

إلا أن هناك بعض البلاد التى لاتتضمن فيها بيانات التعداد بيانات عن محل ميلاد كل شخص، ومن الممكن الوصول إلى نتائج مماثلة فى بعض الأحيان عن طريق تصنيف بيانات التعداد حسب الجنسية أو حسب الجماعات السلالية (العرقية) المختلفة. ولكننا نلاحظ أنه على حين أن إحصائيات محل الميلاد يمكن أن تدلنا على حجم الهجرة بشكل غير مباشر (إذ تحدد الأشخاص الذين بقوا فى المهجر من أفراد الجماعة المهاجرة الأصلية) فإن إحصائيات الوطن السلالى (أى الوطن الأصل للسلالة) ليست لها علاقة بحجم الهجرة ولاتدلنا عليه إطلاقاً. ولكنها يمكن فقط أن تشير إلى الجماعات التى يحتل أن تكون من أغلبية من المهاجرين (ولكنها ليست بالضرورة مهاجرة كلها) كجماعات «اليابانيين» فى البرازيل، أو «الكوريين» فى اليابان. أو «الهنود» فى ماليزيا. والشرط الأساسى لذلك أن تكون تلك الجماعات العرقية الغريبة قد حافظت على تميزها وسط المجتمع الذى هاجرت إليه. أما جداول الجماعات العرقية فإنها تصبح ضعيفة الدلالة على الهجرة إذا تضمنت أخلاف المهاجرين الأصليين (أى أشخاصاً مولودين فى محل إقامتهم الحالى) مضافين إلى المهاجرين الأصليين دون تمييز. عندئذ تصبح تلك الأرقام عديمة الدلالة على الهجرة، ولاتستأهل منا أن نتوقف عندها طويلاً بسبب ما تنطوى عليه من تضليل. يضاف إلى هذا مشكلة أخرى هامة وهى أن هذا الأسلوب فى التصنيف يسقط من إعتباره بالضرورة بعض أفراد الجماعة المهاجرة الأصلية الذين اندمجوا فى السكان ونسوا كلية - أو تناسوا - أصلهم العرقى.

ولذلك يجب أن نتفق على أن «الأصل العرقى» أو «الأصل القومى» يكون فى جميع الأحوال فئة غير محددة من فئات التعداد، على حين أن فئة المولودين فى



الخارج (سواء خارج الدولة، أو خارج الإقليم) تمثل لنا دائماً فئة محددة تحديداً دقيقاً ليس فيها مجال للبس أو الغموض أو التشويه. ويمكننا أن نستفيد من كلا البيانيين بمعلومات مفيدة عن نتائج الهجرة وآثارها في المجتمع محل الدراسة، وإن كانت في الحالتين بيانات مختلفة في طبيعتها.



### سادساً: حجم الهجرة: أساليب القياس غير المباشر (بيانات التعداد والإحصائيات الحيوية)

وحتى لو لم تتوفر لنا إحصائيات عن العابرين ولا إحصائيات عن محل الميلاد فإننا نستطيع أن نستخلص من بيانات التعداد العادية ومن الإحصائيات الحيوية فكرة تقريبية عن حجم الهجرة، ولكن بشرط أن تتوفر في تلك البيانات بعض الشروط والمواصفات المعينة. أول تلك الشروط أن تتوفر لنا عن مجتمع الدراسة بيانات تعدادين على الأقل، على ألا تفصل بينهما عدد كبير من السنوات، وأن يكونا متجانسين في نوع بياناتهما وخططهما سواء من حيث المجال أو الدقة أو التقسيمات الإدارية بحيث يمكن عقد مقارنات بين بياناتهما. والمفروض في ظل توافر تلك الظروف المواتية جميعاً أن تكون التقديرات متقاربة، بحيث يمكن أن تكون تلك البيانات بمثابة إحصاء فعلي لأعداد المهاجرين. وتعد هذه الأساليب غير المباشرة أفضل مؤشر لتحليل الهجرة الداخلية. ولغرض التبسيط فقط سوف نشرح تلك الأساليب مفترضين أنه ليست هناك هجرة خارجية من هذا المجتمع أو إليه، وذلك كمجرد فرض بهدف توضيح طبيعة تلك الأساليب الإحصائية. ومن الممكن على أي حال أن نأخذ في اعتبارنا المهاجرين الخارجيين من المجتمع وإليه، ولكن بالاستعانة ببعض العمليات الإضافية المعقدة، التي لا سبيل إلى الخوض فيها هنا.

والملاحظة الأولى على هذا النوع من المقاييس غير المباشرة أنها جميعاً متشابهة في جوهرها. فنبدأ أولاً بحساب أي زيادة أو نقص في عدد سكان المجتمع من واقع آخر تعدادين، وذلك محسوباً بالنسبة لكل قسم فرعي لأي وحدة إقليمية، من الأقسام

الإدارية للمجتمع . ثم نطرح من هذه الزيادة أو النقص الأعداد الراجعة إلى المواليد الجدد أو إلى الوفيات ( وسواء العدد الفعلى أو العدد التقديرى لتلك الحالات ) . بعد ذلك نعتبر أى تغير فى عدد السكان (زيادة أو نقصاً) راجعاً إلى الهجرة من كل قسم إدارى أو إليه . وتمثل تلك الهجرة حجم الهجرة الذى وقع أثناء فترة محددة)وهى فى هذه الحالة الفترة الواقعة بين التعدادين). ولكن مع ملاحظة نقطة هامة وهى أن هذه الأرقام لا تمثل سوى عدد المهاجرين الصافى، وليس الوطن الأصلى ولا المحطة النهائية للمهاجرين .

وهكذا نصل إلى تقدير أولى تقريبي ببساطة شديدة، ولما كنا نفترض أن معدل الزيادة الطبيعية متماثل تقريباً فى مختلف الأقسام الرئيسية للدولة، فإننا نرجع مظاهر اختلاف الزيادة فى أى قسم إلى الهجرة وحدها . ويزودنا هذا الرقم بمؤشر سريع ومريح للزيادة النسبية أو النقص النسبى الراجع إلى المهاجرين فى كل قسم فرعى من أقسام الدولة . أما إذا كانت معدلات الزيادة الطبيعية تختلف من قسم إلى آخر، فإن معنى هذا أن ذلك الأسلوب سيقدم إلينا صورة مشوهة وغير دقيقة عن الهجرة . وإن كانت تلك الأرقام تكفيها كمؤشر تقريبي عام كل العمومية، خاصة فى المراحل التى تكون فيها الدراسات السكانية على موضوع الهجرة فى بدايتها الأولى، وهو الأمر الذى يصدق على أكثر مجتمعاتنا العربية التى مازالت غالبيتها تفتقر كلية الى هذا اللون من الدراسات السكانية، رغم الأهمية الحيوية للوقوف على كل ما يتعلق بظواهر الهجرة، سواء من حيث حجمها أو مداها أو نتائجها على المجتمع .

ومن الممكن التوصل إلى مؤشر أكثر دقة من المؤشر السابق عن طريق إضافة وطرح أعداد المواليد والوفيات لإستبعاد تأثير الزيادة الطبيعية فى السكان . فتكون الزيادة أو النقص الناتج بعد ذلك عبارة عن تقدير لحجم الهجرة فى فترة ما بين التعدادين . ولكن علينا فى مثل هذه الحالة أن نهتم أكبر الاهتمام بدرجة دقة إحصائيات المواليد والوفيات لأن أى خطأ فيها سوف ينعكس مباشرة فى خطأ بيانات الهجرة التقديرية التى ستتوصل إليها عن هذا الطريق ، وربما لا تكون هذه

التقديرات متفوقة في درجة دقتها كثيراً عن التقديرات الأولية التي أشرنا إليها في بداية هذه الفقرة.

وهناك أخيراً أسلوب ثالث يمكن أن نلجأ إليه إذا كانت الفترة بين التعدادين في مجتمع الدراسة خمس سنوات أو مضاعفتها (أى ١٠ أو ١٥ سنة . . . الخ) ، وذلك عن طريق تقدير عدد المهاجرين في فترة ما بين التعدادين في كل قسم إدارى فرعى وبالنسبة لكل فئة عمرية ولكل من النوعين (الذكور والإناث). والحقيقة أن هذه الطريقة تزودنا بقدر أكبر بكثير من المعلومات يستحق الجهد الشاق الذى يبذل في إعدادها.

ويتحدد الفوج السكاني عن طريق تقسيمه إلى فئات عمرية خمسية أو عشرية في التعدادين. فنجد مثلاً أن الجماعات العمرية التى تتراوح أعمار أفرادها بين ١٥-١٩ سنة في عام ١٩٤٠ أصبحت أعمارهم تتراوح بين ٢٥-٢٩ سنة في عام ١٩٥٠ وهكذا. ثم نقوم بطرح عدد الوفيات التقديرى من مجموع أفراد هذا الفوج خلال الفترة ما بين التعدادين، فنجد بعد ذلك فرقاً بين عدد الفوج المتوقع وبين العدد الفعلى الذى بلغه في عام ١٩٥٠، فيكون هذا الفرق - زيادة أو نقصاً - راجعاً إلى تأثير الهجرة الصافية. وهكذا نستطيع أن نحصل على تقديرات بالأعداد (الصافية) للمهاجرين <sup>(١)</sup> على امتداد الفترة من ١٩٤٠ حتى عام ١٩٥٠، مقسمين حسب أعمارهم في عام ١٩٥٠ وحسب النوع <sup>(٢)</sup>. ويلاحظ هنا أننا نتجاهل المواليد بالنسبة للسكان الذين تزيد أعمارهم عن عشر سنوات في عام ١٩٥٠، لأنهم لا يدخلون ضمن الأفواج التى كانت قد ولدت فعلاً. وعلى فرض وجود بيانات تعداد مصنفة حسب العمر والنوع (وهو المفروض أن يحدث

---

(١) نقول الأعداد الصافية لأن المهاجرين الوافدين الذين نزحوا مرة أخرى، أو المهاجرين الذين كانوا قد خرجوا ثم عادوا من جديد لا تظهر أرقامهم في هذه النتيجة، كما أن المهاجرين الوافدين الذين توفوا لا تظهر أرقامهم أيضاً.

(٢) يندر أن نكلف أنفسنا عناء إجراء هذه العمليات الحسابية الطويلة ما لم يكن الفوج السكاني الذى ندرسه مصنفاً أصلاً إلى ذكور وإناث.

فعلا (١) فإن هذه التقديرات تتوقف على دقة تقديرنا لتأثير الوفيات على كل فوج . ونادراً ما يكون من الممكن عملياً إستخدام إحصائيات الوفيات المسجلة في هذا الغرض . وهناك بدلا من هذا طريقتان بسيطتان في تقدير معدل الوفيات ، وكلاهما يستند إلى إفتراض تماثل معدلات الوفيات حسب العمر بين كافة أجزاء الدولة . الطريقة الأولى :- أن نقدر النقص في الأفراد في كل فوج سكاني في إقليم ما من واقع النقص في الفوج المقابل له على مستوى سكان الدولة كلها . ويتم صياغة هذه الفكرة على هيئة معدل حجم الفوج في تعدادين ، على النحو التالي مثلا :

### عدد الفوج السكاني في عام ١٩٥٠

### عدد نفس الفوج في عام ١٩٤٠

فاذا لم تكن هناك هجرة خارجية على الإطلاق (أو هجرة طفيفة جداً) خلال تلك الفترة ، فلا بد أن ينخفض عدد الفئة العمرية من ١٥-١٩ سنة في عام ١٩٥٠ في منطقة إدارية ما بنفس الدرجة تقريباً التي إنخفضت بها أعداد الفئة العمرية من ١٥-١٩ سنة على مستوى الدولة كلها .

### ويوضح الجدول رقم (٥) معدلات حجم الفوج في البرازيل بالنسبة لكل جماعة

(١) يلاحظ كما أشرنا فيما يلي (في الجدول رقم ٥) أن هذه الطريقة في الحساب تشبه اختبار الدقة الذي يتبع في اختبار إحصائيات العمر في التعدادات (أنظر الجزء الأول من هذا الكتاب ، وأنظر كذلك باركلي ، أساليب تحليل السكان ، مرجع سابق ، الفصل الثالث ، خاصة ص ص ٦٨ وما بعدها) . فنقول بكلمات أخرى أن نفس النتيجة يمكن إرجاعها إلى أخطاء وقصور في البيانات نفسها ، كما يمكن إرجاعها إلى تأثير الهجرة ، وفي كلا الحالتين فالاختبار بين الاحتمالين مسألة افتراضية (بمعنى أنني إذا افترضت صدق البيانات فإن التغير في الفوج السكاني يكون راجعاً إلى الهجرة ، والعكس بالعكس) . ومن الواضح أن هذه الطريقة لاتصلح لان تكون إختباراً للدقة ، حيث يكون المجتمع قد شهد هجرة بالفعل ، ولكنه لاتوجد تحت أيدينا الوسائل المناسبة لتقدير حجم تلك الهجرة إذا ما كانت تساورنا شكوك في البيانات . ولا شك أن تصنيف بيانات التعداد حسب العمر وحسب الوحدات الادارية الفرعية ، وتوفر معلومات عامة عن تيارات الهجرة في المجتمع . كل ذلك يساعد على صياغة فروض معقولة في هذا الصدد يمكن الاعتماد عليها دون أن يتعد الباحث كثيراً عن الصواب أنظر : باركلي ، المرجع السابق ، ص ص ٢٥٢-٢٥٣ وكذلك المراجع الواردة هناك حيث يلقي مزيداً من الضوء على هذه المشكلة .

عمرية عشرية في عام ١٩٥٠ (العمود رقم ٤ في الجدول - وإن كان الأفضل لو توفرت بيانات عن فئات عمرية خمسية). ولكي تحسب الزيادة أو النقص في المهاجرين في منطقة الإقليم الإتحادي طبقت تلك المعدلات على سكان الإقليم الإتحادي عام ١٩٤٠ (بالنسبة لكل جماعة عمرية على حدة) فنحصل بعد هذا على عدد السكان المتوقع فوق عمر ١٠ سنوات في عام ١٩٥٠ (العمود رقم ٦ في الجدول). وهنا نفترض أن الفرق بين عدد السكان «المتوقع» وعدد السكان الفعلي الوارد في بيانات التعداد راجع إلى الهجرة، سواء كانت هجرة وافدة (العمود رقم ٨ في الجدول) والنتيجة هي رقم تقديري للهجرة الصافية في الفترة بين التعدادين مصنفة تبعاً لأعمار ونوع المهاجرين، في الأعمار إبتداء من عشر سنوات وحتى ٨٠ عاماً. وتلك هي المرحلة العمرية لأغلب المهاجرين. وهي كذلك المرحلة التي تقل فيها إلى أدنى حد الأخطاء المحتملة الراجعة إلى معدلات الوفيات المفترضة والتي تؤدي إلى تشويه النتائج النهائية التي يتم التوصل إليها. وما لم يكن هناك إصرار على الحصول على العدد الإجمالي للمهاجرين كافة. فانه من الواضح أن هذه الطريقة تتجاهل المهاجرين دون سن العشر سنوات وفوق الثمانين (١)،

(١) يلاحظ القارئ أن الجدول رقم (٥) لا يقدم بيانات عن أعداد المهاجرين دون العاشرة من العمر. وذلك لأنهم وجدوا بعد ١٩٤٠. وإذا أردنا أن نقف على أعداد أولئك المهاجرين (أي دون العاشرة من العمر) فإنه يمكن الحصول عليها عن طريق معالجة البيانات التي تحت أيدينا عن المواليد خلال تلك الفترة على النحو الذي أوضحه باركلي تفصيلاً في كتابه المذكور (أنظر باركلي، المرجع السابق، الفقرة الثالثة من الفصل الثالث، ص ٥٨-٦٠، وكذلك الجدول المنشور على ص ٧٨). وإن كان من الأصوب بالنسبة لهذه الفئة العمرية عمل تخفيضات على مختلف مستويات الوفيات في مختلف أجزاء الدولة.

كما يلاحظ القارئ أن الجدول رقم (٥) لا يقدم بيانات عن المهاجرين في فئات العمر المتقدمة (سن الثمانين فما فوق في عام ١٩٥٠). ولذلك نقول إن هذه الطريقة لا تقدم لنا العدد الكلي للمهاجرين، إلا إذا لجأنا إلى عمل بعض الفروض بالنسبة لأدنى ولأعلى الفئات العمرية. ومن هذا مثلاً أن نفترض أن الأفراد الذين يبلغون الثمانين من العمر فما فوق يتوزعون في الإقليم الإتحادي - في البرازيل - بنفس نمط توزيع هذه الفئة العمرية على مستوى الدولة كلها، أو سكان أي دولة أخرى. ولكن الوضع الشائع أن كل المهاجرين تقريباً يندرجون تحت الفئات العمرية المتوسطة - وهي البيانات التي يقدمها لنا بوضوح الجدول رقم (٦).

جدول رقم (٥)

تقدير عدد المهاجرين الصافي إلى الإقليم الاتحادي في البرازيل  
في الفترة من ١٩٤٠ - ١٩٥٠ ، حسب أعمارهم عام ١٩٥٠ (ذكر فقط)

★ (اعتادا على بيانات التعداد)

| ١                    | ٢                               | ٣                               | ٤                               | ٥                               | ٦                                               | ٧                               | ٨                                                                                 |
|----------------------|---------------------------------|---------------------------------|---------------------------------|---------------------------------|-------------------------------------------------|---------------------------------|-----------------------------------------------------------------------------------|
| العمر في<br>عام ١٩٥٠ | عدد السكان<br>حسب تعداد<br>١٩٤٠ | عدد السكان<br>حسب تعداد<br>١٩٥٠ | نسب حجم<br>الفوج<br>عامود ٣ ÷ ٢ | عدد السكان<br>حسب تعداد<br>١٩٤٠ | عدد السكان<br>حسب تعداد<br>«التوقع» عام<br>١٩٥٠ | عدد السكان<br>حسب تعداد<br>١٩٥٠ | تقدير عدد<br>المهاجرين<br>الصافي في الفترة<br>١٩٤٠-١٩٥٠<br>عامود ٧-٦<br>(بالآلاف) |
| ١٩-١٠                | ٦,١٧٩,٤٧٧                       | ٥,٨٠٩,٢٣٥                       | ٩٤٠.٩                           | ١٧٩,٨٠٠                         | ١٦٩,٠٢٨                                         | ٢١٦,٢٤٢                         | ٤٧,٢                                                                              |
| ٢٩-٢٠                | ٤,٨٣٩,٨٨٤                       | ٤,٤١٤,٧٧٢                       | ٩١٢١٦                           | ١٧٠,٢٠٦                         | ١٥٠,٢٥٠                                         | ٢٤٨,٦٥٩                         | ٩٣,٤                                                                              |
| ٣٩-٣٠                | ٣,٤٨٥,١٠٣                       | ٣,١٤٥,٧١٥                       | ٩١٢٦٠                           | ١٧٩,٦٧٠                         | ١٦٢,١٧٠                                         | ١٨٣,٨٧٢                         | ٢١,٧                                                                              |
| ٤٩-٤٠                | ٢,٤٦٦,٤٩٩                       | ٢,٢٤٦,١٠٧                       | ٩١٠٦٥                           | ١٥٠,١٧٥                         | ١٣٦,٧٥٧                                         | ١٣٧,٩٠٣                         | ١,١                                                                               |
| ٥٩-٥٠                | ١,٧٨٩,٥٨٢                       | ١,٣٦٠,٥٨٠                       | ٧٦٠٢٨                           | ١٠١,٨٧٧                         | ٧٧,٤٥٥                                          | ٨٣,١٠٤                          | ٥,٦                                                                               |

تابع جدول رقم (٥)

| ٨                                                                  | ٦ الاقليم الاتحادي        |                      |                       | ٥                         | ٤                       | ٣                         | ٢                         | ١                 |
|--------------------------------------------------------------------|---------------------------|----------------------|-----------------------|---------------------------|-------------------------|---------------------------|---------------------------|-------------------|
| تقدير عدد المهاجرين الصافي في الفترة ١٩٥٠-١٩٤٠ عامود ٦-٧ (بالآلاف) | عدد السكان حسب تعداد ١٩٥٠ | عدد السكان عامود ٤×٥ | عدد السكان عامود ١٩٥٠ | عدد السكان حسب تعداد ١٩٤٠ | نسب حجم الفوج عامود ٢÷٣ | عدد السكان حسب تعداد ١٩٥٠ | عدد السكان حسب تعداد ١٩٤٠ | العمر في عام ١٩٥٠ |
| ٠,٢                                                                | ٤١,٥٩٧                    | ٤١,٣٩٦               | ٥٩,٨٣٦                | ٦٩١٨٢                     |                         | ٧٢٨,٨٠٢                   | ١,٠٥٣,٤٥٣                 | ٦٩-٦٠             |
| ٠,٣                                                                | ١١,٩٠٢                    | ١٢,٥٩٨               | ٢٤,٥٦١                | ٤٧٢٢٢                     |                         | ٢٤٧,٧٥٥                   | ٥٢٤,٦٥٥                   | ٧٩-٧٠             |

(\*) مع استبعاد تأثير بعض الهجرات الواقعة من خارج البرازيل خارج هذه السنوات العشر، وكذلك مع استبعاد الفرق بين تاريخ إجراء كل من التعدادين حيث أجرى تعداد ١٩٤٠ يوم أول سبتمبر، وأجرى تعداد عام ١٩٥٠ يوم أول يوليو (أي أن المدة الحقيقية نقلت عن عشر سنوات بشهرين). وحذفت من البيانات تلك الخاصة بالأفراد الذين لم يبيّنوا تاريخ ميلادهم. المصدر: عن باركلي، المرجع السابق، ص ٢٦٣ نقلاً عن:

Censo Demográfico, 1950, Distrito Federal, Rio de Janeiro, 1951, Instituto Brasileiro de Geografia et Estatística, Análises Críticas de Resultados dos Censos Demográficos, P. 88.

الطريقة الثانية: يمكن تقدير تأثير الوفيات على كل فوج سكاني، وذلك بالاستعانة بجداول الحياة. وتتميز هذه الطريقة بالبساطة الشديدة، إذ تقتصر على تطبيق معدلات البقاء Survival ratios (١) المناظرة للفئات العمرية المختلفة التي يتعرض لها كل فوج سكاني في الفترة بين تعدادين. وتقدم لنا مجموعة معدلات البقاء هذه تقديراً لعدد السكان «المتوقع» (مصنفاً حسب السن وحسب النوع) في عام ١٩٥٠ في حالة عدم وجود هجرة، وكما أشرنا من قبل فإننا نحسب الفرق بين هذا العدد المتوقع للسكان وبين العدد الفعلي فيخرج لنا بيان بحجم الهجرة مصنفة حسب العمر وحسب النوع، ويجب أن نلاحظ هنا أن جدول الحياة الذي يناسب الوقائع المتاحة لن يعطينا بطبيعة الحال تقديراً دقيقاً لعدد السكان المتوقع.

كما أننا نستطيع تقدير أعداد المهاجرين عن طريق الرجوع إلى الوراثة من تعداد ١٩٥٠، على نحو ما فعل باركلي في مقارنة حجم فوجين من السكان الذكور في تعدادين متعاقبين، وذلك في تعدادي ١٩٣٧ و١٩٤٧ في مصر. (أنظر مؤلف باركلي الذي سبقت الإشارة إليه. صفحة ٧٣)،

ويوضح الجدول التالي رقم (٦) الذي أعده الدكتور فتحي أبو عيانة تطبيق نسبة البقاء لتحديد حجم الهجرة الداخلية في أحد أحياء محافظة الإسكندرية حسب النوع والسن اعتماداً على بيانات تعداد عام ١٩٦٠ المتاحة.

ولكن الحقيقة التي لا يصح أن تغيب عنا أن كلا هاتين الطريقتين غير دقيق دقة تامة، لأنهما يحددان تحديداً خاطئاً أثر الوفيات الذين هاجروا على السكان. والمشكلة أن حجم الخطأ يختلف من طريقة لأخرى، إذ أنه كلما كان صافي عدد المهاجرين (في أي الاتجاهين) ضئيلاً، كلما كان الخطأ الراجع إلى هذا المصدر ضئيلاً أيضاً (٢)

---

(١) يمثل معدل البقاء نسبة من بقوا على قيد الحياة في فوج سكاني معين من عمر لأخر تبعاً للوفيات الواردة في جدول الحياة. ويضرب هذا المعدل في عدد أفراد الفوج في التاريخ السابق فيكون حاصل الضرب هو عدد السكان «المتوقع» أن يظلوا على قيد الحياة في تاريخ لاحق. أنظر مزيداً من التفاصيل عند باركلي، المرجع السابق، ص ٢٥٤، خاصة حاشية رقم ١٨، وكذلك المراجع الواردة هناك.

(٢) ناقش توماس هذه المشكلات مناقشة مستفيضة في مؤلفه



وحتى بعد أن نتوصل إلى هذه التقديرات لأرقام الهجرة، فإنه لن يكون واضحاً لنا كيف يمكن حساب «معدلات» الهجرة تبعاً للعمر وتبعاً للنوع . إذ أنه لما كانت التقديرات خاصة بأفواج سكانية منفصلة، فإنها يمكن أن تظهر كمعدلات في بداية الفترة المدروسة أو في نهايتها . أى كمعدلات لأولئك السكان حسب العمر وحسب النوع إما في التعداد الأول، أو في التعداد الثاني . (ويجب أن نلاحظ هنا أن المهاجرين المنسوبين إلى الفوج الذى كانت أعمارهم تتراوح بين ١٥-١٩ سنة في عام ١٩٤٠ سوف ينسبون بالطبع إلى الفوج الذى أصبحت أعمار أفرادهم تتراوح بين ٢٥-٢٩ سنة في عام ١٩٥٠، وذلك بديهي بسبب تقدم أعمار أفراد ذلك الفوج من تعداد لآخر).

وإذا أردنا الدقة الحقيقية ، فإننا لكى نكون متفقين مع فكرة معدل الإحصائيات الحيوية، يتعين علينا أن نحسب معدل الهجرة على مقام (مقام الكسر) يمثل عدد السنوات العمرية التى عاشها ذلك الفوج من السكان خلال الفترة المدروسة (فترة العشر سنوات ما بين التعدادين). وبحسب عدد السنوات العمرية هذا عادة من واقع النقطة التى تتوسط أعداد الأفراد الموجودين في بداية الفترة وأعداد الموجودين في نهايتها (١) .

وإن كان لا يهم كثيراً في الواقع العمل طريقة حساب المعدلات، طالما أنها سوف تستخدم عادة في إجراء مقارنات، بينها وبين معدلات مماثلة على نفس المجتمع . أى أنها لن تستخدم لإجراء مقارنات مع معدلات خاصة ببلاد أو مجتمعات أخرى . بل إنه ليس من الضروري في هذه الحالة أن نحسب المعدل الإحصائي الحيوى الخاص «بالهجرة تبعاً للسنوات العمرية» ويكفيها جداً أن نحصل على معدل بسيط يحدد لنا صافي عدد المهاجرين بالنسبة للجماعات العمرية التى ندرسها أو نجرى تحليلاً بشأنها.

---

(١) فنجد على سبيل المثال أن عدد السنوات العمرية التى عاشتها الجماعة العمرية من ١٥-١٩ سنة من عام ١٩٤٠ حتى ١٩٥٠ ستكون تقريباً نصف الحجم الكلى لهذه المجموعة في عام ١٩٤٠ وللجماعة العمرية من ٢٥-٢٩ في عام ١٩٥٠ مضرورياً في ١٠، وهو عدد سنوات الواقعة وبين التعدادين .

غير أن المشكلة الكبرى والمزعجة بحق هي مشكلة الأخطاء التي تعيب الأرقام التي نتوصل إليها عن طريق الهجرة. فنحن نعلم أننا نحصل على تلك الأرقام بمقارنة تعدادين مختلفين، وربما نأخذ في اعتبارنا علاوة على هذا بعض بيانات الوفيات الخاصة بالجماعات التي ندرسها، ولا جدال في أن كل رقم من تلك الأرقام (التي نستخرج منها تقديرات الهجرة) تتميز بقدر يزيد أو يقل من القصور وعدم الدقة. والمؤكد أيضاً أن كل تلك العيوب والأخطاء سوف تتركز جميعاً في تقديرات الهجرة، وحتى لو سلمنا بعدم وجود عيوب خطيرة وبارزة في تلك البيانات التي نعتمد عليها، فلاشك أنه ستوجد أخطاء غير منظورة وغير متوقعة في التقديرات النهائية بالنسبة لأحد الأقسام الإدارية للدولة <sup>(١)</sup> فإذا كانت هناك أخطاء فادحة وواضحة في بيانات التعداد، فإن تلك التقديرات غير المباشرة لن تكون ملائمة لتلك الجماعات العمرية أو الأقسام الإدارية التي يتصل بها هذا الخطأ.



#### سابعاً: الدراسات المسحية الخاصة

لقد استطاعت كثير من المسوح الاجتماعية أن تنجح في جمع معلومات عن الهجرات السابقة من الأفراد الذين شملتهم تلك الدراسات المسحية، ولذلك فإننا نستطيع من خلال الاعتماد على طريقة العينات أن نحصل على معلومات تفصيلية عن الهجرة. فمن الممكن توجيه أسئلة عن مدة الإقامة في محل الإقامة الحالي، وكذلك عن التنقلات التي قام بها الفرد المبحوث قبل وصوله إلى محل الإقامة الحالي. وتشبه تلك البيانات في جوهرها البيانات التي نحصل عليها من إحصائيات محل الميلاد، ولكنها تتفوق عليها في أننا نستطيع الحصول على مزيد من

---

(١) فنلاحظ على سبيل المثال أن التعدادات التي تصنف السكان تبعاً لمحل الإقامة المعتاد (أى التصنيف السكان القانوني) يمكن أن يعطينا نتائج تختلف أشد الاختلاف عن تلك التي يقدمها لنا تعداد قائم على أساس حصر السكان تبعاً لمحل الإقامة الفعلي وقت إجراء عملية العد (أى التصنيف الفعلي للسكان) فنجد لذلك أن تقديرات الهجرة المأخوذة من تعداد «قانوني» وتلك المأخوذة من تعداد «فعلي» يمكن أن تكون زائفة كل الزيف. ومن هذا يتضح بكل جلاء أن النتائج التي نخلص إليها عن الهجرة يمكن أن تكون أكثر قرباً إلى الصواب إذا كانت التعدادات المختلفة في نفس الدولة تتبع أسلوباً واحداً متسقاً في تصنيف السكان حسب الوحدات الإدارية للدولة.

جدول رقم (٦) تقدير العدد الصافي للمهاجرين

إلى منطقة الرمل - المنتزة بالاسكندرية في الفترة

١٩٥٠-١٩٦٠ حسب العمر في سنة ١٩٦٠

(الذكور فقط بناء على بيانات التعداد)

| الهجرات<br>الصافية<br>العمرية<br>١٩٥٠-<br>١٩٦٠ | عدد<br>السكان<br>المتوقع<br>في<br>١٩٦٠ | تعداد ١٩٥٦    |       | تقدير ١٩٥٠ معدل البقاء |               |        |
|------------------------------------------------|----------------------------------------|---------------|-------|------------------------|---------------|--------|
|                                                |                                        | عدد<br>السكان | السن  | التعداد<br>القومي      | عدد<br>السكان | السن   |
|                                                |                                        | (٥)           | (٤)   | (٣)                    | (٢)           | (١)    |
| ٦-٥=(٧)                                        | ٣×٢=(٦)                                |               |       |                        |               |        |
| ٧٣٤٤+                                          | ١٣٧١٧                                  | ٢١٠٦١         | ١٤-١٠ | ١,٢٠٩٥٤                | ١١٣٤١         | ٤-٠    |
| ٥٨٩٢+                                          | ٨٥٠٠                                   | ١٤٣٩٢         | ١٩-١٥ | ,٨٦٢٧٧                 | ٩٨٤١          | ٩-٥    |
| ٤٦٣٩+                                          | ٧٣٦٦                                   | ١٢٠٠٥         | ٢٤-٢٠ | ,٧٥٥٧١                 | ٩٧٤٧          | ١٤-١٠  |
| ٤٦٠٦+                                          | ٦٤١٩                                   | ١١٠٢٢         | ٢٩-٢٥ | ,٨١٨٨٨                 | ٧٨٣٥          | ١٩-١٥  |
| ٤٤٩٠+                                          | ٧٨٢٣                                   | ١٢٣١٣         | ٣٤-٣٠ | ,١١٥٧٠                 | ٧٠١٢          | ٢٤-٢٠  |
| ٣٢٦١+                                          | ٧٨٣٢                                   | ١١٠٩٣         | ٣٩-٣٥ | ١,١٥٨٢٢                | ٦٧٦٢          | ٢٩-٢٥  |
| ٢٩٩١+                                          | ٦١٥٣                                   | ٩١٤٤          | ٤٤-٤٠ | ,٩٩٨٥٥                 | ٦١٦٢          | ٣٤-٣٠  |
| ٢١٧٣+                                          | ٤٤٥٤                                   | ٦٦٢٧          | ٤٩-٤٥ | ,٨٠٦٣٢                 | ٥٥٢٤          | ٣٩-٣٥  |
| ١٨٦٥+                                          | ٤٣٨١                                   | ٦٢٤٦          | ٥٤-٥٠ | ,٨١٣٢٤                 | ٥٣٨٧          | ٤٤-٤٠  |
| ١١٦٣+                                          | ٢٤٥٢                                   | ٣٦١٥          | ٥٩-٥٥ | ,٧٠٦٣١                 | ٣٤٧١          | ٤٩-٤٥  |
| ١٤١٥+                                          | ٢٣٩١                                   | ٣٨٠٦          | ٦٤-٦٠ | ,٧١٣٧٥                 | ٣٣٥٠          | ٥٤-٥٠  |
| ٣٠٣+                                           | ١٢٤٧                                   | ١٥٥٠          | ٦٩-٦٥ | ,٨٩٧٦٠                 | ١٣٨٩          | ٥٩-٥٥  |
| ١٦٠+                                           | ١٢٤٢                                   | ٣٣٠٢          | +٧٠   | ,٤٣٨٤١                 | ٤٨٨٧          | +٦٠    |
| ٤٠٣٠٢+                                         | ٧٤٨٧٤                                  | ١١٥١٧٦        | -     | -                      | ٨٢٧٠٨         | الجملة |

المعلومات عن كل شخص عن طريق المسح بالعينة. ويمكننا لو أحسنا التخطيط للدراسة المسحية التي نحصل من خلالها على صورة شاملة متكاملة للهجرات التي قام بها أفراد مجتمع البحث. كما أن صغر حجم الجماعة التي نجرى عليها المسح بالعينة (وهو صغر نسبي طبعاً بالقياس إلى التعدادات مثلاً)، من شأنه أن يسمح لنا بإجراء مقارنات مفصلة بين المهاجرين تبعاً لسماتهم وخصائصهم الشخصية المختلفة.

ومن المهم أن نلاحظ في هذا الصدد أن البيانات التي نحصل عليها من الدراسات المسحية يمكن أن تزودنا بإحصائيات مفيدة عن الهجرة حتى ولو لم تكن هناك بيانات تعداد منذ سنوات طويلة. وقد استفاد منها كثير من الباحثين، نذكر منها مجموعة الدراسات التي حررها هيرين عن «التحضر في جاكرتا»، حيث اعتمد على بيانات الدراسات المسحية أساساً، وذلك بسبب عدم وجود بيانات تعداد يمكن أن نخدم نفس الغرض. (١)

#### ثامناً: إعادة توزيع السكان

يمكن القول باختصار بأن النتيجة الرئيسية للهجرة تنبع بشكل مباشر وواضح من طبيعة عملية الهجرة نفسها. إذ طالما أن العدد الصافي للهجرة يمثل إنتقال عدد من الأفراد من مكان إلى آخر، فإن الهجرة ليست في الحقيقة سوى عملية إعادة توزيع سكان أى اقليم من الأقاليم. ونجد في كثير من الأحيان أن تغير توزيع السكان في بلد ما يكون أكثر أهمية من الهجرة نفسها، لأنه ببساطة يضاعف من مشكلات السياسة العامة في هذا البلد. ولو نظرنا إلى برامج التنمية الاقتصادية من الناحية المعاكسة لوجدنا أنها تؤدي في نهاية الأمر إلى زيادة حركة الأشخاص من مكان إلى آخر، أى أنها تعمل على زيادة حجم الهجرة في ذلك المجتمع.

ويمكن أن نقف على توزيع السكان على مختلف الأقسام الإدارية للدولة من خلال أى تعداد أو أى بيانات مسجلة عن سكان تلك الدولة. ولذلك فإن

(١) أنظر المؤلف الذى أشرف على تحريره هيرين:

الإعتبرات الإدارية هى التى تحتم أن تبين أولى جداول التعداد المجموع الكلى لكل وحدة إدارية. كما أن توزيع السكان على مختلف الأقسام الإدارية يمكن أن يتضح أيضاً من خلال معدلات «الكثافة» السكانية بالنسبة لمجموع مساحة الدولة، أو إمكانيات الإسكان، أو كفاءة وسائل النقل العام، أو مساحة الأرض المزروعة، أو أى سمة محلية أخرى لها وزنها وأهميتها بالنسبة للأنشطة البشرية.

ولذلك فإن وصف التغير الذى يطرأ على هذا التوزيع يتطلب منا على الأقل - توفر نقطتين مختلفتين للملاحظة في فترتين زمنيتين مختلفتين. كما أن تغير توزيع السكان هو في نفس الوقت عملية إعادة توزيع لأنشطة أولئك السكان، ومن ثم فهو يرتبط بكثير من أنواع التغير الاقتصادى والاجتماعى. ولذلك فإننا كثيراً ما نتمنى أن نتاح إمكانية مقارنة إحصائيات الهجرة بمؤشرات التغير الاجتماعى والاقتصادى والتكنولوجى.

وهناك - علاوة على هذا - بعض جوانب تغير توزيع السكان التى تحظى بأهمية خاصة، التى سنختار منها للمعالجة المفصلة موضوع التغيرات التى تطرأ على تركيب السكان.



#### تاسعا: الهجرة وتغير التركيب السكانى

المعروف أن الهجرة تتم دائماً بشكل انتقائى (أو انتخابى)، فهى لا تنقل مجموع سكان مجتمع ما بأكمله من مكان إلى آخر (اللهم إلا فى بعض الأحوال البالغة الندرة والتى لن نلتفت إليها هنا). فالهجرة تفصل دائماً بعض فئات السكان وتغريهم أو ربما تفرض عليهم الانتقال من جماعة سكانية (فى الوطن الأصلى) إلى جماعة سكانية أخرى (فى الهجرة)، فمعنى هذا أن عملية إعادة التوزيع الناشئة عن الهجرة هى فى نفس الوقت عملية تغيير فى التركيب السكانى فى كلا المكانين (أى الوطن الأصلى والمهجر).

ويمكن التعرف على أثر الهجرة وتحديد سواه فى الوطن الأصلى أو فى المهجر، (ولكن بشكل محدود فقط)، فى إحصائيات العبور الفعلية، ولكى يتحقق قياس هذا الأثر بشكل سليم، فلا بد من التعرف على المهاجرين وتحديد البيانات الخاصة

بهم في الإحصائيات بشكل منفصل عن بقية سائر سكان المكانين (الموطن الأصلي والمهجر) بحيث يمكن التعرف على تركيبهم السكاني الخاص. فهناك كثير من التغيرات التي يمكن إرجاعها إلى أحداث وملايسات خاصة بهذه المنطقة أو تلك، ولكن لاصلة لها بالهجرة مباشرة. ولكن الملاحظ أن البيانات الخاصة بالتركيب السكاني للجماعات المهاجرة داخل مجتمع معين هي شىء نادر صعب المثال. ولذلك نجد أن التقديرات غير المباشرة لأرقام الهجرة الصافية (مصنفة تبعاً للعمر والنوع) تكون ذات قيمة كبرى لأننا نقف من خلالها على كثير من التفاصيل الخاصة بالتركيب السكاني للمهاجرين في حالة عدم توفر أى بيانات أخرى.

ومن الممكن استخلاص قدر كبير من الشواهد الاحصائية عن سمات الجماعات المهاجرة وغير المهاجرة من بيانات تتصل ببعض الجماعات العنصرية (العرقية) أو القومية، أى بجماعات مهاجرين أصلاً (وأخلافهم طبعاً) ظل أفرادها محتفظين بتميزهم في المهجر. وهذه البيانات متوفرة بسهولة في جداول التعدادات في البلاد المختلفة. ولو أنها لاتفصل فصلاً دقيقاً بين الجماعات المهاجرة وغير المهاجرة. إذ أنه من البديهي والمؤكد أنه ليس كل المهاجرين يظلون على تميزهم وعزلتهم داخل مجتمع المهجر. فلا بد من حدوث اختلاط واندماج يؤدي إلى عدم وضوح تلك الحدود العنصرية أو القومية بين الجماعات المختلفة. ويحدث ذلك عادة عن طريق الزواج المختلط (بين جماعات المهاجرين وأبناء مجتمع المهجر) . . . وهكذا. كما أن التركيب العمرى سرعان ما يتغير تغيراً كلياً، وذلك إذا حسبنا الأولاد والأطفال. . الخ مع آبائهم وأجدادهم. ولكننا نقول مع ذلك إن تلك الأرقام تتفوق بكثير على جداول تصنيف السكان بحسب محل الميلاد لأنها تزودنا بجداول مقارنة نحتاجها لوصف التركيب السكاني للجماعات المهاجرة.

وعلى الرغم من أن الجماعات العنصرية (العرقية) أو القومية في مجتمع ماليس متطابقة تمام التطابق مع جماعات المهاجرين، إلا أنها تكشف مع ذلك كثيراً من آثار الهجرة وتلقى الضوء على حجمها وأبعادها المختلفة. ويتم استخدام هذه البيانات بشكل وصفي بحث. ويتم تجميع البيانات المتاحة بحيث تيسر إجراء

مقارنة بين تركيب الجماعات المهاجرة وتركيب بقية السكان . ومن المرجح أن تحافظ الجماعات المهاجرة على بعض السمات الخاصة التي تميزها لفترة طويلة من الزمن ، وأعنى السمات المتصلة بأساليب كسب العيش . واللغة والمستوى التعليمي ، والتركيب العمرى . . . إلخ (١)

إن أى باحث لابد وأن يساوره الشك دائما فى الدلالة الحقيقية لهذا النوع من بيانات التعداد . ومع ذلك فإن البيانات التي تحويها التعدادات عن الجماعات العنصرية والوطنية تمدنا بأكبر معين من المعلومات القابلة للمقارنة عن تلك الجماعات (٢) ،

أما إذا أجريت مقارنات على أساس بيانات غير بيانات التعداد ، فإن الباحث سوف يواجه فى هذه الحالة عديداً من الصعوبات الجمة ، نذكر من هذا على سبيل المثال أن معدلات المواليد ومعدلات الوفيات الخاصة بالجماعات العرقية المختلفة عرضة لأخطاء غير متوقعة . وترجع احتمالات هذه الأخطاء إلى عدم وجود اتفاق أو أساس دقيق لتصنيف بيانات السجلات الحيوية والتعداد . كما أن إجراء مقارنات بين بيانات مأخوذة من أكثر من تعداد ، مثل معدلات نمو الجماعات العرقية أو القومية ، يمكن أن يتعرض للتشويه بسهولة بسبب عدم الاتساق فى

---

(١) وإن كانت البيانات الخاصة بالتركيب العمرى تصبح أقل فائدة من نمو حجم الجماعات المهاجرة عن طريق الزيادة الطبيعية ، ولكنها يمكن أن تكون مفيدة فى المدى الزمنى القصير فقط .

(٢) ولاشك أيضاً أن حدود تلك الجماعات ليست دائماً محددة بشكل واضح ولذلك فإن تصنيف السكان سوف يختلف تبعاً للمعايير التى اتبعت عند التخطيط للتعداد ، وكذلك تبعاً للاتجاهات الفكرية عند الفئة التى تتلقى بيانات التعداد ويقع على عاتقها القيام بعملية التصنيف . والدليل على ذلك أن الجماعات العرقية تصنف بأساليب وطرق تختلف من تعداد لآخر . والنتيجة الطبيعية لهذا الاختلاف فى أساليب التصنيف أن تختلف صورة تركيبهم السكاني من تعداد لآخر أيضاً . ولما كانت فئات التصنيف نفسها غير محددة أصلاً تحديداً دقيقاً أو مطلقاً ، فإنه يمكن القول بأن هذه المشكلات لاعلاج لها . وليس أمام الباحث لكى يتجنب الوقوع فى أخطاء جسيمة سوى أن يلزم الحذر ويتشكك دائماً فى مثل هذه البيانات . لأنه لامناص من أن يعتمد عليها لكى يستطيع أن يرسم ولو صورة عامة أولية لتركيب جماعات المهاجرين .

عملية إجراء التعداد. ولهذا تتأثر كل المقارنات التي من هذا النوع بالإختلافات في التركيب النوعي والعمرى، ولذلك يجب أن تجرى بالنسبة لكل من العمر والنوع على حدة (١).

\*\*\*

---

(١) بالنسبة لبعض أغراض البحث يكفى أحيانا استخدام التوزيعات الفتوية (تبعاً للمهن، أو الحالة الزوجية... الخ) بالنسبة لكل عمر من الأعمار وذلك على عينة «قياسية» من السكان. والهدف من ذلك تقديم النتائج بشكل أيسر بتقليل كمية التفاصيل التي تنطوي عليها المادة. أما النسب المئوية القياسية فمشكوك في قيمتها في أغلب الحالات، كما تؤدي بالتأكيد إلى فقدان جانب من المعلومات. ولذلك لا ينصح علماء السكان باستخدامها، اللهم إلا إذا كان الباحث على دراية كاملة بدلالات العملية المختلفة من ناحية، وبطبيعة البيانات موضوع الدراسة من ناحية أخرى. أنظر باركلي، المرجع السابق، ص ٢٥٨، حاشية رقم ٢٥.



## الفصل الثانى عشر

### دراسة الهجرة الخارجية

أولاً: عوامل الهجرة الخارجية

تنحصر عوامل الهجرة الخارجية فى مجموعتين من العوامل هى العوامل الطاردة والعوامل الجاذبة. وهناك رأى يرى أن حركات الهجرة اليوم تميل إلى أن تنقسم إلى نوعين: النوع الأول هو الذى يحدث نتيجة لعوامل الطرد وذلك عندما تكون الحاجة أو الإلزام بالخروج قوية مثلما هو الحال عندما تضطر الظروف الاقتصادية لبلد ما بعض أفرادها إلى الهجرة. أما النوع الثانى فهو الذى يحدث إستجابة لعوامل الجذب، وفى هذه الحالة تكون حركة السكان ناتجة عن عوامل اقتصادية كالحاجة إلى أنواع معينة من الأيدى العاملة فى البلد الآخر (١) ولكننا نرى أن كلتا العوامل الطاردة والعوامل الجاذبة غالباً ما تتعاون معا فى التشجيع على الهجرة ولا توجد إلا بعض أنواع قليلة من الهجرات - مثل الهجرات الإضطرابية - هي التى تلعب فيها عوامل الطرد دوراً هاماً.

وقد حاول بعض الكتاب تحديد عوامل الهجرة الدولية، من هذا مثلاً محاولة ايفريت لى Everett Lee فى كتابه عن نظرية الهجرة أن يحدد العوامل التى تحفز للهجرة وتؤثر فى تياراتها، فقسمها إلى الفئات الأربع التالية: - (٢)

١ - عوامل مرتبطة بالمنطقة الأصلية للمهاجرين (منطقة الأصل) Area of

Origin

٢ - عوامل مرتبطة بمنطقة إستقبال المهاجرين (منطقة الوصول) Area of

Destination

(1) Jansen., op. cit., p. 59

(٢) أنظر فتحى أبو عيانة، المرجع السابق، ص ص ٣٤٤ - ٣٥١.

٤ - العوامل الشخصية Personal factors

وفى كل منطقة يوجد عدد كبير من العوامل التى تدعو السكان إلى التمسك بالبقاء فيها، كما أنها تجتذب إليها سكاناً آخرين . ويقابل ذلك عوامل أخرى تدفع عدداً من السكان إلى الهجرة خارجها، كما أن هناك قطاعاً من السكان لا يتأثر بعوامل الجذب أو الطرد ، وهم فى هذه الحالة السكان الأصليون والعزوفون عن الهجرة . وبعض هذه العوامل ذو تأثير جماعى على كل السكان مثل المناخ المعتدل الذى يعد عامل جذب إيجابى ، والمناخ السيئ الذى يعد عامل طرد سلبى . بينما هناك عوامل أخرى تتباين فى نوع تأثيرها مثل النظم الاقتصادية والاجتماعية والنقل وغير ذلك .

وتتباين عوامل الجذب والطرد فى كل من منطقتى الأصل والوصول، وهى تتباين بالنسبة لكل مهاجر . وهناك اختلافات جوهرية وهامة بين العوامل المرتبطة بمنطقة الأصل ، وتلك المرتبطة بمناطق الوصول . فالسكان الذين يعيشون فى منطقة ما يتمتعون بمعرفة مباشرة وطويلة بظروف منطقتهم ، ويستطيعون الحكم على مقوماتها الذاتية، وليس ذلك القول صحيحاً بالنسبة للعوامل المرتبطة بمنطقة الوصول لأن معرفة المهاجرين لمقومات هذه المنطقة قلما تكون دقيقة، كما أن مساوىء أو مزايا العيش بها أمر نسبى إلى حد كبير.

وبالإضافة إلى ما سبق توجد مجموعة من العوائق الوسيطة الموجودة بين كل منطقتين من مناطق الأصل والوصول . وقد تكون هذه العوائق بسيطة حيناً أو يصعب التغلب عليها حيناً آخر . وتعد المسافة من أبرز هذه العوائق وأكثرها أثراً فى تحديد حركة الهجرة وحجمها وتكاليف الانتقال وغير ذلك . كما أن هناك عوامل شخصية كثيرة تؤثر فى تشجيع الفرد على الهجرة أو العزوف عنها

وفي ضوء العوامل المؤثرة في أماكن الأصل والوصول للمهاجرين حاول «إيفريت لى» أن يقنن ظاهرة الهجرة، وصاغ هذه العلاقات بين عوامل الجذب والطرْد فيما يمكن تسميته «بقوانين الهجرة».

وقد خلص إلى عدة حقائق أبرزها:

١ - أن حجم الهجرة داخل منطقة معينة يتباين مع درجة الاختلافات البيئية التى تتميز بها هذه المنطقة. فإذا كانت الهجرة كما سبق القول تنتج عن عوامل إيجابية وسلبية فى منطقتى الأصل والوصول، فإن تزايد الاختلافات بين الأقاليم والمساحات التى تتألف منها ستؤدى إلى زيادة معدلات الهجرة، ويبدو ذلك بوضوح فى الأقطار التى عمرت حديثاً كما فى الولايات المتحدة فى القرن التاسع عشر وسيبريا فى القرن العشرين. وفى ظل هذه الظروف تظهر الفرص الكافية لجذب المهاجرين نحو بعض الأقاليم لتعميرها. وقد يظهر جذب قوى مفاجيء كإكتشاف الذهب فى كاليفورنيا أو الفضة فى كلورادو أو إكتشاف البترول فى منطقة الخليج العربى.

ويساعد على حركة الهجرة توفر النقل وتأمين الإحتياجات والخدمات الأخرى اللازمة لخلق المراكز العمرانية. ومن ثم يقوم الرواد والمستوطنون الأوائل الذين تحملهم أولى موجات الإستيطان بتأسيس مراكز وعقد عمرانية مركزية. ولا تعنى نهاية الإستيطان بالضرورة تناقص التباين المساحى بل على العكس فإن التصنيع الذى يعقب الإستيطان عادة يعد خلقاً لاحتياجات بيئية أخرى تمارس دورها فى توجيه حركة الهجرة إليها.

٢ - أن حجم الهجرة يختلف باختلاف السكان وتنوعهم: ويعنى ذلك ببساطة أنه كلما كان هناك تشابه كبير بين السكان سواء فى الأصول العرقية أو المستوى التعليمى أو الدخل أو العادات أو الدين، فإننا يمكن أن نتوقع معدلاً أقل للهجرة عما إذا كان هناك تنوع كبير. ذلك لأن هذا التنوع يساعد على وجود مجموعات من السكان تكمن لديها حوافز الهجرة مثل بعض الجماعات ذات المهنة الواحدة أو التركيب العرقى أو اللغوى أو الدينى الواحد.

٣ - أن حجم الهجرة يرتبط بالقدرة على تخطي العوائق البيئية المختلفة فيما بين منطقتي الأصل والوصول. وتلك حقيقة هامة في إتخاذ قرار الهجرة والتغلب على العوائق التي تحول دون ذلك ، فليس من السهل مثلاً حفر نفق أسفل سور برلين للهجرة ولعبور الأطلسي إلى الأمريكتين في القرنين السابع عشر والثامن عشر . ولذا فإن إزالة قيود الهجرة تؤدي إلى تشجيعها بدرجة كبيرة، كما حدث مثلاً بين دول السوق الأوروبية المشتركة حيث انتقلت بينها أعداد ضخمة من العمال المهاجرين. وهناك أمثلة أخرى عبر التاريخ توضح أن إزالة العوائق بين مكانى الأصل والوصول قد أدى إلى تدفق أعداد كبيرة من المهاجرين. ومن ناحية أخرى فقد أدى فرض قيود بين المكانين إلى نقص حاد في حركة الهجرة.

٤ - أن الهجرة تتأثر بالتقلبات الاقتصادية إلى حد كبير: وتلك حقيقة بديهية يمكن إستنتاجها من تتبع تطور حركة الهجرة العالمية. ذلك أن الدورات الاقتصادية تؤثر في حجم الهجرة وفي إتجاه تياراتها. ففي أثناء فترات التوسع الاقتصادي تنشأ صناعات جديدة وتزايد فرص العمل أمام المهاجرين. وإن كانت أجزاء الدولة تختلف في هذا الصدد حيث لا تتوزع فيها مشروعات التنمية بالتساوى. ومن ثم فإنه في الوقت الذي تزداد فيه قدرة بعض المناطق على جذب المهاجرين تبقى مناطق أخرى راكدة نسبياً. ويزداد التناقض بين العوامل الإيجابية في منطقتي الأصل والوصول، وتصبح العوامل السلبية أكثر سوءاً. وفي فترات الكساد الإقتصادي تفشل بعض المشروعات حديثة النشأة، ويتوقف البعض الآخر عن التوسع وتصبح العوامل السلبية في مناطق الأصل أقل تأثيراً في دفع السكان للهجرة.

٥ - أنه إذا لم تفرض ضوابط صارمة للحد من الهجرة فإن حجمها ومعدلها يميلان للتزايد بمضى الزمن : وذلك لأن تزايد حجم الهجرة بمضى الزمن ينتج عن عدة أسباب أبرزها تزايد الفوارق البيئية وتقليل تأثير العوائق المتداخلة. وكما سبق القول فإن التصنيع والأخذ بأسباب الحضارة الغربية والخطط الموضوعية في كثير من الدول تزيد من التباينات الإقليمية. ومن الحقائق المعروفة في كل من الدول النامية والمتقدمة أن الفوارق بين البيئات المختلفة سواء في النواحي

الاقتصادية أو العوامل المشجعة على الجذب الهجرى تتزايد بوضوح بين الأقاليم . وعلى المستوى العالمى فإن الفوارق الاقتصادية بين الدول النامية والدول المتقدمة تتزايد بمضى الزمن - حتى الآن - ولاتتناقص . كما أنه على مستوى الدولة الواحدة فإن الفوارق بين المناطق الحضرية والمناطق الريفية تتزايد هى الأخرى .

ويرتبط بهذه الحقيقة السابقة تزايد الفوارق بين السكان ، ففى المجتمع البدائى أو المجتمعات الزراعية التقليدية يعد التخصص محدوداً ، كما أن تنمية الموارد البشرية ليس مشجعاً ، بينما التخصص فى المجتمعات الصناعية والمتقدمة يتزايد بشكل يسمح بتأهيل الأفراد المهاجرين للعمل فى المهجر بسهولة .

ويلعب التقدم التقنى دوراً هاماً فى تقليل العوائق المتداخلة المبينة حيث تصبح المواصلات سهلة وتكلفة النقل أرخص بالنسبة لمتوسط الدخل مما يساعد على تزايد حجم الهجرة . كذلك فإن من العوامل التى تزيد من الهجرة عامل الهجرة ذاتها . ذلك لأن الشخص الذى هاجر مرة وقطع أسباب اتصاله بموطنه الأصلى يكون من السهل عليه أن يهاجر مرة أخرى ، أكثر من الشخص الذى لم يسبق له أن هاجر من قبل .

ومن البديهي أن حجم الهجرة ومعدلها يتأثران بمستوى التقدم فى القطر أو المنطقة متأثراً جذرياً ، ذلك لأن الهجرة كما يقول رافنستين Ravenstein تعني الحياة والتقدم بينما الاستقرار ضرب من ضروب الركود والخمول ويرتبط ذلك بالحقيقة السابقة بطبيعة الحال . ففى الدول المتقدمة تنعكس الفوارق بين الأقاليم فى مجال التنمية الصناعية والزراعية والتعليمية بين السكان . وكذلك فإن العوائق المتداخلة فى الهجرة تقل بالتقدم التقنى والاقتصادى . وعلى ذلك فمن المتوقع أن نجد تيارات هجرة وافدة كبيرة للدول المتقدمة حيثما كان مسموحاً بها ، كما يوجد فى مثل هذه الدول حركة هجرة داخلية كبيرة ففى الولايات المتحدة يغير كل فرد من كل خمسة أفراد مكان إقامته كل عام . وتكرر هذه الظاهرة فى دول متقدمة أخرى ، أما الدول المتخلفة فتتميز بنسبة عالية من السكان المستقرين حيث يكون تغيير موطن الإقامة أمراً صعباً وغالباً ما يكون إجبارياً وجماعياً أكثر منه اختيارياً وفردياً ، وعلى

ذلك فإنه يمكن القول بأن المستوى المرتفع للتقدم يستتبع أن يكون السكان في حالة تحرك وتغير متواصلين ويستجيبون بسرعة للفرص الجديدة للعمل في الأقاليم المختلفة - كما أنهم يتأثرون بالتناقص في هذه الفرص بصورة أوضح من الدول النامية.

ونعرض في الفقرة التالية من هذا الفصل لبعض المهجرات الدولية في العالم العربي.

### ثانيا : الهجرة الدولية في منطقة العالم العربي

شهد العالم العربي تيارين للهجرة الخارجية، هجرة وافدة إلى بعض دول، وهجرة نازحة تمثلت في خروج أعداد كبيرة من بعض الدول العربية إلى الدول الأجنبية . فقد هجر اللبنانيون والسوريون بلادهم إلى الأمريكتين وغرب أفريقيا. وكان ذلك بسبب سوء الأحوال الاجتماعية في هذا الجزء من الوطن في عهد الحكم العثماني، وتعرض بعض الأقليات للإضطهاد مما جعل اللبنانيين يخرجون من بلادهم بحثا عن بلاد أخرى يعيشون فيها.

أما الهجرة الوافدة فقد حركتها الأطماع الأوروبية في بعض أجزاء الوطن العربي . وقد كانت الجزائر وبلاد المغرب عامة مطمحا للمغامرين الفرنسيين منذ أواسط القرن الماضي. وأنشأ هؤلاء الأوروبيون مستعمرات استيطانية لهم في الجزائر، ووصل عددهم إلى المليون نسمة (من عشرة ملايين يكونون سكان الجزائر كلها). كما كانت فلسطين محطا لأطماع الصهيونية العالمية منذ أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها، ومنذ أن وضعت فلسطين تحت الإنتداب البريطاني . فارتفعت نسبة اليهود إلى أهل فلسطين كلها من ١٠٪ عام ١٩١٨ إلى ٣٠٪ عام ١٩٤٨، ولاتزال هجرات اليهود تتدفق على الجزء المحتل منها حتى بلغ عددهم ٣ مليون نسمة .

وكانت نتيجة وفود الأوروبيين إلى الجزائر وشتات اليهود إلى فلسطين أن اضطر عدد من المغاربة إلى الخروج من الجزائر إلى فرنسا حيث يعملون في الأعمال الدنيا . ويبلغ عدد هؤلاء حوالي نصف مليون نسمة ، كما إضطّر أكثر من مليون عربي إلى الخروج من فلسطين والإقامة في خيام اللاجئين في البلاد المضيفة المجاورة . فتزوج

العرب من فلسطين أو الجزائر والمغرب جاء نتيجة الأحوال الاقتصادية والسياسية التي واجهتهم بها قوى تفوقهم بأسا أنت بوفود من الخارج تحتل أخصب أراضي فلسطين من ناحية والجزائر من ناحية أخرى (١).

وسوف نقدم هنا بعض نماذج من الهجرات الدولية التي تمت في بعض بلدان الوطن العربي :

#### ١ - فلسطين :

شهدت فلسطين تغيرات جوهرية في تركيب سكانها أكثر مما شهد أي قطر آخر في العالم . فلقد كانت فلسطين هدفا للاستعمار الصهيوني الذي استند إلى قوى عالمية كبرى سهلت له الهجرة إلى المنطقة . وقد أدت هذه الهجرة إلى تغيير في الأوضاع السكانية والاجتماعية لأهالي هذا البلد . وسوف نهتم هنا أولا بتحديد حجم ومراحل تيار الهجرة ، ثم توضيح تأثير هذه الهجرة على السكان .

فقد تدفقت الهجرة اليهودية على فلسطين منذ أن وضحت نوايا المنظمات الصهيونية لإقامة دولة يهودية بها . وقد تمت هذه الهجرة على مرحلتين رئيسيتين : الأولى فيما قبل إعلان قيام إسرائيل في سنة ١٩٤٨ ، والثانية بعد هذا التاريخ عندما نشطت الصهيونية العالمية في تدعيم الكيان الإسرائيلي بأعداد متزايدة من المهاجرين اليهود لتقويته وتثبيتته بشريا .

وقد تمت الهجرة اليهودية إلى فلسطين فيما قبل سنة ١٩٤٨ على مراحل متعاقبة على النحو التالي :

(أ) المرحلة الأولى . فيما بين سنتي ١٨٨٢-١٩٠٣ وقد تدفق على فلسطين أثناءها ٢٥ ألف يهودي بمساعدة جماعة محبي صهيون التي عاشت تحت رعاية البارون روتشيلد وبمعونته . وكانت غالبية اليهود الذين دخلوا فلسطين وأقاموا فيها في هذه المرحلة من روسيا القيصرية .

(ب) المرحلة الثانية : فيما بين سنتي ١٩٠٤-١٩١٣ وتمكنت خلالها جماعة

---

(١) د. محمد السيد غلاب، د. محمد صبحي عبد الحكيم، المرجع السابق، ص ٣٤٣-٣٤٤.

صهيونية تعرف بإسم الرواد من إدخال ٤٠ ألف يهودى إل فلسطين أسسوا المستعمرات الزراعية بها وتأسست خلالها مدينة تل أبيب . وكان معظم المهاجرين من روسيا القيصرية ، وقد نشطت الهجرة فى هذه المرحلة حينما نصب وايزمان نفسه زعيما للحركة الصهيونية العالمية .

(ح) المرحلة الثالثة : وقد جاءت فى أعقاب وعد بلفور سنة ١٩١٧ وتتحدد زمنياً فيما بين سنتى ١٩١٩-١٩٢٣ ، وقد هاجر خلالها ٣٥ ألف يهودى جاء معظمهم من شرق أوروبا وواصلوا إنشاء المستعمرات الزراعية كذلك .

(د) المرحلة الرابعة : وقد جاءت مع السنوات الأولى للانتداب البريطانى وتحدد فيما بين سنتى ١٩٢٣-١٩٣١ وقد شجعتها الوكالة اليهودية ووفد أثناءها ٨٢٠٠٠ مهاجر وكانت هذه المرحلة دفعة قوية لتثبيت حركة الهجرة فى فلسطين . وقد أسس اليهود خلالها قرابة مائة مستعمرة زراعية .

(هـ) المرحلة الخامسة : فيما بين سنتى ١٩٣٢ - ١٩٣٩ . وقد تأثرت هجرة اليهود خلالها بالحركة النازية فى أوروبا مما أدى إلى زيادة عدد المهاجرين اليهود ، ولذا فإنها شهدت هجرة ٢٢٥ ألف يهودى معظمهم من أوروبا بطبيعة الحال .

أما فيما بعد قيام إسرائيل سنة ١٩٤٨ ، فقد تزايد تيار الهجرة اليهودية بمعدل كبير وذلك بفضل التشجيع المستمر وإجتذاب المهارات والقدرات اليهودية المختلفة للعيش فى إسرائيل ، حتى أصبحت الهجرة بالنسبة لها صمام الأمن ومصدر القوة فى الواقع . وقد جاء فى إعلان الإستقلال أن الدولة الإسرائيلية ستفتح أبوابها لهجرة اليهود المنتشرين فى كافة أنحاء العالم . ومن أجل ذلك أصدرت إسرائيل قانون العودة فى يولية سنة ١٩٥٠ والذى يقضى بأن كل يهودى فى أية بقعة من العالم يحق له دخول إسرائيل كمهاجر .

وبين الجدول رقم (١) تطور الهجرة منذ سنة ١٩٤٨ ويبدو منه أن تيار الهجرة يتذبذب من عام لآخر كاستجابة للظروف السياسية التى تواجهها إسرائيل ، فحتى نهاية سنة ١٩٦٧ كانت إسرائيل قد استقبلت ١,٢٤٧,٠٠٠ مهاجر . ولكن فى خلال هذه الفترة (١٩٦٧-١٩٤٨) غادر إسرائيل ١٧٠,٠٠٠ مهاجر



عائد أى نسبة ١٣٪ من حجم الهجرة الوافدة . ومنذ سنة ١٩٥٣ استمر متوسط الهجرة العائدة بحوالى ٨٠٠٠ مهاجر سنوياً تركوا اسرائيل بعد هجرتهم إليها . وقد وفد المهاجرون إلى اسرائيل من الشرق والغرب ، فقد جاء معظمهم من شرق أوروبا خاصة من بولندة ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا وبلغاريا وأخيراً من الاتحاد السوفيتى ، وكذلك من الدول العربية خاصة العراق واليمن ودول المغرب العربى . ومنذ سنة ١٩٥٦ كانت الهجرة اليهودية من أمريكا وأوروبا تفوق مثيلتها الوافدة من آسيا وأفريقيا فى كل عام (باستثناء عام ١٩٦٢ و ١٩٦٣) .

## ٢ - لبنان :

تعد الهجرة الخارجة من لبنان عنصراً هاماً من العناصر الديموغرافية فى هذا البلد منذ سنة ١٨٨٠ ، وقد اتجهت إلى أفريقيا والعالم الجديد . وكانت هذه الهجرة فى البداية مدفوعة بوطأة الحكم العثمانى وضعف الموارد الاقتصادية وزيادة عدد

### جدول رقم (١)

هجرة اليهود إلى فلسطين المحتلة فى الفترة (١٩٤٨-١٩٦٧)

| السنة | العدد  | السنة | العدد |
|-------|--------|-------|-------|
| ١٩٤٨  | ١٠٨٢٤  | ١٩٥٨  | ٢٦٠٩٣ |
| ١٩٤٩  | ٢٣٩٤٢٤ | ١٩٥٩  | ٢٣٠٤٥ |
| ١٩٥٠  | ١٦٩٧٢٠ | ١٩٦٠  | ٢٣٦٤٤ |
| ١٩٥١  | ١٧٤٠١٤ | ١٩٦١  | ٤٦٦٥٠ |
| ١٩٥٢  | ٢٣٤٠٨  | ١٩٦٢  | ٥٩٦٠٠ |
| ١٩٥٣  | ١٠٣٨٨  | ١٩٦٣  | ٦٢١٥٦ |
| ١٩٥٤  | ١٧٤٨٥  | ١٩٦٤  | ٥٢٤٥٦ |
| ١٩٥٥  | ٣٦٣٢٧  | ١٩٦٥  | ٢٨٧٩٥ |
| ١٩٥٦  | ٥٤٩٩٦  | ١٩٦٦  | ١٣٦١٠ |
| ١٩٥٧  | ٧١١٠٠  | ١٩٦٧  | ١٢٣٧٥ |

السكان. ومن الصعب تقدير عدد المهاجرين النازحين وذلك لعدم توفر البيانات ، وإن كانت صورة الهجرة يمكن الحكم عليها من واقع الأرقام التي تنشرها الدول المستقبلية. فبينما لم يكن بالولايات المتحدة سنة ١٨٦٩ سوى إثنان فقط من السوريين (كان هذا التعبير يطلق على كل من مهاجري سوريا ولبنان). فقد تزايد هذا العدد ليصل إلى ٣٧٠٨ مهاجر في السنة سنة ١٨٩٩. ويقدر أن ١٢٠,٠٠٠ «سوري» قد هاجر على إمتداد الفترة بين ١٨٦٥-١٩٠٤ بمتوسط سنوي قدره ٣٠٠٠ مهاجر. ومن المرجح أن غالبيتهم من اللبنانيين في ضوء نسب الهجرة فيما بعد التي توضح أن نسبة الهجرة من لبنان تفوق مثلتها من سوريا. وكما هي الحال في هجرة باقى الجنسيات إلى الولايات المتحدة التي وصلت ذروتها في السنوات السابقة على سنة ١٩١٣ فقد زادت هجرة اللبنانيين إليها حتى وصلت ٩٢١٠ في تلك السنة كما كان هناك ٤٦٠٠٣ (سوري) في البرازيل في الفترة من ١٩٠٤-١٩١٣، كما توضح الأرقام التالية:

المتوسط السنوي لهجرة اللبنانيين إلى العالم الجديد

| الولايات المتحدة |      | البرازيل  |      |
|------------------|------|-----------|------|
| ١٨٨٠-١٧٨١        | ٦٧   | ١٨٩٣-١٨٨٤ | ٩٦   |
| ١٨٩٠-١٨٨٠        | ٢٢٢٠ | ١٩٠٣-١٨٩٤ | ٧٢١٤ |

وفي خلال نفس الفترة بدأ غرب أفريقيا يجذب المهاجرين (السوريين) وإن كان معظمهم وفد لفترة مؤقتة. وكانت أعدادهم قليلة نسبياً قدرت بنحو ٤٠٠٠ مهاجر في الفترة من ١٩١٤-١٩١٨. ويقدر أن ٢٢٥,٠٠٠ (سوري) قد هاجروا للخارج بمتوسط قدره ١٥,٠٠٠ مهاجر سنوياً في الفترة من ١٩١٤-١٩٠٠. ولكن الهجرة اللبنانية إنخفضت بشكل واضح بعد سنة ١٩١٩ (جدول رقم ٢) حتى وصل متوسطها السنوي إلى ٤٢٠٠ مهاجر خلال الفترة من ١٩٢١-١٩٣٩ وذلك لظهور لبنان كدولة مما أدى إلى إنكماش تيار الهجرة الخارجية. وعموماً فإنه بعد حرب سنة ١٩٣٩-١٩٤٥ بدأت الهجرة بأعداد أكبر

ثم ما لبثت أن هبطت بعد ذلك لتصل إلى قرابة ٣٠٠٠ مهاجر سنوياً في الوقت الحاضر.

وقد أصبح كثير من اللبنانيين في المهجر عاملين في الصناعات المختلفة مثل صناعات السيارات في دترويت. كما كانت التجارة الحرفة الرئيسية لهم في غرب أفريقيا. ومن المرجح أن قمة الهجرة اللبنانية نحو أفريقيا حدثت قبيل الحرب العالمية الثانية. وفي سنة ١٩٣٩ كان هناك قرابة ١١٠٠٠ لبناني في أفريقيا المدارية خاصة في الدول الآتية:

|                       |                     |                  |
|-----------------------|---------------------|------------------|
| المستعمرات البريطانية | المستعمرات الفرنسية | غينيا البرتغالية |
| سيراليون ١,٠٠٠        | السنغال ٤,٤٠٠       | ٤٠٠              |
| ساحل الذهب ١,٠٠٠      | غينيا ١,٦٠٠         |                  |
| نيجيريا ٧٠٠           | ساحل العاج ٧٠٠      |                  |
| غامبيا ٣٥٠            | داهومي ٤٠           |                  |

### ٣ - الكويت والمملكة السعودية ودول الخليج العربي

شهدت هذه الدول تدفقاً كبيراً للأيدي العاملة بسبب الاحتياج إلى هذه القوى البشرية في الأعمال الخاصة بالبتروول وغيرها. ويتضح ذلك مثلاً إذا نظرنا إلى حجم المهاجرين إلى الكويت بالنسبة لعدد سكانها فالمهاجرين إلى الكويت يمثلون ٥٣٪ من مجموع سكانه البالغ عددهم ٤٦٧٠٠٠ نسمة سنة ١٩٦٥، ويكون الفلسطينيون والأردنيون النسبة العالية من هؤلاء المهاجرين (٢٧٪) ويليهم العراقيون (١٧٪) ثم السوريون (٩٪) واللبنانيون (٦٪) والمصريون (٥٪) والهنود (٣٪) والباكستانيون (٣٪) والإيرانيون (٣٪).

وقد قدر عدد العمال الأجانب بالمملكة العربية السعودية قرابة ٤٠٠,٠٠٠ نسمة سنة ١٩٦٩/١٩٧٠ معظمهم من الدول العربية خاصة من اليمن الشمالية واليمن الجنوبية حيث يعملون في البناء والتشييد وإنشاء الطرق وفي الشحن والتفريغ في الموانئ. ويعمل المدربون من المهاجرين في المهن المتقدمة كالتدريس والطب والهندسة وغيرها.

جدول رقم (٢) توزيع المهاجرين اللبنانيين في أهم  
المهاجر في سنوات مختارة

| السنة | الولايات المتحدة | البرازيل | الأرجنتين | أورجواي | أفريقيا<br>البريطانية | السنگال | دول<br>أخرى | الجملة |
|-------|------------------|----------|-----------|---------|-----------------------|---------|-------------|--------|
| ١٩٢٣  | ٧٧٨              | ٢,٣٢٧    | ١,٨٤٤     | ١٠٠     | ٢٧                    | ٦٦٤     | ٢,٨٧٤       | ٨,٦١٤  |
| ١٩٢٨  | ٣٤١              | ١,٧٩٧    | ٨٣٨       | ١١٥٨    | ٢٨٣                   | ٢٦٨     | ١,٤١٣       | ٤,٩٩٨  |
| ١٩٣٣  | ١٣٥              | ٤٤٣      | ١٢٧       | ١٩      | ٢١٢                   | ٢٠١     | ٣٧٩         | ١,٥١٦  |
| ١٩٣٨  | ٦١               | ١٣٩      | ١٤٥       | ١١      | ٢٢٩                   | ٤٢٦     | ٤١٨         | ١,٤١٩  |
| ١٩٥١  | -                | -        | -         | -       | -                     | -       | -           | ٤,٠٧٧  |
| ١٩٥٣  | -                | -        | -         | -       | -                     | -       | -           | ٣,٣١٥  |
| ١٩٥٩  | -                | -        | -         | -       | -                     | -       | -           | ١,٤٣٤  |

أما البحرين فكان لصغر حجمها وقلة إنتاج البترول بها أثر هام في تحديد حجم الهجرة الوافدة إليها. وقد بلغ عدد المهاجرين ٣٧٨٨٥ نسمة لسنة ١٩٧١ بنسبة وصلت إلى ١٧,٥٪ من جملة السكان البالغ عددهم ٢١٦٠٧٨ نسمة في تلك السنة. ويأتى العمانيون في مقدمة المهاجرين من حيث العدد حيث بلغت نسبتهم ٢٨,٥٪ من جملة المهاجرين ويليهم الهنود ١٧,٦٪ والباكستانيون ١٤,٢٪ والإيرانيون ١٣,٥٪ ثم اليمينيون ٤,١٪ والنسبة الباقية موزعة بين جنسيات أخرى.

ولا تختلف الهجرة إلى قطر عن سواها من دول الخليج الأخرى ويعمل المهاجرون بها في الحرف اليدوية والفنية. ويكون الإيرانيون والعمانيون النسبة الكبيرة من المهاجرين ويعملون في حرف التشييد والخدمات الأخرى بصفة خاصة.

والملاحظ على الهجرة الوافدة لدول البترول في منطقة الخليج أنها هجرات معظمها مؤقتة وليست هجرة دائمة حيث يفد العدد الكبير من المهاجرين لفترات محددة المدة تجذبهم الأجور العالية ثم مايلبثوا أن يغادروا هذه البلاد بعدها وهم بذلك مهاجرون مؤقتون أو عمال أهداف Target Workers كما هي الحال في هجرة العمالة من شرق أفريقيا (١)،

#### ٤ - السودان :

رغم أن السودان قليل السكان، مفتقر إليهم للنهوض بحالته الاقتصادية واستغلال ثرواته الدفينة، إلا أنه قطر مغلق أمام الهجرة. وقد وضعت الإدارة السودانية تعريفا معينا للسودانى عندما حصل السودان على استقلاله أنه الشخص الذى ولد لأبوين كانا فى السودان قبل إعادة الفتح سنة ١٨٩٩. وقد وجد فى السودان عند اجراء التعداد ٢٠٧,٠٠٠ أجنبى كما وجد ٥٣٠٠٠ أجنبى يزعم أنه سودانى (منهم ٣٣٠٠٠ شخص بدون وجه حق) ومعنى هذا أنه دخل السودان

(١) فتحى ابو عيانة، المرجع السابق، ص ص ٢٠٦ - ٣٠٧.

٢٣٧ ألف شخص خلال الأعوام الست والخمسين السابقة للتعداد (فترة الحكم الثنائي).

والحق أن موضوع الهجرة إلى السودان يستحق مزيداً من الدراسة، إذ أن وزارة الخارجية لم تنشر حتى الآن إحصاءات عن الوافدين إلى السودان أو النازحين منه، كما أن جزءاً كبيراً من سكان المدن الكبرى وسكان المدن النيلية بين الخرطوم وحلفا يرجعون في أصولهم إلى مصر. وهناك عدد من الحضارة واليمنيين استقروا في شرق السودان، وإن الزائر لمدينة دنقلا مثلاً ليلاحظ أن الدماء المصرية التركية السابقة للمهدية قد أعطت للمدينة لونا يختلف عن بقية مدن السودان.

وعندما تأسس مشروع الجزيرة في الثلاثينات، لم تجد الإدارة بدءاً من فتح مجال الهجرة والعمل أمام الوافدين من الغرب، من نيجيريا والسودان الفرنسي (السابق) والنطاق السوداني الكبير غربى الحدود. وهؤلاء في مجموعهم يعرفون بالفلاتا وقد استقر هؤلاء في أرض الجزيرة، كما استقروا في القضارف ومديرية كسلا (مشروع القاش) أى في نطاق القطن والذرة. ويقدرهم التعداد بنحو ٤٥٦ ألف شخص، منهم ٥٣ ألفاً وفدوا في عهد الحكم الثنائي. والغربيون هؤلاء قوم يتبعون طريق الحج القديم، يعبرون الحدود الطويلة غير الطبيعية التى تفصل جمهورية السودان عن بقية النطاق السوداني الكبير، ويعملون وهم في الطريق، ويستمرون في السير شرقاً حتى يحطوا رحالهم في أرض الجزيرة أو في القضارف أو في كسلا. وقل منهم من يكمل رحلته عبر البحر إلى الأراضي المقدسة. وهم زراع دؤوبون على العمل، ويتمتعون بجلد وقوة احتمال وصبر ملحوظ.

ويقدر التعداد أن هناك ٤٦٠ ألف شخص دخلوا السودان ولا ينتمون إلى إحدى القبائل السودانية القديمة. ومعنى هذا أن معدل الهجرة إلى السودان هو ١٠,٠٠٠ شخص سنوياً. هذا إلى أن هناك حركة نزوح من السودان، من المديرية الشمالية (النوبة) إلى مصر، ومن المديرية الاستوائية (الزاندى) إلى الكونغو. ويعبر أفراد من بعض قبائل جنوب السودان الحدود سنوياً إلى أوغنده وكينيا. وهناك حركة هجرة داخلية محدودة في السودان، ومثل هذه الحركات هي

الكفيلة بإحداث اختلاط وامتزاج بين القبائل بعضها وبعض، وصهر السودان في بوتقة واحدة. وأكثر جهات السودان اجتذاباً للسكان في الوقت الحاضر هي منطقة أرض الجزيرة، حيث الزراعة بالرى (مدنى) وحيث الزراعة بواسطة الطلمبات (كوستى) ومنطقة كسلا. وأكثر الجهات طرداً للسودان هي اقليم النوبة. والملاحظ في السودان أن أكثر الجماعات انتشاراً فيه هي الجماعات القادمة من الغرب، والتي استقرت في دارفور وزعمت لنفسها الجنسية السودانية اذ يتتشر ٤٨٢,٠٠٠ شخص منهم في السودان الأوسط ما بين كردفان وكسلا (منهم ١٤٤ ألفاً في كردفان، ٢١٢ ألفاً في النيل الأزرق، ٩٨ ألفاً في كسلا) هذا إلى جانب ١١٩ ألف عربى في دارفور نفسها. وبلى هؤلاء في العدد، وإن كانوا يفوقونهم في القوة والنفوذ بمراحل عديدة، النوبيون فهناك ٧٣ ألف نوبى في مديرية الخرطوم حيث يحتلون مراكز مرموقة في الإدارة، و ٣١ ألف نوبى أيضاً في كردفان. ولا يزال هناك نحو ٣ - ٤٪ من العرب في مركز الرنك، يمثلون آخر حلقة في الهجرة العربية التقليدية نحو الجنوب، قبل أن تقفل الإدارة البريطانية الجنوب أمام الشماليين (١).

#### ٥ - دول المغرب العربى :

أدى استيطان الاستعمار في دول المغرب العربى - كما سبق وأشرنا - إلى اللجوء الى الدول الغربية، وخاصة فرنسا التى فتحت أبوابها للعمال الأجانب الذين يقومون بالأعمال الشاقة مثل العمل فى المناجم، وفى مصانع صهر الحديد وأعمال النقل والشحن والتفريغ فى الموانى، وما إليها من أعمال لا تحتاج الى مهارة. وقد هاجر الشباب المغربى الذى وجد نفسه فى بيئة غريبة فى لسانها وتقاليدها ووجد نفسه لا يستطيع أن يعمل إلا فى أحقر الأعمال.

وقد بدأت الهجرة نحو فرنسا عام ١٩١٦، ونزح عدد من القبائل الكبرى والقبائل الصغرى، ثم من قسنطينة منذ عام ١٩٤٥. ويقدر عدد هؤلاء المهاجرين بنحو ٣٢٠,٠٠٠ شخص، منهم ٣٠٠٠ تونسى، وما بين ٨ إلى ١٥ ألف مراکشى

---

(١) د. محمد السيد غلاب ود. صبحى عبد الحكيم، المرجع السابق، ص ٣٩٤-٣٩٦.

٣٠٠,٠٠٠ جزائري . ويوجد في فرنسا ٢٨٠,٠٠٠ جزائري بالغ، وهناك جزائري من كل سبعة في سن العمل - يعملون في فرنسا .

وقد ت مصاد ر الهجرة المغربية، فكانت كالآتي ١,٥٢٪ من المهاجرين الجزائريين جاءوا إلى فرنسا من قسنطينة، ٥,٣٤٪ منهم من الجزائر، و ٨,١٠٪ من وهران، و ٤,٢٪ منهم من الجنوب، كما وجد أن ٥٠٪ من المهاجرين شبان ما بين ٢٠-٣٩ سنة، ونصفهم ما بين ٢٠-٣٤ سنة، وهم جميعا بلا مؤهلات ٨٠٪ منهم يعملون، ١,١٪ متعطلون، ١٤٪ يطلبون عملا . وقد ر عدد المهاجرين خلال السنوات الثلاث ما بين ١٩٥٥، ١٩٥٨ بنحو ١٤٥,٠٠٠، ثم بلغ عددهم ٢٥٥,٠٠٠ في الفترة ما بين ١٩٥٣، ١٩٥٥، وبلغ هذا العدد ٣٠١,٠٠٠ في سنة ١٩٥٤ وحدها .

وهذه الهجرات غير دائمة، إذ لا يملك المهاجر المغربي أكثر من شهر أو شهرين أو ستة أشهر حتى يعود . وهو لا يهاجر إلا تحت ضغط الفاقة وسوء الحالة الاقتصادية وهبوط المحاصيل . وهو حريص على أن يعود إلى وطنه وقت جمع محصول الزيتون وفي وقت الحصاد .

وإن اضطرار ثلث مليون شاب إلى الهجرة من المغرب لدليل على مدى البؤس الذي وجدوا أنفسهم فيه بعد قرن ونصف من الاستعمار الفرنسي . والدليل على ذلك أن أرض الجزائر لم تكن تشمل المهاجرين الفرنسيين الذين أراحوا فعلا الفلاحين من قسم كبير من أراضيهم . فمساحة الأرض الصالحة للزراعة ١٢,٧٠٠,٠٠٠ هكتار، يزرع منها ٧ مليون هكتار، أي بمتوسط قدره ٧٣,٠ من الهكتار للشخص الواحد، فما بالنا إذا علمنا أن هناك ٢٥٥٠٠ مستعمر أوربي يشتغل في الأرض مقابل ٥٣١,٥٦٠ فلاحا جزائريا، وأن هؤلاء المستعمرين يمتلكون كما ذكرنا حوالي نصف مساحة الأرض المزروعة قمحا من ٢,١٠٠,٠٠٠ هكتار عام ١٨٧٠ إلى ٣,٤٠٠,٠٠٠ عام ١٩٤٠، فإن مساحة الأرض التي كان يزرعها الجزائريون انخفضت من ٢ مليون هكتار عام ١٨٧٠ إلى ١,٨٠٠,٠٠٠ هكتار عام ١٩٥٣، وأن ٧٠٪ من مزارع الجزائريين أصغر من أن تقيم حياة أسرة .



وينمو الجزائريون بإطراد ، فقد زاد عددهم نحو ٧٢٪ من عام ١٩١١ إلى ١٩٥٣ ولم يزد محصول القمح إلا بنحو ١٢٪ ، ومحصول البقول ١٥٪ والزيت ١٥٪ واللحوم ٢٥٪ إلا أن الجزائر لم تستفد بعد من مصادرها ولم تبدأ الصناعة فيها حتى الآن بخطوات واسعة إذ أنها صمام الأمن الوحيد أمام تكاثر السكان . والغريب أن الجالية الفرنسية - التي استحوذت على معظم الأراضي الزراعية - كانت تعارض أى سياسة للتصنيع ، ليظل الاقتصاد الجزائرى تابعاً لفرنسا ، ولارتباط رؤوس الأموال الفرنسية فى فرنسا بمزارع الكروم والزيتون الواسعة فى المغرب عموماً والجزائر خاصة . فالجزائر إذن قطر من الأقطار النامية أكثر منه قطراً مزدهماً بالسكان . وتدل البشائر على بدء نزوح عدد من المستوطنين الفرنسيين من الجزائر وعودتهم إلى فرنسا ، وإن المستقبل وحده لكفيل بأن يعيد لسكان الجزائر المستقلة الفتية رفايتهم السابقة خاصة بفضل عائدات البترول والغاز الطبيعى الوفيرة . (١)

\*\*\*

---

(١) د. محمد صبحى عبد الحكيم ، المرجع السابق ، ص ص ٤٣٨ - ٤٣٩ .



## الفصل الثالث عشر

### تكيف المهاجرين

يعتبر موضوع تكيف المهاجرين في الموطن الجديد من أهم الموضوعات التي يهتم بها دارسو الهجرة، وخاصة إذا كانوا من المتخصصين في دراسة الاجتماع. ويرجع ذلك إلى أن كلا من التكيف أو سوء التكيف يمكن أن يكون له آثار بعيدة المدى على عملية الهجرة نفسها، وعلى المهاجرين، وعلى سكان المناطق التي تفتح أبوابها لإستقبال المهاجرين. فتحقيق درجة عالية من التكيف يؤدي إلى إحساس المهاجرين بالعائد النفسى والاجتماعى الذى كانوا ينتظرونه من الهجرة، بجانب أنه يمكن أن يؤدي إلى أن يشجع هؤلاء المهاجرون ذويهم على الهجرة أيضاً. ويؤدي هذا التكيف أيضاً إلى أن يعمل المهاجرون بكفاءة عالية مما يؤثر في تنمية المنطقة التي يعيشون فيها، ويحقق لهم مستوى معيشياً أفضل. وعلى العكس من ذلك يؤدي سوء التكيف إلى مشكلات ذات أثر واضح على قدرة الجماعة المهاجرة على العمل، بل وعلى الإستمرار في المنطقة أيضاً. ويعيش المهاجرون غير المتكيفين مشكلات اجتماعية واقتصادية ونفسية تؤدي بالبعض إلى التفكير في العودة إلى الموطن الأصلي، أو الهجرة إلى مكان آخر، أو البقاء في نفس المكان مع قبول سوء التكيف وما يترتب عليه من أنماط التباعد والتجنب كواقع لا بد من قبوله.

وترجع مشكلات التكيف إلى وجود إختلافات أساسية بين الجماعة المهاجرة وبين من يعيشون في المنطقة المهاجر إليها. إختلافات دينية أو قومية أو ثقافية أو حتى مادية. وتتفاقم هذه المشكلات حينما تتعلق الإختلافات بالجوانب الأساسية في الحياة. وحينما لا توجد حلول يقبلها الفريقان للمشكلات القائمة.

ونظراً لتباين مجال الإختلاف بين هذه الجماعات فإن هناك أنماطاً متعددة للتكيف، والتكيف في جانب من جوانب الحياة لا يعنى التكيف في بقية الجوانب. ولهذا فإن مشكلات التكيف قد تكون مشكلات ثقافية أو دينية أو اقتصادية..

الخ . ويلاحظ أن مشكلات التكيف تكون حادة في حالة الهجرة الخارجية بالمقارنة بالهجرة الداخلية نظراً لتوقع وجود اختلافات كبيرة وأساسية بين سكان مواطني الدول المختلفة أكثر مما يتوقع ذلك بين سكان قطاعات مختلفة داخل الدولة الواحدة (١).

وتنقسم المشكلات التي يهتم بها الدارس لموضوع التكيف إلى مشكلات اجتماعية تتعلق بالجماعات المهاجرة ككل ، ومشكلات فردية تتعلق بالفرد المهاجر نفسه ، وبقدرته على التكيف مع البيئة الجديدة وذلك بسبب إفتراض وجود فروق فردية بين المهاجرين تؤدي إلى تفاوت قدرات المهاجرين على التكيف . على أن المشكلات الاجتماعية والفردية الخاصة بالتكيف لا يمكن دراستها دراسة منفصلة عن بعضها ، وذلك بسبب وجود علاقة قوية بينهما . فوجود فروق أساسية بين الجماعات المهاجرة وبين الجماعة الأصلية يمكن أن يؤدي إلى مشكلات اجتماعية يتردد صداها بالنسبة للفرد نفسه بحيث تعوق تكيفه . كما أن المشكلات الاجتماعية التي تعاني منها الجماعات المهاجرة مثل ألوان التعصب العنصري والديني والقومي وما يترتب عليها من إبعاد لأفراد الجماعة المهاجرة عن بعض مجالات النشاط الاجتماعي ، تؤدي أحياناً إلى مشكلات نفسية بالنسبة للمهاجر الفرد . فيتفاوت الأفراد في مدى تأثرهم بالموقف الاجتماعي الذي يعيشون فيه . وبالتالي في مدى إصابتهم بحالة سوء التكيف التي تؤدي إلى الأزمات النفسية .

وسوف نهتم هنا في مناقشتنا لموضوع التكيف في حالة الهجرة الخارجية بقدرة الإنسان على التكيف ، وبمجالات التكيف ، مع تقديم أمثلة لجماعات حققت قدراً من التكيف وأخرى لم تتمكن من تحقيق التكيف وذلك للوقوف على ديناميات وظروف هذه العملية الهامة .

---

(١) أشرنا في موضوع الهجرة الداخلية (الذي سنتناوله تفصيلاً في موضع لاحق من هذا الكتاب) إلى إحتمال وجود إختلافات أساسية بين سكان الدولة الواحدة حينها يكون التركيب السكاني - وخاصة من الناحية السكانية - غير متجانس .

## أولاً : الإنسان والتكيف :

ركزت بعض الدراسات على المهاجر، ونظرت إليه على أنه إنسان يواجه مواقف اجتماعية يصعب عليه التكيف لها، ولهذا فهو يعيش كإنسان هامشي . فقد تكلم علماء الاجتماع مثلاً عن الجيل الثاني للمهاجرين كجماعة هامشية . وإستخدموا إرتفاع نسبة الجريمة وتفكك الأسرة وكثيراً من المؤشرات التي وضعها توماس W. I. Thomas وزنانيكي F. Znaniecki لقياس هامشية هذه الجماعة . وقد وصف جولدبرج المهاجر بأنه نموذج للإنسان الهامشي ، إذ أنه يجبر على التكيف للمجتمع الجديد ، غير أن هذا التكيف يكون من الصعوبة بحيث لا يمكنه أن ينظم نفسه داخلياً لقبول تحديد دوره في المجتمع الجديد <sup>(1)</sup> .

وقد تناول الكتاب ظاهرة إرتباط اليهودى بحى الجيتو كمثال لعدم قدرة وعدم رغبة الإنسان المهاجر فى الإنصهار فى المجتمع الذى يهاجر إليه ، يرى بارك Park أن اليهود لم ينصهروا أبداً فى الجماعات الأمريكية . فهم يحافظون دائماً على تقاليدهم اليهودية ، وعلى إستقلالهم الثقافى ، إن لم يكن السياسى <sup>(2)</sup> . واليهودى لا يستطيع أن يترك حى اليهود لأن رفاقه اليهود سيهجرونه وسيصبح شخصاً لعينا مرتداً . فعلاقة أى يهودى مع المجتمع المحلى الكبير كانت ومازالت - إلى حد معين - علاقة تبادل منفعة أكثر منها علاقة اجتماعية . فاليهودى عندما يحاول الخروج من عزلته وتحطيم أسوار حى اليهود للمشاركة فى الحياة الثقافية للشعب الذى بينه يظهر لنا نمطاً جديداً من الشخصية : شخصية الفرد المزدوج الثقافة ، الذى وصفه بارك بأنه الشخص الذى يحيا ويشارك عن قرب فى الحياة الثقافية والتقاليد الخاصة بشعبين متميزين ، وهو لا يقبل أن يقطع صلته بأحدهما تماماً . وبأن الشخص

---

(1) Aaron Antonovsky., Toward a Refinement of the Marginal Man Concept., Social Forces.,

Vol. 35. Vol. 1. P. 58

(2) Robert E. Park., Human Migration and the Marginal Man., American Journal of Sociology.,

33. May 1926, pp. 891-2

الذى يبحث عن مكانه فيه ولكن يعوقه عن ذلك ماضيه وتقاليدته وعدم قبوله في المجتمع الكبير ولهذا فهو يعيش على هامش الثقافتين والمجتمعين إنسانا غير متكيف.

وترجع أسباب سوء التكيف في مثل هذه الأحوال إلى تأثير انتمايات الفرد إلى جماعات مختلفة، وخاصة ما يعرف بالجماعة المرجعية Reference group<sup>(١)</sup> التي يمكن أن تختلف في قيمها ومعاييرها عن قيم ومعايير الجماعة التي يكون الإنسان عضواً فيها قسراً أو التي وجد نفسه منتمياً إليها دون اختياره. فالمعاناة وسوء التكيف الذي يحدث للمهاجر كثيراً ما يحدث نتيجة اختلاف معايير الجماعة العضوية عن معايير الجماعة المرجعية التي يستخدمها الفرد كإطار مرجعي في تقييم نفسه أو تقييم الآخرين.

وقد أشار الكتاب إلى أن المهاجرين عندما يوضعون تحت ضغوط عصبية وعاطفية نتيجة لتعرضهم للمواقف السابقة، وعندما يتعرضون للصراع الثقافي فإن نسبة الأمراض الشخصية والاجتماعية بينهم ترتفع، فتحدث الجريمة والانحراف والجنون. ويمكن أن يصاب المهاجر أيضاً بازواج الشخصية، وازدواج الوعي، وازدواج الاتجاهات والمشاعر، كما يمكن أن يصبح مزدوج الولاء، أو يتميز بالعبوس وتقلب المزاج، كما يمكن أن يصاب بالحساسية المفرطة. والشعور بالدونية والميل إلى اتجاهات رجعية. كذلك تتولد لديه خبرة في ملاحظة مخالقات ورياء أصحاب الثقافة الأساسية، ويمكن أن يتعالى على من هم أقل منه كما يمكن أن يكتسب بعض الأفراد في مثل هذه المواقف صفات خاصة مثل إزدياد النشاط

---

(١) اختلف العلماء في تحديد مفهوم الجماعة المرجعية، فقد عرفها البعض بأنها الجماعة التي تحقق إشباعاً لدوافع الفرد وميوله، ولهذا يحاول أن يستدمج قيمها ومعاييرها ويكون لديه طموح فيما يتعلق بالتوحد معها والانتفاء إليها. أنظر:

Muzafar Sherif, Reference Groups, Harper and Row, New York, Evanston and London,

1964., p. 54.

العقلى ، وقوة الملاحظة ، علاوة على أن يكون غالبا مجرد مقلد ، بجانب أن توحده يكون ظاهريا (١) .

وأمام هذه الآراء والدراسات التى حاولت أن تسجل عدم قدرة جماعات مهاجرة على التكيف فى المجتمعات التى هاجرت إليها ، والتى حاولت تصوير الإنسان المهاجر على أنه إنسان يعانى من الصراع فان هناك من الدراسات ما سجل نجاح كثير من المهاجرين فى التكيف مع البيئة الجديدة ، وبالتالي تحقيق النجاح فى الحياة الاجتماعية . وقد أثبتت هذه الدراسات - سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة - قدرة الإنسان المهاجر على التكيف للظروف الثقافية والاجتماعية - وحتى الظروف المناخية - المتباينة . وأثبتت أنه إذا كان الاختلاف والتباين يمكن أن يؤدى إلى الشقاق والتفكك ، إلا أن الاختلاف يمكن أن يؤدى أيضا إلى التكامل . وحتى فى الحالات التى يحدث فيها صراع فليس من اللازم أن يؤدى الصراع إلى الأزمات النفسية وإلى الانحراف والجنون وما إلى ذلك . فالإنسان قابل للتكيف اجتماعيا وسيكولوجيا وفسيولوجيا لكثير من الظروف المختلفة . ويؤدى التدريب والتنشئة الاجتماعية والتعليم إلى تيسير عملية التكيف لظروف مختلفة . وقد ألفت مقالة جيلين Gillin بعض الضوء على استجابة الإنسان القوية للتكيف ، وأن هذا التكيف يتم عند معظم الأفراد بصورة معقدة دون أن يحطم التوازن العقلى والعاطفى للفرد (٢) .

وبناء على ذلك يمكن القول أنه ليس من الضرورى أن يؤدى تعدد الولاءات إلى الصراع وعدم التنظيم . أما الشك الذى يعيش فيه أكثر الشباب اليهودى فى أمريكا مثلا فيمكن أن يعود إلى أن الفرد ليس يهوديا فقط ولكنه أمريكى أيضا . ويقول برانديز Barandis أن الولاء المزدوج الذى يقود الى الغموض والالتباس هو ولاء

---

(1) Dickie - Clark., The Marginal Situation., Routledge and Kegan Paul, London., 1966. pp. 8-9.

(2) John P. Gilin., Custom Range of Human Response., character and personality., 13 (Dec. 1944)., pp. 100 - 104.

لا عيب فيه من الناحية الاجتماعية، ويتضح ذلك بالذات في الولايات المتحدة الأمريكية التي يعيش فيها كثير من الجماعات والأقليات مثل اليابانيين والبولنديين والألمان والسويديين. الخ. كما أضاف بأن كل من هؤلاء ينتمى بولائه الى عدد من الجماعات المتداخلة مثل الأسرة وغيرها، ينتمى بولائه إلى كل من هذه الجماعات ولكن دون أن يقع في حالة الصراع والقلق الدائم<sup>(١)</sup>.

والواقع أن هناك بعض الجماعات المهاجرة التي نجحت في تحقيق التكيف، ومنها من لم يستطع بلوغ هذا الهدف. وأكثر من ذلك أنه في الهجرة الواحدة يمكن أن نجد المتكيفين، وأن نجد أيضاً من يعانون من سوء التكيف. ولعل اليهود في إسرائيل يمكن أن يعدوا مثالا جيداً للجماعة المهاجرة (هجرة إجبارية) التي حقق الكثير من أعضائها تكيفاً كبيراً بينما لم يستطع بقية الأعضاء تحقيق ذلك فعادوا إلى أوطانهم بعد سنوات طويلة.

وقد بدأ سبى بابل عندما أغار نبوخذ نصر ملك بابل على اليهود في أورشليم واستولى عليها عام ٥٨٩ ق.م. وأسر شعبها وسباهم إلى بابل، فأصبح السبطان الباقيان من أسباط اليهود وهما سبط يهوذا وبنامين عبيداً للبابليين. وبذلك سقط اليهود كلهم تحت نير العبودية فإندثرت أمتهم وزالت دولتهم.

وكان هدف الآشوريين والبابليين من إجلاء الشعوب التي يغزونها من أوطانها الأصلية إلى آشور وبابل، هو إستخدام أبنائها عبيداً، وتسخيرهم فيما يفرض عليهم من الأعمال الوضيعة والشاقة إذلالاً لهم وإنتفاعاً بهم. كما كان هدفهم من الناحية الأخرى تشتيت أبناء هذه الشعوب لتفتيت قوتهم وقتل الروح الوطنية منهم، وانتزاع العصبية الدينية منهم بحيث تنعدم أمامهم كل فرصة. وينتفى لديهم كل دافع إلى الثورة أو التمرد والعصيان. وقد كان هذا ما حدث بالنسبة لليهود، إذ لم يلبثوا أن أصبحوا - على الرغم من كبريائهم وصلفهم - خدماً للآشوريين والبابليين. وقد تشتتوا في مختلف المدن والقرى والأودية والضياع المنتشرة فيما بين نهري دجلة والفرات وما حولهما.

(1) David I. Golonevsky., op-. cit., p. 339.



وقد اختلط اليهود المسييون بهذه الشعوب وعاشوا بينهم ، وتزوجوا منهم . أما بنوا إسرائيل الذين بقوا في السامرة فقد اختلطوا بالشعوب الوثنية التي جاء بها ملك آشور لتقيم في السامرة بدل اليهود الذين سباهم . وقد تزوجوا من نساء تلك الشعوب وعبدوا آلهتها .

والظاهرة التي تهمنا في هذا المجال هي أنه عندما سمح لليهود بالعودة إلى بلادهم ، لم يقبل العودة إلا عدد يبلغ إثنين وأربعين وثلاثمائة وستين شخصاً . في حين كان عدد اليهود في آخر تعداد أجراه الملك داود هو مليون وخمسمائة وسبعون ألف رجل . ولم يدخل في هذا العدد النساء والأطفال والشيخوخ . وبهذا يكون العدد الأجمالي لليهود في ذلك الحين حوالي ثلاثة ملايين . أى أن الذين قبلوا العودة من أسربابل وآشور إلى فلسطين لا يزيد عن حوالي واحد ونصف في المائة من عدد الذين رفضوا العودة لأنهم استقروا في البلاد التي فيها زوجاتهم . وحتى الذين عادوا إلى فلسطين استمروا يتزوجون من بنات الشعوب الوثنية . (١)

هذه الفئة التي قررت البقاء في بابل تعتبر فئة أكثر تكيفاً من النسبة القليلة من اليهود التي قررت العودة إلى فلسطين . فقد حققت الجماعة التي استمرت تكيفاً اجتماعياً وتكاملاً مع هذا المجتمع ، إذ وصلوا إلى مراكز عالية ، وامتلكوا البيوت ، وكان لهم خدم ومنازل واشتغلوا بالتجارة . معنى هذا أنهم حققوا تكيفاً اجتماعياً ونجاحاً اقتصادياً ارتبط بوجودهم في هذا المكان . وفي هذه الحالة لا يمكن أن تكون هذه الجماعة في معيشتها في مكان السبي قد عانت من الأزمات النفسية ومن الصراع وغير ذلك مما ذكره الكتاب عن سمات الإنسان المهاجر إلى وطن جديد . لأنه لو كان الأمر كذلك لعاد كل هؤلاء الى وطنهم الأصلي مع بقية اليهود .

ويؤكد لنا هذا المثال - وأمثلة أخرى كثيرة - أن للإنسان قابلية وقدرة على التكيف للأوضاع الجديدة . وهذا ما يشجع المهاجرين على قبول المعيشة في أماكن جديدة

---

(١) زكى شنودة، اليهود : نشأتهم، وعقيدتهم . مجتمعاتهم، الجزء الأول، مكتبة النهضة المصرية، سنة

رغم أنهم يدركون حجم الاختلافات ويكونوا واعين بالمشكلات والصعوبات التي ستواجههم بعد الهجرة. ولكن تختلف درجة تكيف جماعة مهاجرة عن جماعة أخرى وفقاً لإعبارات كثيرة. وتختلف أيضاً قدرة كل فرد عن غيره على التكيف طبقاً لظروف كل فرد، ومدى نجاحه في عمله، ومدى إحساسه بكمية ونوعية الاختلافات بينه وبين أعضاء المجتمع المحيط وإلى أى مدى تؤدي هذه الاختلافات إلى اصطدامات وصراعات وحواجز، وأنواع من التجنب في مجال الحياة اليومية.

وهناك حالات أخرى يمكن أن يعيش فيها المهاجرون داخل تجمعات تضم أعضاء الجماعة المهاجرة فقط، ولا ترتبط الجماعة ككل مع المجتمع الكبير إلا بعلاقات خاصة (غالباً علاقات المصالح المتبادلة) وبذلك يبقى الفرد بعيداً عن حالات الصراع والإزدواجية التي يتصف بها غيره من المهاجرين. فكثير من المهاجرين من دول الشرق إلى أمريكا قد كونوا جاليات (كالجالية المصرية في أمريكا) وعاشوا داخل الحدود الجغرافية والاجتماعية للأقليم الذي يضم الجالية حياة سوية. ويمارس أعضاء الجماعة المهاجرة نمط الحياة الذي كانوا يمارسونه في موطنهم الأصلي على الرغم من أنهم يعملون في المجتمع الأمريكي، ويرتبطون مع أفرادهم وهيئاته بكثير من العلاقات الاقتصادية، وعلاقات العمل، وبعض من العلاقات الاجتماعية.

وحتى بالنسبة لكثير من اليهود الذين يعيشون داخل «الجيتو» اليهودي، فهم يتعاملون مع المجتمع الخارجي من خلال قنوات خاصة، ويمارسون حياتهم وطقوسهم اليهودية داخل إطار الجيتو اليهودي، ويشعرون أنهم يهود يعيشون وسط مجتمع غير يهودي. ومع ذلك فهم لا يعانون من الصراع، بل إنهم قدكيفوا أنفسهم لهذا الوضع الذي يعيشون فيه أقلية وسط مجتمع الأغلبية.

وفي الحالة السابقة يعيش الفرد حياة اجتماعية سوية. فهو يعيش ويشارك في جماعته الأولية، ويشارك في قيمها ومعاييرها وفي مختلف نشاطاتها. ويتكيف الفرد في هذه الحالة لوجوده بين ثقافتين، ولكن ذلك لا يثير لديه أى نوع من سوء

التكيف . ويكون له هذا الوضع تحديداً اجتماعياً لشكل المشاركة في النشاطات الداخلية والخارجية ، وتتحدد له معالم مكانته التي يحاول أن يتوافق معها تدريجياً . ويعتبر اشتراك الفرد في وجوده وفي عملية تكيفه مع عدد كبير من أفراد جماعته الأولية أمراً هاماً في الوصول إلى مرحلة التكيف . فإن مشاركة الفرد المهاجر مع أعضاء جماعته في الموقف الاجتماعي الذي تواجهه الجماعة ككل لا يتيح للفرد فرصة الإحساس بأنه في وضع فردي . بل أنه يمكن أن يشعر أنه في موقف يدافع فيه عن قضية جماعة بأكملها . ونظراً لأن جماعته - الجماعة المهاجرة - ستكون هي الجماعة الأولية بالنسبة له ، فإن علاقاته الأولية معها ستكون هي العلاقات الأساسية والهامة بالنسبة له . ولهذا فإنه لن يقع فريسة صراع حاد إذ هو أخفق في بعض علاقاته مع المجتمع الخارجي إذ أنها علاقات تأتي كلها في مرتبة ثانية .

ويلاحظ أن مشاركة الفرد في سنوات نموه الأولى وفي مراحل البلوغ في النشاطات التنظيمية التي يقوم بها - على نطاق واسع - أفراد جماعته ذوو المكانة المماثلة ، تؤدي إلى مزيد من التكيف وتؤدي إلى التقليل من التوترات في علاقته بالعالم الخارجي . ويؤدي إحساس الشخص بأنه عضو أساسي في جماعة أولية إلى إنهاء مشاعر الاعتزاز والتمسك بالجماعة والافتخار بها وهذا يدعوه أيضاً إلى الاعتزاز بمعاييرها وثقافتها - ليس عن اضطرار - الأمر الذي يؤدي إلى نبذ كل ما يخالفها من ثقافات دون حدوث توترات أساسية .

#### ثانياً : المشكلات الاجتماعية والأثنولوجية للمهاجرين

هناك نوعية أخرى من المشكلات تتعلق بوضع الجماعة المهاجرة ككل وعلاقتها مع المجتمع المضيف . ذلك أن هجرة جماعات كبيرة إلى مجتمعات تختلف عنها اختلافات بينة لم تمكن أفراد الجماعة المهاجرة من التكيف تكيفاً كاملاً مع أعضاء المجتمع الذي هاجرت إليه ، كما لم يمكنها من الانصهار مع الجماعات السلافية التي يضمها المجتمع ، أو من تمثل ثقافته . ولهذا ظلت بعض هذه الجماعات تمثل كيانا اجتماعياً مستقلاً ، وتحفظ لنفسها بثقافة خاصة ، وتتخذ - في بعض الأحيان - موقفاً اجتماعياً من القضايا العامة السائدة فيه . ويلاحظ أن هذا الوضع قد نشأ

فى بعض الأحيان نتيجة الحواجز التى وضعها أبناء المجتمع المضيف ضد اندماج وانصهار أبناء الجماعة المهاجرة فى مختلف النشاطات الاجتماعية والثقافية، ونشأ فى أحيان أخرى نتيجة إتخاذ الجماعة المهاجرة هذا الموقف المستقل، أو المحافظ رغبة فى الحفاظ على تراثها أو ثقافتها أو دينها . . . الخ .

ومن الطبيعى أن إقامة الجماعة المهاجرة المتميزة فترة طويلة من الزمن فى مجتمع جديد يفرض أنواعاً من العلاقات بين أعضاء الجماعة وبين أعضاء المجتمع المحيط . وهذه العلاقات يمكن أن تكون علاقات طبيعية (اجتماعية كانت أم اقتصادية . . . الخ) ويمكن أن تكون علاقات مفروضة بسبب اختلاف المستوى الاجتماعى للجماعتين، وبسبب تركز السلطة فى أيدي أعضاء الجماعة المهاجرة أو فى أيدي أعضاء المجتمع الذى هاجروا إليه . الأمر الذى ييسر لها فرصة تحديد طبيعة العلاقات وإقامة ما تراه من حواجز بينها وبين الجماعة الأخرى . مثلما حدث بالنسبة للحواجز التى أقامها المجتمع الأمريكى ضد الزوج المهاجرين إلى أمريكا، أو تلك التى أقامها المهاجرون الأوروبيون ضد الشعوب الإفريقية التى سيطروا عليها .

وعلى الرغم من أن بعض هذه العلاقات قد يكون لها طابع تلقائى، إلا أنه قد حدث فى بعض الهجرات صياغة قوانين - معظمها يتسم بالتحيز - لتحديد العلاقة بين الجماعات المهاجرة وبين السكان الأصليين، ومن الطبيعى أن درجة التكيف لهذه القوانين المفروضة والتى غالباً ما تكون متحيزة لايمكن أن تكون مرتفعة . وقد تمخضت هذه العلاقات عن وجود أوضاع مختلفة للجماعات المهاجرة . وسوف نحاول أن نقدم فيما يلى بعض نماذج للأوضاع الاجتماعية للجماعات المهاجرة، وطبيعة علاقاتها، ودرجة تكيفها مع المجتمعات التى هاجرت إليها :

١ - أدت بعض الهجرات إلى التأثير فى الهرم الاجتماعى للبلاد التى تمت الهجرة إليها بحيث أصبحت هناك طبقات محددة يشغلها المهاجرون . وغنى عن البيان أن ذلك يرتبط بوجود علاقات وظهور مشكلات بين المقيمين إلى هذه الطبقات . فقد أدت الهجرة إلى أمريكا اللاتينية إلى تكوين أقليات وجماعات

سلالية إتخذت أوضاعاً يمكن وصفها بأنها أوضاع هامشية . فقد أدت إلى تكوين هرم اجتماعى يتربع فوق قمته فئة قليلة من سلالة الاسبان الفاتحين الذين يتمتعون بخيرات البلاد، ثم يليهم المهاجرون المتوسطون الذين وفدوا بعد إنتهاء عصر الفتح الأسبانى والبرتغالى واتجهوا إلى استعمار الأرض . وفى السفوح المنخفضة لهذا الهرم الاجتماعى يتكدس الخلاسيون، وهم السلالة الجديدة التى تكونت فى أمريكا اللاتينية من إختلاط البيض والسود والهنود الأمريكيين . وأخيراً فإنه يعيش فى القاعدة أسفل الهرم الزوج (ومعظمهم من السهول المدارية الشرقية والشمالية للقارة الأفريقية)، والمجتمعات الهندية الصرفة فى بيرو وبوليفيا، والمختلطة بنسب متفاوتة من البيض (١) .

٢ - يؤدى إختلاط السكان فى المناطق التى تقبل مهاجرين إلى وجود بعض المشكلات العرقية واللغوية والقومية فيما يتعلق بعلاقة المهاجرين بالسكان الأصليين . فقد شهدت مناطق إستقبال المهاجرين فى العالم إختلاطاً عرقياً كبيراً لعل فى أمريكا الجنوبية المدارية مثل واضح عليه . وبالرغم من أن المهاجرين إليها قد انصهروا فى بوتقة بشرية واحدة ولا توجد بينهم نزعات التفرقة العنصرية كما هى الحال فى أمريكا الشمالية، فإن هناك نزعات قومية لدى بعض جماعات المهاجرين حديثاً للتركز فى مناطق منفصلة عن الجماعات الأخرى ، ويبدو ذلك بوضوح فى المهاجرين الإيطاليين أو الألمان فى جنوب البرازيل .

وتظهر المشكلات العرقية بوضوح فى المناطق التى هاجرت إليها العناصر الأوربية الأنجلوساكسونية كما هى الحال فى أمريكا الشمالية، أو جنوب أفريقيا . أما فى استراليا ونيوزلندا فلم تظهر هذه المشكلات لقلة عدد السكان الأصليين، وإن كان الماورى (Maoris) قد تزايد عددهم من ٤٠,٠٠٠ نسمة عند بداية القرن العشرين إلى قرابة ١٢٠,٠٠٠ نسمة فى الوقت الحاضر . ويقال بأنه إذا استمر معدل المواليد لديهم على مستواه الحالى فإنهم سيكونون ٢٠٪ من جملة سكان

(١) د. محمد السيد غلاب، البيئة والمجتمع، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الرابعة، سنة

نيوزلندا سنة ٢٠٠٠ وقد هاجر الكثير منهم تاركاً المعازل الوطنية متجهاً إلى المدن حيث يعملون في الحرف الشاقة ويعيشون في الأحياء المتخلفة. أما في الولايات المتحدة فإن مشكلة الحاجز اللوني متأصلة في العلاقات الاجتماعية بها لدرجة يصعب حلها خاصة في الولايات الجنوبية ، حيث يكون الزوج قرابة ربع عدد السكان، بل تزداد نسبتهم إلى ٤٠٪ من سكان بعض الولايات مثل ولاية المسيسيبي .

أما الاختلافات اللغوية فقد تؤدي إلى مشكلات للسكان في المهجر كذلك . فحتى بين المهاجرين الذين عاشوا متجاورين مدة طويلة من الزمن مثل الإنجليز والفرنسيين في كندا، والبوير والانجليز في جنوب أفريقيا فإن كلامهما يحاول المحافظة على لغته وتقاليده وشخصيته . ففي كندا مثلاً - بالرغم من أن السكان ذوى الأصل الإنجليزي يكونون ٥٠٪ من السكان سنة ١٩٤١ - فإن ٥٧٪ من السكان يعتبرون الإنجليزية لغتهم الأصلية كما أن أربعة أخماس السكان يتحدثون بها .

وتظل اللغة الأصلية سائدة لدى المهاجرين ، ولا تهمل إلا عند الجيل الثانى أو الثالث خاصة بين الذكور الذين يدخلون سوق العمل ويضطرون إلى التحدث بلغة المهجر السائدة حتى يتمكنوا من كسب عيشهم . وعلى أية حال، فإن المهاجرين الذين يفدون في جماعات كبيرة يحافظون على لغتهم الأصلية، كما تفعل الأسر البولندية التى وصلت إلى فرنسا في العشرينات من هذا القرن . وفى بعض مناطق البرازيل والأرجنتين مازالت بعض الجماعات تتحدث الإيطالية - وحتى الفرنسية - بدرجة أكبر من اللغة القومية وهى البرتغالية .

وعلى النقيض مما سبق ، فإن الهجرات الإستعمارية التى أدت إلى إنتشار المؤثرات الثقافية كان لها تأثير عكسى . فقد أدخلت اللغات الأوربية إلى مناطق واسعة من العالم وأصبحت هذه اللغات الدخيلة أهم وسائل الإتصال والتفاهم بسهولة بين السكان . ويبدو ذلك بوضوح في كثير من الدول التى استعمرتها بريطانيا وفرنسا على وجه الخصوص والتى كانت تزخر بعدد من اللغات المحلية

ثم إتخذت لغة المستعمر لغة رسمية لها (١)

٣ - وقد أدت الهجرة التي تم فيها نوع من الإختلاط السلالي بين الجماعات المهاجرة والسكان الأصليين إلى مشكلات حادة تتعلق بالهوية وبإحساس الشخص بالانتماء . وتتعلق بقبول المجتمع لهؤلاء الذين إختلطوا سلاليا بالجماعات الغريبة . فقد عانى اليهود الذين إختلطوا بالإنجليز والأنجلو إنديانز Anglo - Indians في مجتمعهم الهندي . فهم يعتبرون أقلية تكون خليطا سلاليا في المجتمع الهندي . وقد كانت لهم إتجاهات إيجابية نحو الإنجليز وغيرهم من الأوروبيين بينما كانت لديهم إتجاهات سلبية نحو الهنود الذين يختلفون عنهم في ثقافتهم ونمط حياتهم . ومع ذلك فقد كان هؤلاء الأنجلو إنديانز مرفوضين إجتماعياً من الإنجليز إذ كانوا ينظرون إليهم على أنهم مولدين (هجين) ويتصفون أخلاقياً بأنهم أدنى من أبناء وبنات بريطانيا ، على الرغم من أنهم كانوا نافعين كأدوات في يد بناء الإمبراطورية . وقد اكتسب الإنجليز الكثير من ألوان التحيز ضد الهنود سود البشرة عن طريق الأنجلو أنديانز على الرغم من أن الأنجلو أنديانز في استعلائهم يعتبرون أنفسهم بريطانيين ويرفضون غيرهم من الهنود على أنهم أدنى من الغربيين . وقد كان رد فعل الهنود - كما كان متوقعا - سلبيا . فهم أيضا قد كونوا تصورات نمطية عن الأنجو إنديانز اذ اعتبروهم خدما للإنجليز واعتبروهم خانعين يتتهكون دائما ويدنسون بسلوكهم القيم التقليدية للمجتمع الهندي . كما وصل الأمر بهم إلى أنهم اعتبروا الأنجلو إنديانز أعداءاً لهم .

وقد نتج عن الرفض الذي يلقيه الأنجلو إنديانز من الإنجليز ومن المجتمعات الهندية مشكلة تتعلق بهوية من ينتمون إلى مجتمع الأنجلو إنديانز . والانجليز ينظرون إليهم على أنهم مختلطين بدماء أوروبية . والهنود يعتبرونهم أوروبيين ذوى دماء هندية . وفي بداية الحكم الإستعماري كان من الصعب على الانجلو إنديانز الإجابة عن السؤال القائل : «من أنا ؟» . وإذا كانت أزمة الهوية قد تضاءلت بسبب نمو الإحساس بالمجتمع المحلي ، الا أنها لم تختف تماماً بالنسبة لهؤلاء الذين

(١) د. فتحى أبو عيانة، مرجع سابق، ص ص ٣٦٣-٣٦٥.

يرتبطون بروابط وجدانية مع البريطانيين أو على الأقل مع بريطانيا العظمى كوطن اجتماعى ثقافى فى مرحلة المستقبل. الا أنه مع مرور الوقت، وعندما أصبحت شواطئ انجلترا معتمة أمامهم، وتلاشت فرص التخلص من صراع الهوية عن طريق الهجرة كان من الضرورى ظهور توجيه جديد للهوية. فلقد بدأ تصورهم الجديد عن أنفسهم أنهم هنود بالقومية بما يتضمنه ذلك من حقوق وامتيازات ومسؤوليات المواطن الهندى. وقد كان بعض الهنود الإنجليز غير قادرين أو غير راغبين أن يقوموا بهذا التحول فى الهوية. أما هؤلاء الذين حققوا هذا التغير فقد حاولوا اظهار أنفسهم بأنهم مواطنون مدللون محبون لوطنهم ومتحمسون للدفاع عنه، بينما لم يشعر آخرون بالأمن بدون حماية المظلة الاستعمارية، لهذا اختاروا أن يتركوا الهند.

وقد أكد كل من القادة الهنود والقادة الأنجلو إنديانز أن اتجاهات العداء والاستياء المتبادل قد نبذت وأصبح الولاء للوطن وتجانس الجماعة هو الخط الموجه فى المستقبل. ولم يكن الوصول إلى هذه النتيجة سهلاً، ولكن هناك تقدماً جديراً بالاعتبار حدث فى هذا المجال. (١)

٤ - ارتبطت عمليات الهجرة التى يمكن أن نطلق عليها «هجرة استعمارية» بعمليات غزو ثقافى يتطلب نوعاً من التكيف من جهة الشعوب المقهورة للثقافة الغازية، كما تضمنت الكثير من سوء التكيف. فقد أدى الغزو الاستعمارى والعسكرى والسياسى لأقلية مهاجرة من الأوربيين فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر على كثير من الجهات فى أفريقيا إلى نوع من الغزو الثقافى لثقافات هذه الشعوب. وكذلك أدت محاولات التبشير إلى إدخال القيم والنظم الاقتصادية الأوربية إلى المجتمعات الأفريقية القبلية وإلى تغيير كثير من المعالم الثقافية لهذه الشعوب.

---

(1) Gist N. & Wright R., Marginality and Identity: Anglo Indians As Racially Mixed Minority in India, Leiden E. J. Brill, 1963.



ولقد حاولت الحركات الاستعمارية إضعاف التراث الثقافى التقليدى للشعوب المغلوبة على أمرها. بهدف أن تصبح ثقافات تابعة لاتشعر بالاستقلال الكامل كثقافة وطنية أصيلة. واتبعت فى ذلك أساليب متعددة. فقد اتبعت فرنسا فى المغرب العربى قبل الاستقلال فكرة إحياء تقاليد الأقليات البربرية لتكون مصدراً لتشريعاتهم بدلا من الشريعة الإسلامية التى تحدد الأنماط السلوكية للشعوب العربية، وذلك بهدف تفتيت وحدة التنظيم الاجتماعى والبناء الثقافى. كما عمد الاستعمار فى السودان الى عزل شماله عن جنوبه تحت ستار الاختلاف السلالى. كذلك بذلت الجهود لإظهار عجز اللغات واللهجات الوطنية عن مسايرة المدنية الحديثة. والانتهاء إلى ضرورة تبنى لغة أجنبية فى كثير من البلاد المستعمرة (١). وقد تباينت ردود الفعل فى المناطق المختلفة بالنسبة لمحاولات الغزو المختلفة. إذ تغيرت الثقافات تماما عن نمط الحياة التقليدية القديمة، واكتسبت النظرة الأوربية للحياة. بينما كانت جماعات أخرى أكثر حفاظا على تراثها التقليدى برغم مشاركتها فى بعض مظاهر الحياة الحديثة (٢).

وقد أدى الغزو الثقافى فى كثير من الأحيان إلى محاولة قهر وإجبار هذه الشعوب على قبول الأنماط الثقافية الجديدة مما أدى إلى حدوث تغير لدى بعض هذه الجماعات عن طريق الإلزام. فإن ذلك هو ما يمكن أن نطلق عليه «التكيف العدائى» (٣). كما أدت سياسة الإلزام إلى إحداث تغيرات سريعة تشبه ما

---

(١) د. أحمد الخشاب، المدخل السوسيوأنثروبولوجى للتمييز العنصرى، المجلة الإجتماعية القومية، المجلد الثامن، العدد الثالث، سبتمبر سنة ١٩٧١، ص ٣٢.

(٢) د. أحمد أبوزيد، البناء الاجتماعى، الجزء الأول «المفاهيم» الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة، ١٩٦٥، ص ص ٢٨٢-٢٨٣.

(٣) التكيف الثقافى العدائى هو مصطلح أطلقت أنصار مدرسة التكيف الثقافى فى أمريكا على الحالات التى يتم فيها التكيف عن طريق الاجبار والتى قد يترتب عليها تدهور القيمة المتوارثة وتفكك العلاقات الاجتماعية التقليدية.

يحدث في حالة الثورات. وقد عبر البعض عن هذا التحول بأنه حالة باثولوجية (١). إذ قد نشأ في تلك المجتمعات بعض أنواع التناقض والأزمات نتيجة اصطدام ثقافة المجتمع المحلى بالثقافة الاستعمارية. ويلاحظ أن الدول الاستعمارية تعمد إلى إثارة نقاط الضعف بين الجماعات المغلوبة لإحكام سيطرتها عليها. كأن تثير حفيظة كل أقلية أو فئة معينة ضد الفئات الأخرى، أو تثير ردود أفعال حادة لدى بعض العناصر التي تعاني من التراث القديم كالنساء والشباب وتشجعهم على الثورة على ثقافتهم، وبالتالي تؤدي إلى زيادة حدة التناقضات الاجتماعية الموجودة (٢). وقد أدى هذا إلى كثير من ألوان الصراع التي يمكن أن تقود إلى وجود ثقافات هامشية انفصلت عن أساسها التقليدي وفي نفس الوقت لم تستطع الاندماج والتوحد التام مع الثقافة المسيطرة بسبب ما يمارسه أعضاؤها من أساليب التفرقة العنصرية.

ونود أن نشير إلى أن مختلف الأوضاع الاجتماعية التي تسببت عن الهجرة سواء كانت هجرة اجبارية (كهجرة الزنوج إلى أمريكا) أو هجرة استعمارية (كهجرة الأوربيين إلى أفريقيا)، أو هجرة طوعية (مثل المهجرات الكثيرة التي تمت من بلد إلى آخر في مختلف مناطق العالم والتي عرضنا نماذج منها فيما سبق) هي كلها أوضاع تتصل بالعلاقات الاجتماعية للمهاجرين وتؤثر في درجة تكيفهم مع المجتمع الذي يعيشون فيه. وقد اتضح لنا أنه كلما كانت هناك اختلافات أساسية بين الجماعة المهاجرة وبين السكان الأصليين كلما أدى هذا إلى ظهور عقبات وحواجز تحول دون التفاعل الاجتماعي الطبيعي التلقائي بين الجماعتين، الأمر الذي يؤثر على درجة تكيف أعضاء الجماعة المهاجرة. واتضح لنا أيضا أنه كلما كانت الجماعة المهاجرة قوية ومتماسكة ومرضية بالنسبة للفرد المهاجر الذي ينتمى إليها كلما جنبه هذا - على

---

(١) د. أحمد أبو زيد، المرجع السابق، ص ٢٧٩.

(٢) د. علياء شكرى، علم الاجتماع الفرنسى المعاصر، دار الكتب الجامعية، الاسكندرية، سنة ١٩٧٢،

المستوى الفردى - بعض ألوان الصراع والأزمات النفسية. ولكن على المستوى الاجتماعى يمكن أن يؤدي تماسك الجماعة، وإحساس أفرادها بالتميز والوعى الذاتى، أو الاستعلاء مع ما تواجهه من صعوبات فى عملية قبولها فى المجتمع الكبير إلى مشكلات اجتماعية كبرى قد تصل إلى مستوى المظاهرات أو الاضرابات، أو الكفاح المسلح مطالبة بالحقوق وبالمساواة.

ونود أن نشير إلى أن الدراسات الخاصة بتكيف المهاجرين فى الوطن الجديد - كما هو الحال بالنسبة لدراسة موضوعات أخرى فى الهجرة - مازالت تحتاج إلى دراسات علمية مقارنة أكثر دقة وانضباطا يشترك فيها علماء السكان وعلماء النفس والاجتماع معا، حيث يعملون كفريق بحث متكامل لا يغفل أى جانب من جوانب المشكلات المترتبة على عملية الهجرة والمتعلقة بتكيف المهاجرين.

\*\*\*



## الفصل الرابع عشر

### أسباب الهجرة الداخلية (العوامل والدوافع)

تتمثل أسباب الهجرة الداخلية في مجموعة من العوامل ترتبط بالقطاعات المكانية والسكانية داخل المجتمع، كما تتمثل في مجموعة الدوافع التي تكمن وراء القرار الذي يتخذه الفرد بشأن الهجرة من مكان إلى آخر، والمنطقة التي يختارها لتكون منطقة إقامة بديلة للمكان الأول. وسوف نعالج هنا كل متغير من هذين المتغيرين (العوامل والدوافع) على حدة:

#### أولاً - عوامل الهجرة الداخلية

يقسم المؤلفون عوامل الهجرة الداخلية إلى : عوامل جغرافية، عوامل اقتصادية وعوامل ديموجرافية، ثم اتجاه وسياسة الدولة نحو الهجرة الداخلية .

١- العامل الجغرافي: يلعب هذا العامل دوراً أساسياً في التأثير على اتجاهات وتيارات الهجرة الداخلية. كما أنه يعمل مثلاً على تعويق الهجرة إلى أماكن محددة حتى على الرغم من توفر عوامل أخرى تشجع على الهجرة فالعوائق الطبيعية يمكن أن تعتبر حواجز تعوق الانتقال من مكان إلى آخر، ويتضح تأثير العامل الجغرافي من خلال مناقشة المتغيرات الآتية:

- حجم الدولة: فكلما كانت الدولة متسعة، واشتملت على أقاليم ومناطق متباينة تختلف في خصائصها وإمكانياتها كلما شجع ذلك على إزدياد الهجرات الداخلية. وتعتبر الهجرات الداخلية في الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة أمثلة جلية على العلاقة الطردية بين حجم الدولة وتنوع قطاعاتها وبين حجم الهجرات الداخلية بين قطاعاتها المختلفة.

- معنى هذا أن حجم السكان في حد ذاته لايعتبر دافعا على الهجرة ، فأكثر دول العالم اكتظاظا بالسكان كالصين والهند لم تشهد هجرات داخلية توازي في أهميتها الهجرات الداخلية في دول أخرى أقل منها سكاناً.

- المسافة: يلعب عامل المسافة دوراً كبيراً في الهجرات الداخلية ((وفي الهجرات الخارجية أيضاً)). ولكن تتناسب درجة تأثير هذا العامل تناسباً عكسياً مع درجة التقدم التكنولوجى خاصة فى مجال وسائل المواصلات. فتأثير المسافة يتضاءل مع تقدم وسائل المواصلات ورخص أسعارها بالنسبة لمستوى المعيشة. وتلعب المسافة دوراً ملحوظاً فى الهجرة الداخلية فى بلد مثل مصر، فمعظم المهاجرين من محافظة المنوفية يميلون إلى الهجرة إلى القاهرة بينما يتجه معظم المهاجرين من البحيرة إلى محافظة الإسكندرية.

- العامل الجغرافى الطبيعى: ويتمثل هذا العامل - أساساً - فى المناخ، ففى الولايات المتحدة كان للمناخ اعتبار كبير فيما يتعلق بحجم الهجرات إلى كاليفورنيا. وإن كان البعض يعتقدون إن إكتشاف مناجم الذهب فى هذه الحالة أهم من عوامل المناخ.

٢- العامل الاقتصادى: ويلعب هذا العامل دوراً أساسياً فى الهجرة الداخلية والهجرة الخارجية على السواء، ولما كانت معظم الهجرات فى الوقت الحاضر هى هجرات من الريف إلى المدن، فإن هذا يعنى أن الريف أصبح منطقة طرد، وأصبحت المدن مناطق جذب. وهذا يرتبط بعوامل اقتصادية تتعلق بالعمالة والبطالة والتغير المهنى والكثافة أو التخلخل السكانى، والهجرة ليست مجرد إنتقال مكانى من منطقة إلى أخرى فهى ترتبط بتغيرات فى المستوى المعيشى للمهاجرين، وترتبط بتغير فى المهن أيضاً، فمعظم المهاجرين من الريف إلى المدينة يتحولون من الزراعة إلى الصناعة أو التجارة، ويلاحظ أن نظام الملكية يلعب دوراً هاماً فى طرد السكان من الريف إلى المدن. كذلك فإن التغيرات التى تحدث فى نظام الزراعة كإنتشار استخدام الميكنة والآلات الحديثة فى الزراعة يساعد على تفشى البطالة فى الريف وبالتالي يؤدى هذا إلى طرد بعض السكان إلى مناطق أخرى.

وفى الوقت الذى تقوم فيه المناطق الريفية بعملية الطرد تصبح المدن فيه مناطق جذب بفضل نمو المدن وإنتشار الصناعة وما يتضمنه ذلك من الاحتياج إلى الأيدى العاملة. ولاشك أن المدن تجد رصيداً ضخماً من العمال فى الريف المجاور.

والأمثلة على ذلك في مصر متعددة وأبرزها مدينة المحلة الكبرى.

وإذا كان للعامل الاقتصادي أهمية كبرى في الهجرة الداخلية ، فإن هذه الأهمية سوف تتضح أكثر في أجزاء تالية من مناقشتنا لموضوع الهجرة الداخلية ، وخاصة الجزء الخاص بدوافع المهاجرين .

٣ - العامل الديموجرافي : ولهذا العامل جوانبه المتعددة . فيرى بعض الكتاب - مثلاً - أن الزيادة الطبيعية المحدودة في المدن عنها في الريف ترك فراغاً يؤدي إلى اجتذاب المهاجرين من الريف . وقد اتضح أثر هذا العامل في بعض المدن الأوربية مثل بروكسل وبرلين وفيينا .

ومن هذه العوامل أيضاً بعض العادات والتقاليد التي ترتبط بجماعات سكانية معينة . ويتضح أثر هذا العامل في الهند فمن العادات الشائعة لدى الهنود ألا يتزوج الرجل من قريته وإنما يتزوج من قرية أخرى أو من بلدة أخرى . وقد ترتب على هذا اتساع حجم الهجرات الداخلية في الهند .

٤ - سياسة الحكومة تجاه الهجرة الداخلية : فما دامت الهجرة يترتب عليها عمليات تخلخل وتركز للسكان في المناطق التي تهاجر منها أو تهاجر إليها جماعات سكانية فإن ذلك يضع ضغوطاً ويلقى أعباءً على مختلف جوانب النشاط الإنساني والاقتصادي في هذه المناطق يبدو الأمر خطيراً إذا كانت الهجرة الداخلية تتم بصورة فردية أو إذا كان تيارها ضعيفاً . ولكن تزداد مشكلات الهجرة عندما تتزايد أعداد المهاجرين ، ولهذا تتدخل بعض الحكومات لوضع تخطيط معين يتفق والسياسة التي تنتجها بشأن الظاهرة الجديدة . ومن الدول التي تأخذ بهذا الأسلوب الاتحاد السوفيتي . على أن سياسة الحكومة لا تتجه فقط إلى الحد من الهجرة . ففي بعض الأحيان تتطلب الضرورات الاقتصادية أو الاجتماعية - وفي بعض الأحيان السياسية - أن تضع الحكومة خططا لتشجيع الهجرة الداخلية من منطقة إلى أخرى .

على أن أي سياسة تضعها الحكومة للهجرة الداخلية غالباً ما تواجه صعوبات ، وخاصة السياسات الخاصة بتدفق تيارات الهجرة من الريف إلى المدن ، مثلما هو

الحال بالنسبة للهجرة الداخلية إلى مدينة القاهرة. ويساهم في عدم قدرة الحكومة على ضبط تيارات الهجرة الداخلية تداخل الحدود الإدارية للأقاليم المختلفة، وعدم وجود موانع تمنع انتقال شخص من إقليم إلى آخر أو من محافظة إلى أخرى. هذا بجانب تصاريح مرور. وقد أدت هذه العوامل - بالإضافة إلى عوامل أخرى - إلى فشل السياسات التي وضعتها بعض الدول بالنسبة للهجرة الداخلية، ومن بين هذه الدول أندونيسيا واليابان، فقد وضعت الحكومة الأندونيسية برنامجاً يهدف إلى ترغيب الناس في الهجرة من جزيرة جاوة المزدهمة بالسكان إلى الجزر الأندونيسية الأخرى القليلة السكان ولاسيما بورنيو وسليبيز. ولكن هذه الجزر لم تجتذب إليها عدداً يذكر من المهاجرين رغم المغريات التي قدمتها الحكومة. وقد قامت اليابان بمحاولة مشابهة لترغيب الناس في الهجرة إلى جزيرة هوكايدو، ولم يكن مصير البرنامج الياباني أفضل من البرنامج الأندونيسي<sup>(١)</sup>.

#### ثانياً: دوافع الهجرة الداخلية

تعتبر دوافع الهجرة من المسائل الهامة التي يهتم بها دارسو الاجتماع المهتمون بالدراسات السكانية. ويلاحظ أنه يصعب التعرف على الدوافع التي تكمن وراء عملية الهجرة من المهاجرين أنفسهم. كما أنه يندر أن تتضمن الإحصاءات والتعدادات سؤالاً واحداً عن الدافع وراء الانتقال من مكان إلى آخر. ولهذا فإن المصدر الوحيد الذي يطلعنا على الدوافع هو البحوث التي يمكن إجراؤها لهذا الهدف بالذات. على أننا يمكن أن نستدل على بعض الدوافع من دراسة خصائص تيارات الهجرة والظروف المرتبطة بها. إلا أنها لاتمدنا بأية معلومات عن قرار الشخص نفسه الذي يتخذه وبعده يقوم بالهجرة.

وقد إهتم روسي Rossi - في دراسته التي قدمها عن أسباب الهجرة بموضوع قرار الهجرة، وقرار اختيار المكان الذي يهاجر إليه الشخص، وقد صدرت هذه الدراسة تحت عنوان «لماذا تهاجر العائلات» Why Families Move ؟ كذلك

---

(١) د. محمد السيد غلاب، د. محمد صبحي عبد الحكيم، المرجع السابق، ص ص ١٦٠ - ١٦٢



إهتمت دراسة أخرى بعنوان «النمو السكاني في باريس» بنفس الموضوع . كما أفرد أحد الكتب الصادرة بنفس العنوان السابق فصلا كاملا لمناقشة هذه المشكلة الهامة .

وقد قسم المؤلف - في المرجع السابق - دوافع الهجرة إلى باريس إلى سبع دوافع ، وانقسم كل دافع منها إلى خمسة أو ستة دوافع فرعية . وقد عدد الدوافع التي دفعت المهاجرين حديثا إلى باريس إلى ما يأتي :

١ - دوافع تتعلق بسوق العمل في باريس (عوامل جذب) وقد جذبت هذه الدوافع نسبة تبلغ ٣, ٥٣٪ من مجموع المهاجرين .

٢ - دوافع تتعلق بسوق العمل في المقاطعات التي وفدوا منها (عوامل طرد) وقد كان هذا السبب سببا أوليا في دفع ٥, ٢٠٪ إلى الهجرة .

٣ - مثلت الأسرة، والصحة، والاسكان دوافع جذبت ١, ١٥٪ من المهاجرين .

٤ - انطبق دافع الزواج، بجانب الدوافع التي تعتبر منفصلة عن الشخص نفسه وعن رغبته في الهجرة (مثل الأطفال الذين يصحبون والديهم المهاجرين وما إلى ذلك) على نسبة ٧, ١١٪ من المهاجرين .

٥ - دافع حب التغير وحب التنقل والحركة . الخ . وكان هذا الدافع هو المحرك الأساسي وراء هجرة ٣, ٨٪ من المهاجرين .

٦ - دافع الدراسة : وقد أدى هذا الدافع إلى انتقال نسبة ٤, ٦٪ من المهاجرين إلى المناطق التي هاجروا إليها .

٧ - الحروب، والأحداث السياسية، والخدمة العسكرية . وقد تأثر بهذه الدوافع ٧, ٢٪ من مجموع المهاجرين إلى باريس .

وقد إتضح أن «العمل» يعتبر دافعا مباشراً للحركة من مكان إلى آخر . غير أن كلمة العمل تحمل أكثر من معنى عندما تستخدم في موضوع الهجرة . فالشخص الذي لا عمل له على الإطلاق يمكن أن يهاجر إلى منطقة أخرى لكي يبحث عن العمل لعله يجده في أى مكان آخر . وينطبق هذا الوضع على كثير من المهاجرين

من المناطق الريفية إلى الحضرية في افريقيا وآسيا وجنوب أمريكا . ومن جهة أخرى يمكن أن يكون الشخص عاملاً بالفعل لكنه ينتقل إلى مكان آخر بحثاً عن عمل أفضل . فهو يمكن أن يبحث عن عمل بمرتبة أعلى ، أو يبحث عن عمل يلائم حالته الصحية ، أو عمل آخر أكثر ملاءمة لقدراته الخاصة . وفي الحالة الأولى يقال أن الشخص قد دفع أو طرد خارج منطقته الأصلية بسبب عدم وجود عمل على الإطلاق ، بينما في الحالة الثانية كان العمل الأفضل أو الأكثر ملاءمة للشخص يعتبر بمثابة عامل جذب ذلك أنه كان مرتبطاً بعمله ولم يطرده العمل حتى آخر لحظة قبل أن يتخذ قرار الهجرة وينفذه .

وهناك نوع ثالث من المهاجرين ، وهذا النوع يهاجر لأن ظروف العمل الذي يرتبط به تطلبت الهجرة . فالبعض عندما يرتبطون بالعمل في شركات يتركون مكان إقامتهم الأساسي وذلك لأن الشخص قد يعين في فرع للشركة يعمل في مكان آخر داخل نطاق الدولة ، أو أن الشركة نفسها يمكن أن تنقل مقر عملها إلى منطقة أخرى . وهناك كثير من الطلبة عندما يتمون دراستهم يبحثون عن أول عمل في مكان غير المكان الذي كانوا يدرسون به سواء كان مدرسة أو جامعة . ويتطلب بعض الأعمال الأخرى تغيير محل الإقامة ، وذلك مثل عمال الزراعة المتنقلين وعمال الترحيل وعمال البناء وما إلى ذلك . وترتبط كثير من حركات الهجرة والتنقل بالتغيرات الموسمية . فهؤلاء الذين يعملون في الأعمال التي ترتبط بأجازات الصيف مثل العمل على الشواطئ في المصايف وغيرها يهاجرون إلى هذه الأماكن طوال فترة الأجازة لممارسة أعمالهم كتقديم الطعام وضروب التسلية للمصطافين أو لمن يقضون أجازاتهم في هذه الأماكن . ، ومن المعروف أن الفلمنكيين (شعب الفلاندر) Flemish وهم يشغلون جزءاً خاصاً في بلجيكا أن المزارعين منهم يقضون جزءاً من السنة في مزارعهم والجزء الآخر في كل الأعمال الأخرى المطلوبة على شاطئ البحر في فصل الأجازات . وعلى الرغم من ندرة ظاهرة عمل بعض الأشخاص جزءاً من السنة ثم عودتهم إلى موطنهم الأصلي حيث يبقون فيه إلى أن يأتي نفس موعد العمل في العام الذي يليه إلا أنه توجد جماعات قليلة تقوم بذلك

. وعلى سبيل المثال يفعل ذلك الإفريقيون الذين يعملون في المناجم ثم يرجعون إلى مكانهم الأصلي في ليسوتو Lesotho وبتسوانا وروديسيا وموزمبيق أو أنجولا بقية شهور السنة. وتتكرر نفس الظاهرة لدى أبناء جزيرة صقلية الذين يعملون في الجزء الشمالى من إيطاليا أو في دول أخرى.

وقد إتضح من الدراسات التى أجريت أن العمل ليس هو الدافع الوحيد للهجرة، فقد وجد أن ما يقرب من ٢٥٪ من حركات الهجرة كانت ترجع إلى أسباب أسرية وعائلية. فكثير من الناس يهاجرون عندما يتزوجون، والبعض الآخر يهاجرون بسبب عدم وجود فرص للزواج في المكان الذى نشأوا فيه، أو بسبب اتاحة فرصة الزواج في مكان آخر. هذا بجانب أن انتشار عادة إنتقال الزوجة للمعيشة في منزل الزوج عند كثير من الجماعات يحتم على كثير من الزوجات الهجرة إلى المكان الذى يعيش فيه الزوج، وهذا يمكن أن يكون في مكان آخر داخل نفس الدولة أو الإقليم.

وعلى هذا تعتبر الأسرة ، كما يعتبر الأقرباء، قوة دافعة فعالة تحفز الفرد للهجرة، فقد هاجرت نسبة كبيرة من الأشخاص لغرض اللحاق بالأسرة أو بالأقارب في المكان الجديد. ومن المعتاد في حالة حدوث الوفاة أو الطلاق أو الانفصال لأحد الزوجين أن يلحق الفرد بأفراد أسرته لكى يعيش معهم مرة أخرى. وقد هاجرت أسر بأكملها من أجل تحقيق فرص أفضل لأبنائهم سواء في التعليم أو العمل.

وهناك أيضاً كثير من الناس يهاجرون لأنهم يحبون حياة التنقل من مكان إلى آخر بحيث يستفيدون من الخبرة الجديدة في مكان جديد يقضون فيه فترة من الزمن، أو لأنهم مولعون بحب التنقل ولا يمكنهم الاستقرار في مكان واحد كل الوقت.

ويمكن أن نضيف إلى هذه الدوافع بعض الدوافع الأخرى التى ترتبط بظروف خاصة، فالطالب قد يهاجر إلى أماكن متعددة داخل وطنه بحثاً عن فرصة أفضل للتعليم، ورغبة منه في التخصص في فرع ما من الدراسة لا يوجد إلا في مكان آخر. وهذا النوع من الهجرة عادة ما يكون لفترة محدودة هى الفترة التى يستطيع أن يتم فيها دراسته. على أن انتهاء الطالب من الدراسة لايعنى بالضرورة عودته

إلى المكان الذى نشأ فيه ، فأحيانا لا يفكر الشخص فى الرجوع إلى المكان الأول بل يبحث عن عمل فى أى مكان آخر . ويلاحظ أن الشباب الذين يؤدون خدمات عامة أو قومية أحيانا يتطلب منهم عملهم التجول فى مختلف أنحاء البلاد ، وأحيانا لا يعود عدد كبير منهم إلى الأماكن الأصلية التى كانوا يعيشون فيها بعد أتمام فترة أداء الخدمة . ومن الأمثلة الجلية على الهجرة المؤقتة وعدم رغبة الشخص فى العودة مرة أخرى إلى المكان الأول ما حدث فى مصر بالنسبة للطلبة الذين تركوا الريف لمدة عدة سنوات بهدف الدراسة فى جامعات المدن الكبرى خاصة فى القاهرة والإسكندرية - وذلك قبل التوسع فى إنشاء الجامعات الإقليمية - فقد فضل كثير من هؤلاء الطلبة البحث عن عمل فى هذه المدن أو فى مدن أخرى ، ولم يفكروا فى العودة إلى المناطق الريفية التى خرجوا منها .

ومن بين دوافع الهجرة أيضا الدوافع العريضة التى تحدث فى مناسبات خاصة ، وتؤدى إلى هجرة جماعات بعينها ، وهذه غالبا ما تسببها الكوارث مثل القحط والفيضانات والحروب .

\*\*\*

قرار اختيار المكان : وإذا كانت الدوافع السابقة تدفع الشخص إلى أن يفكر فى الهجرة لكنها لا تحدد له فى الواقع المكان الذى يذهب إليه . فهناك بعض العوامل التى تؤثر فى اختيار المكان الذى يذهب إليه الفرد (هذا على افتراض أن حركة تحديد المكان متاحة للفرد ، ففى بعض حالات الهجرة الاجبارية أو الاضطرابية يتم تحديد المكان الذى سيذهب إليه المهاجر دون إرادته ) وأهم العوامل التى تحكم عملية اختيار المكان ما يأتى :-

١ - المكان الذى يوجد به أقارب أو معارف : فكثير من الناس اذا أعطوا فرصة الاختيار بين مكانين فسوف يفضلون أن يذهبوا إلى المكان الذى يوجد به أقارب أو أصدقاء ، أو حتى معارف لأصدقائهم أو أقاربهم . ولا يفضل خوض التجربة دون دليل أو مرشد فى بلد مجهولون عنها كل شىء إلا عدد قليل جداً من الأفراد .

٢ - المكان الذى كون عنه المهاجر معرفة مسبقة : فبعض المهاجرين يكون لديه معرفة مسبقة بالمكان الذى يقرر الذهاب إليه ، ربما عن طريق القراءة ، أو تكون قد أتاحت له فرصة زيارة المكان أو قضاء اجازته فيه .

٣ - المكان الذى يمكن للمهاجر الوصول إليه والمعيشة فيه : وتعتبر تكاليف الرحلة من الموطن الأصلي إلى المكان الجديد أحد العوامل الهامة التى تحكم الفرد فى اختيار المكان واتخاذ قرار الاستيطان فى منطقة ما . على أن تكاليف الرحلة لا تتوقف على ثمن تذكرة السفر بقدر ما يدخل فيها تقدير المهاجر لتكاليف المعيشة فى الفترة الأولى من الهجرة وإلى أن يشعر المهاجر بالاستقرار . وهذا لا يتوقف أيضاً على قدرة المهاجر المادية بل على مدى التسهيلات التى يقدمها له المكان الذى يهاجر إليه ، فكثير من المهاجرين أمدهم بعض الأقرباء أو الأصدقاء الذين خاضوا تجربة الهجرة قبلهم ونجحوا فى الأماكن الجديدة بالمال والمساعدات اللازمة إلى أن تمكنوا من الاستقرار بعد فترة من هجرتهم إلى تلك الأماكن <sup>(١)</sup> .

٤ - المكان الذى يوجد به فرصة متاحة للعمل : فالفرد لا يهاجر إلى مكان لا يتوقع أن يجد فيه عملاً ، وقد كان نشر بعض المعلومات عن تفشى البطالة فى مكان ما سبباً فى عزوف البعض عن التفكير فى الانتقال إليه . وكما ذكرنا فإن الفرد يبحث عن المكان الذى يجد فيه عملاً أفضل وأكثر ملاءمة له ولظروفه . وترتبط فكرة فرص العمل المتاحة فى المكان الجديد بفكرة تأمين الفرد ضد الانتكاس والعودة مرة أخرى إلى المكان الأول <sup>(٢)</sup> .

(٥) المكان الذى يتناسب مع قدرات وخصائص الشخص الطبيعية : فهناك

(١) يلعب هذا العامل دوراً هاماً فى اتخاذ المهاجر لقرار اختيار المكان فى حالة الهجرة الخارجية ، فهو يختار المكان الذى يمكنه دفع نفقات السفر إليه . وعلى سبيل المثال لم يستطع كثير من المهاجرين من المنطقة العربية الهجرة إلى استراليا إلا عندما أرسل لهم أقاربهم أو ذويهم تذكرة السفر ، وعندما وعدوا باستقبالهم والاعتناء بهم فى الفترة الأولى من الهجرة ، أو عندما وجدت هيئات تشجع على الهجرة وتقوم بتمويل رحلة المهاجر وتوفير إقامة مناسبة له إلى أن يتمكن من العمل بحيث تسدد هذه النفقات على أقساط .

(2) Jansen C. J., op. cit., PP. 20 - 23 .

أماكن لا يتناسب مناخها مع بعض الأشخاص خاصة كبار السن كما سبق وذكرنا . لهذا فيتوقع أن يرفض الشخص الهجرة إلى مكان سوف يواجه فيه متاعب جسمانية أو يتعرض للإصابة ببعض الأمراض . وقد رفض الكثير من الناس العروض المقدمة للهجرة إلى أماكن نائية - رغم كل ماصاحب هذه العروض من إغراءات تمثلت في الإمتيازات أو الضمانات التى يحصل عليها المهاجر - ولكنهم رفضوا بسبب سوء الأحوال الجوية ، أو صعوبة العودة لزيارة ذويهم ، أو بسبب ندرة المياه أو قسوة الأحوال الجوية في هذه الأماكن .

٦ - المكان الذى يشعر المهاجر بأن قيمه وثقافته لن تتهدد فيه : ويهتم بهذا المتغير كبار السن أو البالغون ، ومن ينتمون إلى أسر محافظة ، أو من ينتمون إلى أقليات أو جماعات إثنولوجية خاصة . وإذا كان هذا العامل يبدو واضحاً في حالة الهجرة الخارجية حيث تكون الاختلافات حادة في حالة انتقال الشخص من دولة إلى أخرى ، إلا أنه في حالة الهجرة الداخلية يمكن أن يختار الشخص بين أماكن مختلفة بناءً على نوعية الجماعة التى يعيش فيها ، وبناء على مدى اختلاف قيم هذه الجماعة عن قيمه الأساسية . ذلك أن المجتمع الحديث ليس مجتمعاً متجانساً ، بل أنه عادة ما يضم فئات تختلف اختلافاً جذرياً في قيمها وبالتالي تختلف فيما يتعلق بنماذج السلوك المرتبطة بهذه القيم المتفاوتة ، كما يمكن أن تضم جماعات تختلف اختلافاً أساسياً أيضاً في عناصر ثقافتها الأمر الذى يؤدي إلى بعض الصعوبات فيما يتعلق بتكيف المهاجر . وعلى سبيل المثال تختلف العادات والتقاليد المرتبطة بجماعات هامشية مثل سكان واحة سيوة اختلافاً بيناً عن العادات والتقاليد السائدة في منطقة الدلتا ، بل إن السيويين يتكلمون لهجة تختلف تماماً عن اللغة العربية التى يتكلمها بقية أبناء مصر .

والسبب في أن المهاجر يفضل اختيار المكان الذى لا تهدد فيه قيمة وثقافته بل يجد فيه أكبر قدر من التشابه وبالتالي يحقق أكبر قدر من التوافق مع من يعيشون فيه دون عناء . ذلك أن مفهوم الهجرة نفسها يعنى لدى المهاجر الانتقال إلى مكان جديد ، ويعنى بالتالى صعوبات تتعلق بالتكيف

لكثير من الظواهر. فهناك التكيف الفيزيقي للمكان الجديد، والعمل الجديد والأشخاص الجدد... الخ. وهذا يحتاج إلى كثير من الجهد، كما يحتاج إلى وقت أيضا. وإذا أضفنا إلى ذلك وجود اختلافات أساسية في القيم والمعتقدات وغيرها من جوانب الثقافة، فإن هذا يعنى أن المهاجر سوف يواجه متاعب كثيرة وقد يصعب عليه أن يتكيف لكل هذه الاختلافات التى تنتظره. لهذا فهو يفضل الانتقال إلى المكان الذى تسود فيه ثقافة أكثر تشابها مع ثقافته بحيث يبقى عليه بعد ذلك أن يتكيف للأوضاع الجديدة التى يتحتم عليه أن يتكيف لها مثل العمل الجديد والمسكن الجديد... الخ.

والسبب الآخر هو أن بعض المهاجرين يدركون أن تهديد القيم والمعتقدات وغيرها من الجوانب الأساسية فى حياتهم لايمكن أن تعوضها أية مكاسب أو مزايا مادية. وينطبق هذا على وجه الخصوص على الذين ينتمون إلى أسر أو جماعات محافظة.

غير أن هناك من يهاجرون إلى أماكن معينة وهم يدركون تماما أنهم سيعيشون على هامش الحياة فيها، ومع ذلك يذهبون إليها دون تردد فالذين هاجروا من صعيد مصر - سواء بصفة دائمة أو مؤقتة - للعمل كخدم أو «بوابين» فى أكثر أحياء القاهرة تحضراً، هم أشخاص قبلوا الهجرة إلى أماكن يدركون أنهم سيعيشون فيها فى وضع هامشى. وقدبقى الكثير منهم سنوات طويلة لايتصل بموطنه الأصلى إلا فى أوقات متباعدة، ظل يعيش فى شبه عزلة عن ثقافة وتقاليد المنطقة التى يعيش فيها، ومع ذلك لم يفكر فى العودة مرة أخرى. ويرجع ذلك إلى عوامل متعددة مثل طبيعة المهنة التى يعملها وقبوله لوجوده فى هذا الوضع الهامشى نتيجة تكوينه مفهوما معينا عن نفسه وعن وظيفته ومكانته. وهذا يعتبر أيضاً نوعاً من التكيف مع وضعه القائم. وقد أدى قبول هذا الوضع ببعض إلى تشجيع غيرهم من الأقارب على القدوم إلى القاهرة والعمل فى نفس المهنة.





## الفصل الخامس عشر

### النظريات المفسرة للهجرة الداخلية

هناك طائفة من النظريات التي يتفق علماء السكان على اعتبارها أدوات مفيدة لتفسير القواعد التي تحكم ظاهرة الهجرة سواء من حيث حجمها واتجاهها. وسوف نصنف هذه النظريات حسب التقسيم الآتى :-

أولاً : النظريات المفسرة لحجم واتجاه حركة الهجرة  
(أ) نظرية المسافة

لقد صاحب التصنيع وخاصة فى نهاية القرن الماضى حركات هجرة سكانية أساسية، وقد أصبحت هذه الحركات موضوعاً هاماً من موضوعات الدراسة السوسولوجية. وقد وضع رافنشتاين Ravenstein بعض القوانين الخاصة بالهجرة الداخلية فى المقال الذى قدمه بعنوان «قوانين الهجرة» Laws of Migrations وهذه القوانين هى :-

١ - أن الأغلبية العظمى من المهاجرين لا تهاجر إلا إلى مسافات قصيرة. وهذا يؤدى إلى عمليات إزاحة وعمليات تغير وتحول فى السكان، الأمر الذى يؤدى بدوره إلى «تدفق المهاجرين» الذين يتجهون إلى مراكز الصناعة والتجارة الكبرى، وهذه المراكز قادرة على إمتصاص أعداد كبيرة منهم.

٢ - أن النتيجة الطبيعية لأى حركة هجرة محدودة فى مداها، ولكنها تتصف بأنها منتشرة فى كل أنحاء بلد ما، هى أن عملية إمتصاص المهاجرين سوف تتم على النحو التالى :

عندما تبدأ إحدى المدن فى النمو السريع فإن سكان مدن أخرى يمكن أن يهاجروا إليها ويحتشدوا بها. وبسبب تيارات الهجرة الداخلية تحدث ثغرات فى القطاع الريفى، وهذه يملؤها سكان المناطق المعزولة والبعيدة وخطوة بخطوة يصل تأثير المدن التى تنمو بسرعة إلى أبعد أماكن فى الوطن وسوف تكون نسبة نمو

المهاجرين الذين تم إحصاؤهم في إحدى مراكز الإمتصاص أقل من نسبة نمو السكان في المناطق التي خرجوا منها.

٣ - أن عملية تشتت المهاجرين «تفرقهم في أماكن متعددة» هي على العكس من عملية إمتصاصهم في مكان معين. ولكن العمليتين تتضمنان ملامح متشابهة،  
٤ - يؤدي تدفق أى تيار هجرة إلى خلق تيار آخر معاكس له متكافئ معه ومعادل له في نفس الوقت.

٥ - غالباً ما يذهب المهاجرون الذين ينتقلون إلى مسافات بعيدة إلى أماكن خاصة يفضلونها، وغالباً ما يكون المكان هو أحد المراكز الصناعية أو التجارية الكبرى.

٦ - أهالى المدن أقل قابلية للهجرة من هؤلاء الذين يعيشون في المناطق الريفية.

٧ - الإناث أكثر قابلية للهجرة من الرجال.

ويرى يانسين Jansen أن هذه التعميمات الواسعة النطاق قد أثبتت صحتها من واقع دراسات أخرى، إلا أن فكرة رافنشتاين عن الهجرة على مراحل لم تثبت صحتها بعد. وقد كان هيل Hill من بين من أختبروا فرض الهجرة إلى مسافات قصيرة، فقد أثبت من دراسته المركزة على المناطق الريفية أن اتجاه الهجرة في الأقاليم التى قام بدراستها كان في غالبية الأحيان يتجه إلى مناطق قريبة في المقاطعات المجاورة. كذلك اتضح من الدراسة التى أجراها برنلى توماس Brinley Thomas على منطقة جلامور جان شير Glamorgan Shire أن ظاهرة الهجرة إلى مسافات قصيرة كانت هى الظاهرة السائدة. وقد أكد تيوبر وتيوبر Taeuber and Taeuber في دراستهما الحركات الهجرة بين المدن والضواحي أن كل تيار متدفق للهجرة كان يصاحبه تيار معاكس في الاتجاه المضاد. وقد أكدت هذه القاعدة أيضاً معلومات وزارة العمل عن الهجرة بين الأقاليم المختلفة في إنجلترا.

وعلى الرغم من أن كثيراً من الكتاب يوافقون على أن معظم الناس يهاجرون إلى أماكن تبعد عن موطنهم الأصلي بمسافات قصيرة، فإن النظريات الحديثة لم

تنظر إلى حركات الهجرة الداخلية في ضوء فكرة المسافة فقط بل في ضوء «الفرص المتاحة» أيضاً. وتفترض هذه النظرية أن عدد الأشخاص الذين يذهبون إلى منطقة ما يتناسب مباشرة مع عدد الفرص المتاحة في هذه المنطقة، ويتناسب عكسياً مع الفرص الوسيطة intervening opportunities. وقد استخدم ستوفر Stouffer المعلومات الإحصائية المتوفرة عن إقليم كليفلاند الحضرى الكبير Cleveland Metropolitan District لدراسة عدد الذين انتقلوا من منازلهم إلى أماكن أخرى. وقد اعتبر المنازل الحالية هي «الفرص المتاحة» في المنطقة س. وأطلق على الأماكن الخالية بين المنطقة ص و المنطقة س «الفرص الوسيطة» وقد وجد أن نسبة الاتفاق بين ما هو متوقع وما تم ملاحظته كانت عالية. وقد طبق كتاب آخرون نظرية ستوفر على الهجرة الداخلية، وتوصلوا إلى نتائج مشجعة.

كذلك قدم ستوفر متغيراً آخر هو «تنافس المهاجرين» أو كما أطلق عليه «المهاجرون المتنافسون» Competing migrants وبهذا الرأى الجديد يصبح الفرض الخاص بالمسافة والفرص المتاحة مجرد نموذج ومحاولة للتعبير عن مضامين أخرى. فهو يعبر عن عدد المهاجرين من المدينة «أ» إلى المدينة «ب» كنتيجة مباشرة للفرص المتاحة في (ب) وكنتيجة عكسية لعدد الفرص المتاحة في المدينة «أ» والمدينة «ب» في فترة ما. وهي أيضاً تحدث بفعل عدد المهاجرين المتنافسين على الفرص في المدينة «ب».

وفي محاولة التعرف على دور «المسافة والفرص» وجد روز Rose أن الأشخاص الذين يشغلون مراكز أعلى أو يبحثون عن عمل أفضل يرحلون إلى مسافات أبعد لتحقيق أهدافهم. وهم يزدون في معدلهم عن الأشخاص الذين تدفعهم مهاراتهم وطموحهم إلى التطلع إلى فرص ليست مرغوبة. وقد توصل أيضاً إلى أن الأشخاص من الطبقات الدنيا يمكنهم أن يجدوا أكثر من غيرهم فرصاً وسيطة في منطقة معينة أكثر من تلك التي يجدها من ينتمون إلى الطبقات العليا. وقد أعاد إختبار هذا الفرض دولوث Duluth وستوب Stub وأيدت دراستهما فرض روز. إذ اتضح أن الفنين والمديرين يهاجرون إلى بلاد تقع على مسافات أبعد من تلك التي

يهاجر إليها من يشغلون مراكز أدنى .

وقد أشار بورفورد Burford في دراسته لهجرة العمالة من المزارع إلى ما أسماه المسافة السيكولوجية Psychological distance فهو يقول أن فكرة إحساس المزارع بأنه ينتمى إلى منطقة لا تقوم فيها فرص كافية للعمل يعتبر عاملاً أكثر أهمية من المسافة الجغرافية الفعلية . ومعنى هذا أن الحاجة إلى العمل ، وعدم توفره في المنطقة القريبة جغرافياً تقلل من أهمية عامل المسافة كمحدد لهجرة المزارع بحيث تدفع المهاجرين للهجرة إلى مسافات أبعد . (١)

#### (ب) نظرية الطرد والجذب : Push - pull theory

ظلت نظرية الطرد والجذب لفترة طويلة هي أهم النظريات في الهجرة وقد اعتبر بوج Bogue أن سمتى «الطرد» و «الجذب» التى تتميز بها المجتمعات الأصلية للمهاجرين ، أو تلك التى يهاجر إليها الناس هى متغيرات مستقلة تسهم فى اختيار جماعات معينة لكى تهاجر من مكان إلى آخر (أما المتغيرات المستقلة الأخرى فهى تتعلق بسمات المهاجرين) .

وقد قدم بوج الفرض التالى فى المؤتمر السكانى الذى عقد عام ١٩٦١ ، حيث قال : «الهجرة هى تلك المحرك «الدافعى» القوى الذى يرجع أساساً إلى المجتمع المحلى الأصل أكثر مما يرجع إلى منطقة الجذب . وعندما تكون هناك ظروف طاردة قوية ، مع عدم توفر ظروف «جاذبة» قوية (مثل ظروف الكوارث والقحط والفيضانات الخ) فإن عملية إنتخاب المهاجرين تكون فى أدنى درجاتها ، ذلك أن المهاجرين يطردون دفعة واحدة دون أن توجد أمامهم فرص للاختيار بين هذه المنطقة أو تلك ، وذلك لأنه لا توجد مناطق جذب وبمعنى آخر يميل انتخاب المهاجرين من مجتمعات معينة إلى الاختلاف تبعاً لاختلاف قوة عملية الجذب من مجتمعات أخرى ، ويتناسب عكسياً مع عوامل الطرد الكلية التى توجد فى المجتمع الطارد .

(١) على أن عامل المسافة إذا نظر إليه بعيداً عن متغيرات أخرى فإن ذلك يؤدى إلى المبالغة فى أهميته أو إلى التوهين من هذه الأهمية . فلا بد أن ينظر إلى عامل المسافة مرتبطاً بقدرة الفرد على دفع نفقات السفر ، وبمدى تقدم وسائل المواصلات ، وبامكانية ارتباط المهاجر بذويه أو أقربائه فى حالة انتقاله إلى مجتمع آخر . وفى بعض حالات الهجرة اعتبر المهاجر أن المسافة البعيدة ليست كذلك طالما أنه سيجد أقاربه أو أصدقاءه فى المكان الجديد . كذلك فإن هجرة بعض الجماعات الإجرامية من مكان إلى آخر داخل الدولة الواحدة ترتبط بعوامل خاصة بتوفر مجال ممارسة النشاط الإجرامى ، مع توفر قدر من الأمن وعدم التعرض لقوى الضبط فى المجتمع أكثر مما يرتبط بعامل المسافة .

وقد إعتبر جورج George في ورقة قدمها إلى المؤتمر العالمى للسكان أن الحركات الجغرافية للسكان تتم فى شكلين :

- ١ - حركات هجرة تحدث بحكم الضرورة أو الإلزام .
- ٢ - حركات هجرة تحدث بسبب الحاجة (وقد اعتبرت هنا هى الحاجة الاقتصادية) فى بلاد معينة .

وتكمن وراء الهجرة فى النوع الأول عوامل سياسية أو دينية فالمهاجرون يطردون من أماكنهم أو يضطرون إلى ذلك لأنهم لم يتلاءموا أو لم يتكيفوا مع الظروف القائمة أو الظروف الجديدة فى المنطقة .

أما فى النوع الثانى فالهجرة تنشأ عن عامل الطرد المرتبط بعدم قدرة منطقة معينة على الوفاء بإحتياجات من يعيشون فيها فى الوقت الذى تحتاج فيه منطقة أخرى إلى قوى بشرية لكى تزدهر (عامل جذب) . والأمثلة كثيرة من البلاد المختلفة على هذه الظاهرة .

وقد عزا روسى Rossi الحركات السكانية وحركات الهجرة إلى أسباب تتعلق بالقرار الذى يتخذه الفرد بالهجرة من المكان الأول (مكان الطرد) ، وبالسبب التى تتعلق بالإختيار بين الأماكن التى يقرر المهاجر الذهاب إليها (أماكن الجذب) . ووجد أن حالة من كل أربعة حالات هجرة تمت كانت هجرة إجبارية أو إضطرارية ، أو كانت نتيجة منطقية لقرارات أخرى سبق أن إتخذتها الأسرة . وقد تمت الهجرة الإجبارية بفعل الطرد المكانى من المكان . أو هدم مكان السكنى . أما القرارات التى أدت إلى الهجرة فقد كانت قرارات تتعلق بالزواج أو الطلاق أو الانفصال أو تغيير العمل . أما عوامل الجذب - وذلك فى حالة إمكانيات الإختيار بين ترك المكان أو البقاء فيه - فقد كانت تتمثل فى الرغبة فى إيجاد مساكن أوسع ، أو البحث عن جيران أفضل ، أو إيجارات أرخص .

## ثانياً : النظريات المفسرة للتفاوت في نوعية المهاجرين «الانتقاء في الهجرة»

يدل مصطلح تفاوت الهجرة Differential Migration على التفاوت بين الأفراد في الهجرة، أو تفاوت ميل بعض الجماعات (كالجماعات العمرية أو النوعية أو الطبقية أو الأثنولوجية) للهجرة. إذ يرى الدارسون أن بعض الجماعات أكثر ميلاً إلى الهجرة من غيرها. <sup>(١)</sup> وقد تناول البعض هذا الموضوع في ضوء مفهوم «انتقائية الهجرة» Migration Selectivity ، وهو يعنى أن عوامل الجذب والطرْد تميل إلى انتقاء نوعيات معينة من السكان للقيام بعملية الهجرة. وترجم البعض الآخر هذا المصطلح «بالانتقاء الهجرى». وعنوان اختيار المهاجرين ونوعيتهم، وانعكاس ذلك على خصائص السكان في مكان الأصل ومكان الوصول. ويعنى ذلك أن المهاجرين من مكان ما ليسوا عينة عشوائية من السكان. وذلك لأن الأشخاص الذين يستجيبون لمجموعة من العوامل السلبية والإيجابية في كلا المكانين لهم قدرات مختلفة للتغلب على العوائق التي تعرض لهم، ولذا فإن أبرز سمات المهاجرين هي الشباب والذكور على وجه الخصوص (٢).

معنى هذا أن البحث في هذا المجال يهدف إلى التعرف على الاختلافات بين من ينتقلون من مكان إلى آخر داخل مجتمع معين، ويبحث في خصائص أولئك الذين يتخذون قرار الهجرة. وقد تكون هذه الخصائص حيوية أو اجتماعية وتهدف هذه المحاولة إلى الوصول إلى تعميمات يمكن أن تعطى تفسيراً للتيارات المختلفة داخل مجتمع ما.

وترجع أهمية البحث في فكرة انتقائية الهجرة إلى أنه إذا كان المهاجرون من مكان إلى آخر يتصفون بصفة معينة، كأن يكونوا منتمين إلى فئة سن واحدة - كالشباب مثلاً - فإن ذلك يعنى أن المجتمعات الطاردة سوف تتأثر بهذا، وسوف يختلف شكل هرمها السكاني بعد الهجرة بحيث يصبح هناك تخلخل في فئة الشباب، مما

(1) Jansen., op. cit., P. 14.

(٢) د. فتحى أبو عيانة، المرجع السابق، ص ٣٥٨.

يعنى فقدان قوة عاملة، وفقدان قدرات فنية وعقلية تؤثر على المجتمع. أما إذا كانت الفئات المهاجرة تميل إلى أن تكون من الذكور على وجه الخصوص، فإن ذلك يمكن أن يؤدي أيضاً إلى مشكلات تتعلق بالأسرة والزواج بالإضافة إلى المشكلات السابقة.

ويتطلب إدراك أهمية هذا الموضوع أن ننظر نظرة متعمقة إلى ما قد يترتب على الهجرة من الريف إلى المدن إذا كانت هناك صفات معينة - خاصة الوراثة منها - تميز المهاجرين إلى المدن. فإذا كان المهاجرون يمثلون «صفوة السكان» أو «خيرة الأفراد» فإن الفروق الكبيرة بين معدلات الزيادة الطبيعية للسكان في المدن والريف سوف تؤدي إلى نتائج خطيرة بالنسبة للمجتمعين. إذ أن الريف سوف يخلو من هذه الفئة في الوقت الذي ستكتظ فيه المدن بمن يتميزون بخصائص معينة. وما يمكن أن يترتب على ذلك من التنافس في مجالات معينة كالتنافس على فرص العمل المتاحة والملائمة لخصائص هذه الفئة المهاجرة.

ولكن قبل أن نتطرق إلى دراسة الصفات الخاصة التي تجعل الهجرة - أو لاجعلها - مشكلة لا بد أن نضع في اعتبارنا أن هناك علاقة ضرورية بين نوع الهجرة التي ندرسها وبين صفات المهاجرين. فالمهاجرون الذين نزحوا من مناطق الجفاف في الثلاثينات ليس لهم نفس الصفات التي كانت للمهاجرين من كاليفورنيا إلى تكساس وأوكلاهوما في عام ١٩٤٩. كما أنه من غير المحتمل وجود تشابه في معظم النواحي بين المهاجرين من المناطق الريفية إلى المدن وبين هؤلاء الذين يسلكون الاتجاه العكسي. فالاختلافات بين الفئتين من المهاجرين يمكن أن تكون اختلافات تتعلق بالشخص ومستوى طموحه وآماله في المستقبل، وقدراته الخاصة، ومستوى تعليمه وثقافته. ثم أن صفات المهاجرين لا بد وأن تختلف باختلاف الحوافز المترتبة على الهجرة (عوامل الجذب). مثال ذلك أن الأعمال التي جذبت مئات الآلاف من زنوج منطقة القطن إلى الساحل الغربي خلال الحرب العالمية الثانية كانت تتطلب أشخاصاً ذوي صفات تختلف اختلافاً كبيراً عن صفات غيرهم ممن تركوا نفس المنطقة نتيجة للتوتر الذي خلقته محاولات إلغاء

التمييز العنصرى فى مدارس الولايات الجنوبية المختلفة .

وقد حاول العلماء تحديد ألوان التفاوت فى نوعية المهاجرين والتعرف على ديناميات عملية الانتخاب والصفات الأساسية للمهاجرين . وسوف نحاول فى هذا المقام التعرف على أهم الصفات التى تؤثر فى الانتخاب للهجرة الداخلية .

أ - السن «الانتقاء العمرى» : Age Selectivity

بذل علماء الديموجرافيا محاولات عديدة لتحديد طبيعة التفاوت فى نوعية المهاجرين ، وتحديد الخصائص التى تقوم عليها عملية الانتخاب . وقد كان هدفهم الوصول إلى عموميات يمكن أن تنطبق على كل الدول وفى كل الأزمنة . ولكن يبدو - حتى الآن - أن التفاوت الوحيد الذى تم اختباره - من خلال بحوث أجريت فى دول مختلفة وفى أوقات متفاوتة - هو التفاوت من حيث السن ، فقد ثبت أن البالغين فى مستقبل العمر ٢٠-٣٤ سنة يكونون أكثر ميلا للهجرة من أى جماعة عمرية أخرى . (١)

وقد أكدت دراسات كثيرة هذه النتيجة ويرى سميث أن الهجرة الاختيارية ، هى - إلى حد كبير - ظاهرة خاصة بالشباب فى معظم الأزمنة ومعظم الأماكن . فأغلب الذين يتركون المناطق الزراعية فى بلادهم ويتجهون إلى المدن ، ومعظم من يهجرون بلادهم إلى بلاد أخرى ، ومن ينتقلون من ولاية إلى أخرى تقل أعمارهم عن ٣٥ سنة . وهم يغادرون مجتمعاتهم المحلية التى ولدوا فيها وشبوا فيها إلى المدن أو الأماكن الجديدة فى الوقت الذى يظل فيه رفاقهم يارسون حياتهم فى وطنهم الأصلي (٢) . وإذا كان الكتاب قد أشاروا إلى أهمية القاعدة السابقة - وهى الانتخاب العمرى لفئة الشباب - وذكروا أن هذه القاعدة هى التى تم اختبارها من خلال بيانات إحصائية ، فقد اتضح أن هناك استثناءات خاصة بالتفاوت الراجع إلى «السن» . وبدت هذه الاستثناءات بوضوح فى الهجرة إلى المناطق التى تتميز بمناخ أفضل ، فعادة ما يهاجر إليها الأشخاص كبار السن والمحاليين إلى المعاش .

(١) لين سميث ، المرجع السابق ، ص ٥٧٣ - ٥٧٥ .

(٢) سميث ، المرجع السابق ، ص ص ٥٧٦ - ٥٧٧ .



وهناك استثناء آخر من قاعدة السن، هو هجرة العائلات من المدن المركزية إلى الضواحي حيث مالت أعداد المهاجرين إلى الارتفاع في فئة سن معينة هي الفئة الواقعة بين ٣٠-٤٠ سنة<sup>(١)</sup> كذلك فإن بعض السكان الذين تشردهم الحروب أو الذين يفرون من الاضطهاد في أوطانهم، أو الذين يهاجرون بسبب حالات الكوارث مثل المجاعات وغيرها، يكونون من مختلف الأعمار . وهناك احتمال كبير كذلك بأن جزء كبيراً من الذين يهاجرون من المدن إلى الريف يكونون في منتصف العمر أو يتجاوزوه ممن ولدوا في المناطق الريفية وقضوا معظم أعمارهم الانتاجية في المدن . ثم عادوا إلى الريف لتمضية ما تبقى لهم من عمر<sup>(٢)</sup> .

نخلص مما سبق إلى أن التعميم الذي حاول بعض الكتاب التوصل إليه عن ارتباط الهجرة وانتقائها لفئة الشباب وصغار السن، ذلك التعميم الذي أستند إلى شواهد إحصائية، لا يمكن قبولها دون تحفظات . إذا أن الشواهد الإحصائية قد أثبتت أيضاً أن بعض أنواع الهجرة تميل إلى إنتقاء فئات أخرى من جماعات عمرية مختلفة . كذلك أثبتت أن أنواعاً أخرى من الهجرة - كالهجرة الإجبارية في حالة الكوارث - لا يحدث فيها انتخاب بالنسبة للسن . ونود أن نوجه النظر إلى أن الأهتمام بالظروف الاجتماعية والبيولوجية والجغرافية والاقتصادية المرتبطة بالهجرة هي التي تمكننا من الوصول إلى تعميمات صادقة في هذا المجال - حتى ولو كانت تعميمات محدودة النطاق - أي تعميمات تصدق على حالات أقل من التي ذكرها الدارسون السابقون . والتعميم الذي يمكن أن نصل إليه فيما يتعلق بانتخاب الهجرة للجماعات عمرية خاصة هو أن بعض أنواع الهجرة عندما تتوفر فيها عوامل طرد أو عوامل جذب معينة يمكن أن تناسب جماعة سن معينة دون جماعة أخرى ولهذا يميل أعضاء هذه الجماعة إلى الهجرة أكثر من غيرهم . فالمناخ القاسى كعامل طرد، والمناخ المعتدل كعامل جذب يؤدي إلى شيوع الهجرة بين كبار السن،

(١) يانسين، المرجع السابق، ص ١٦ .

(٢) مثل هجرة النوبيين في مصر عائلتين من الهجرة (في القاهرة أو الإسكندرية أو غيرها من المدن الكبرى) إلى

قراهم بالنوبة لتمضية بقية عمرهم بين ذويهم .

والبطالة كعامل طرد ، مع توفر فرص العمل في مكان آخر كعامل جذب يجعل الأفراد في سن العمل أكثر ميلاً إلى الهجرة عن غيرهم . غير أننا - لكي نكون أكثر دقة - لابد أن نضع التحفظات والإعتبارات المتداخلة، ففي الحالة السابقة سوف نجد أن كثيراً من المهاجرين في سن العمل سوف يصحبون عائلاتهم التي تضم نساءً لاتعمل، كما تضم كبار السن والأطفال والرضع، والمعوقين إلخ . .

#### ب - الجنس أو النوع «الإنتقاء النوعي» Sex Selectivity

وجه بعض الكتاب إهتمامهم إلى التعرف على عملية الانتخاب النوعي في الهجرة، بمعنى أنهم يحاولون البحث عن أى النوعين (الذكور أم الإناث) أكثر ميلاً إلى الهجرة؟ وينبغي علينا قبل أن نعرض لهذه الكتابات أن نعرف كيف تتم دراسة عملية الانتقاء الهجرى . فيرى سميث أن النسبة النوعية (عدد الذكور لكل ١٠٠ من الإناث) هي أفضل مؤشر حتى الآن لدراسة عملية الإنتقاء النوعي في الهجرة.

أما بخصوص الدراسات التي أجريت لتحديد طبيعة الانتخاب النوعي في الهجرة الداخلية فقد وصلت إلى نتائج متباينة . وسوف يتضح ذلك من عرضنا لنماذج من هذه الدراسات بعد أن حاولنا تصنيفها بحيث تفى بأغراض التحليل :

- أثبتت بعض هذه الدراسات أن الفروق النوعية في مجال الهجرة الداخلية فروقا لاتكاد تذكر . فقد أوضح لي Lee في الورقة التي قدمها إلى المؤتمر العالمى للسكان الذى عقد سنة ١٩٦١ أن دراسته للإحصاءات المتعلقة بمحل الميلاد سنة ١٩٥٥ في الولايات المتحدة الأمريكية قد أوضحت أن عملية الانتخاب القائم على الجنس ضئيلة جدا وذلك بالنسبة للذين يعيشون خارج الولايات التي ولدوا فيها، لأنه بالنسبة لكل جماعات السن التي يتوزع عليها المهاجرون الذين يعيشون خارج الولاية التي ولدوا فيها تزيد نسبة الذكور البيض وغير البيض عن نسبة الإناث بمقدار ٢, ٪ (الذكور البيض ٢, ٢٥ ٪ والإناث ٢٥ ٪) أما غير البيض فالذكور ٣, ٢٩ ٪ والإناث ١, ٢٩ ٪) . أما أعلى نسبة ارتفعت فيها الذكور عن الإناث فقد وجدت في فئات السن من ٥٠-٥٩ سنة ومن ٦٠-٦٩ سنة حيث زاد الذكور البيض

عن الإناث البيض على التوالي ١,٥٪ و ١,٦٪ وقد زادت نسبة الذكور غير البيض عن الإناث غير البيض بنسبة ضئيلة جداً أيضاً ، فقد كانت النسبة على التوالي ٣,٩٪، ٢,٧٪.

- أثبتت دراسات أخرى أن نسبة الذكور تزيد عن نسبة الإناث في الهجرة الداخلية . فقد وجد أرياس Arias في ورقة قدمها عن جوايتها أن الذكور - بصفة عامة - أكثر ميلا إلى الهجرة من الإناث إلا في بعض الحالات القليلة ، بما في ذلك عاصمة البلد التي بلغت فيه صافي الزيادة في الذكور ٢٦ ألف نسمة بينما كان صافي الزيادة في الإناث ٣٩ ألف ذلك في تعداد سنة ١٩٥٠ .

وفي دراسة أخرى للمناطق الحضرية في البرازيل ظهر أن نسبة أعلى من الذكور في دراسة هتشينسون Hutchinson كانت آتية من المدن الكبرى (١,١٥٪ ذكور، ٨,١٣٪ إناث) ، ولكن كانت نسبة الإناث الذين هجروا المدن الصغرى والمناطق الريفية أعلى من نسبة الذكور (ذكور ٧,٤٧٪ ، إناث ٤,٥١٪) (١)

وفي اليابان كان من بين ٢٠٠,٠٠٠ نسمة من الجنسين هاجروا بين ٣٥ مدينة ما بين سنة ١٩٥٠ وسنة ١٩٥٥ نسبة قدرها ١١٠ ذكور إلى ١٠٠ إناث على أن زيادة نسبة الذكور من المهاجرين بدأت تنخفض مع تناقص حجم السكان في المدن. (٢)

ويقول سميث إن القاعدة التي تقرر أن الذكور يفوقون الاناث فيما يتعلق بالهجرة، وخاصة الهجرة إلى مسافات بعيدة لها استثناءات يجب أن تؤخذ في الاعتبار. وأعطانا أمثلة على ذلك من بيانات الهجرة إلى الاقليم الاتحادي في البرازيل من أنحاء الدولة الأخرى.

ونخلص إلى أن المعلومات المتوفرة عن الفروق بين الجنسين (الانتقاء النوعي) فيما يتعلق بموضوع الهجرة الداخلية لا تؤيد القاعدة التي ترى أن هناك فروقا قائمة على أساس الجنس.

(1) Jansen., op. cit, PP. 16-17.

(٢) المرجع السابق، ص ١١٧.

### (ح) الانتقاء الريفي الحضري :

ارتبط التصنيع في مناطق كثيرة من العالم بالهجرة من المناطق الريفية الى المناطق الحضرية وعلى هذا فمن أهم السمات التي يهتم بها الباحثون في مسألة الهجرة الداخلية هي الأصل الريفي أو الأصل الحضري للمهاجر. فقد أوضحت دراسات أجريت على ظاهرة نمو السكان في باريس أنه كلما كانت المنطقة أكثر ريفية، كلما ارتفعت نسبة المهاجرين منها الى منطقة أخرى .

وفي الولايات المتحدة الأمريكية يميل السكان الذين ينتمون إلى المناطق غير الزراعية بصفة عامة إلى تغيير محل الإقامة (فيما عدا بين المقاطعات داخل الولاية الواحدة) عن سكان المناطق الزراعية. وعلى سبيل المثال غيرت نسبة ٨, ١٠٪ من فئة السن ١٨ سنة فما فوق من سكان المزارع مكان الإقامة. بينما غيرت نسبة ٥, ١٣٪ من سكان المناطق غير الزراعية في نفس المقاطعة. وقد هاجرت نسبة تبلغ ٩, ٣٪ من سكان المناطق الزراعية، ونسبة ٤, ٢٪ من سكان المناطق غير الزراعية بين المقاطعات داخل الولايات بينما كانت النسبة بين الولايات هي ٤, ٢٪ بالنسبة للمناطق الزراعية، ٢, ٣٪ بالنسبة للمناطق غير الزراعية.

وقد استنتج هتشنسون في دراسته للمناطق الحضرية في البرازيل أن نسبة النساء من المهاجرين من المدن الصغرى تكون أعلى من نسبة الرجال، كذلك ضم تيار الهجرة من المناطق الريفية إنثاءً أكثر من الرجال (كل ١٠٠ أنثى يقابلها ٧٧ ذكر). ونستنتج مما سبق أن التفاوت الريفي الحضري ليس ذا تأثير مباشر على عملية الهجرة الداخلية، حيث يتأثر هذا التفاوت بعوامل أخرى كالسن والجنس.

### (د) الإنتقاء على أساس المكانة . Status Selectivity

حاول بعض الباحثين أن يثبت أن هناك عملية إنتقاء أو انتخاب للمهاجرين تقوم على أساس المكانة التي يشغلها الفرد بناء على النظر إلى المكانات التي يشغلها الأفراد المهاجرون من مكان إلى آخر. فقد اعتبروا أن المكانة، وإلى حد بعيد المهنة، تعتبر عاملاً هاماً من العوامل المؤدية إلى التفاوت في الهجرة خاصة فيما يتعلق بالهجرات الحديثة. وقد أظهرت دراسة روز السابق الإشارة إليها أن المهنيين

يميلون إلى أن يهاجروا إلى مسافات بعيدة أكثر من غيرهم ممن يشغلون مكانات أدنى ، وذلك بهدف البحث عن فرص للعمل .

ومن وجهة أخرى فإن البحث المتعلق بالنمو السكاني في باريس قد أوضح أن المهاجرين إلى باريس يمثلون مهنا عديدة ، فكان ٢٨٪ منهم عمالا يدويين ، بينما وفد ٢٦٪ منهم من المزارع (عبارة عن ١٩٪ مزارعين و ٧٪ عمال زراعيين) .

ووجد هتشينسون في دراسته عن التحضر في البرازيل أن المهاجرين الذي ولدوا في المدينة ، والمهاجرين من المدن الكبرى كانوا يشغلون مكانة اجتماعية أعلى من بقية المهاجرين . بينما كان المهاجرون من المدن الصغرى ، والمناطق الريفية ينتمون إلى الطبقات الدنيا . وقد استنتج أن هذه الاختلافات تعكس أحد الدوافع الرئيسية الأساسية للهجرة من الريف إلى الحضر إذ أنهم يهاجرون بهدف تحقيق النمو الاجتماعي والاقتصادي .

وقد وجد ترافر Traver في دراسته لحركات الهجرة داخل الولايات المتحدة الأمريكية الخاصة بالقوة العاملة المدنية بين أبريل سنة ١٩٤٩ ، أبريل سنة ١٩٥٠ أن من بين أشتى عشر مهنة رئيسية كان العمال المهنيون والفنيون وأمثالهم أكثر العمال حراكا بفارق كبير . ومن جهة أخرى كان موظفي الشؤون البلدية وشؤون المقاطعة أقل حراكا ، بينما ارتبط الحرفيون بوظائفهم بحسب المزايا التي يحصلون عليها بسبب الارتباط بهذه الأعمال كالأقدمية والمعاشات التي تمنح لهم عند التقاعد وما إلى ذلك من المزايا .

وقد ذكر جولد ستين Goldstein في دراسته لنوريستاون Norristown وبنسلفانيا Pennsylvania أن ارتفاع معدلات الهجرة إلى نوريستاون والهجرة منها لم تؤثر في حجم السكان بين سنة ١٩١٠ وسنة ١٩٥٠ إذ أن كون التيارات المضادة تضم أفراد من جماعات مهنية مختلفة كان يعنى أن الهجرة قد أدت إلى تعديل التركيب المهني للقوة العاملة من الذكور . وفي بداية الفترة كان صافي الزيادة في ثلاث جماعات مهنية ، والملاك ، والعمال غير المهرة يزيد عن ٣٠ في الألف . ولكن عانت كل الجماعات ، فيما عدا المهنيين ، في الفترة من سنة ١٩٣٠-١٩٤٠ من نقص في

عدد الأفراد الذين ينتمون إلى جماعة بسبب عملية الهجرة النازحة .  
وهكذا نرى أن التفاوت على أساس المكانة الاجتماعية والمهنة يتأثر ويتفاوت  
أيضاً باختلاف الزمان والمكان (١)

(هـ) محكات أخرى للتفاوت

هناك محكات أخرى حاول الكتاب الإعتماد عليها مثل الانتماء السلالى و  
المستوى التعليمى للفرد على أساس أن المستوى التعليمى للفرد يرتبط بصفة عامة  
بالعمل الذى يقوم به الشخص ، وبالمكانة الاجتماعية التى تعزى إليه . كذلك  
اهتم البعض بالدين كمتغير يؤدي إلى التفاوت فى الهجرة . (٢)

\*\*\*

---

(1) Jansen., op. cit., pp. 19-20.

(2) Jansen, op. cit., p. 20.

## **الباب الخامس**

سكان المملكة العربية السعودية

الفصل السادس عشر: لمحة عن الوضع الإحصائي في المملكة  
الفصل السابع عشر: تطور حركة التعداد وأهم نتائجها





## الفصل السادس عشر

### لمحة عن الوضع الاحصائي في المملكة

من الطبيعي أن تفرق السكان على هذه الرقعة الواسعة ومعيشة قطاع كبير منهم في عهد قريب حياة البداوة قد هبط بالوعي الاحصائي لدى أفراد الشعب الى حد ملحوظ، بحيث أصبح تعاون الأهالي في جمع البيانات المطلوبة- وأغلبها مما يעדده الفرد العادي من أمور حياته الشخصية الخاصة - أمرا صعبا يجب علاجه وتطويره. لأنه بدون هذا الوعي وبدون هذا التعاون يستحيل جمع البيانات المطلوبة، أو قل يستحيل جمعها بالقدر المطلوب من الدقة والأمانة (١).

وأخيرا فان اتجاه الدولة نفسها الى عمل تعداد عام للسكان وجمع معلومات مفصلة عن مختلف جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والأخذ بنظم التسجيل المدني للوقائع الحيوية الهامة، كل ذلك مرتبط بالأخذ بسياسة التخطيط. وقد نفذت المملكة العربية السعودية بنجاح أول خطة تنمية خمسية لها في الفترة من ١٣٩٠-١٣٩٥هـ وبدأت الخطة الخمسية الثالثة للتنمية بالفعل، وهي تستغرق الفترة من ١٤٠٠-١٤٠٥ وسترد بعض الاشارات الى معالمها في سياق هذا الفصل. ولا شك أن الأرقام والاحصائيات الدقيقة هي الأساس الراسخ لوضع هذه الخطط ومتابعتها ثم تقييمها في النهاية. ويتولى ذلك جهاز تخطيطي كفء. وقد قامت على اعداد وتنفيذ الخطة الأولى للتنمية الهيئة المركزية للتخطيط. وهي التي وضعت

---

(١) أشار معالي وزير المالية والإقتصاد الوطني في تقديمه للكراسة الأولى التي ضمت البيانات الأولية للتعداد العام للسكان في المملكة العربية السعودية الذي أجرى عام ١٣٩٤هـ الى هذه المشكلة. فأبرز أن «اختلاف انطباعات السكان ازاء الادلاء بمعلومات تفصيلية عن عددهم وأعمارهم وأحوالهم الاجتماعية والاقتصادية لأول مرة» كان من العقبات التي واجهت التعداد العام الأول لسكان المملكة، وقد بذل القائمون على مصلحة الاحصاءات العامة جهودا كبيرة لمراجعة البيانات ومحاولة تلافى تلك العيوب. هذا علاوة على أننا نعرف تلك المشكلة من تجارب الدول الأخرى في مجال التعداد والاحصاء بصفة عامة.

كذلك مشروع خطتي التنمية الثانية والثالثة (١٣٩٥ - ١٤٠٥) <sup>(١)</sup>. ولا شك أن تقدم وزارة التخطيط الوليدة في عملها، مع اضطراد العمل في الخطة الخمسية الثالثة سوف يؤدي الى ابراز الدور الحيوى الهام للاحصائيات وتدعيم الجهود المبذولة لتدعيم الجهاز الاحصائي في المملكة، وكذلك تدعيم الوعى العام لدى جماهير سكان المملكة لبذل أكبر قدر ممكن من التعاون مع جهاز الاحصاء. وسوف يثمر ذلك كله في النهاية أن تتكون لدى الجهاز الحكومى ولدى الباحثين ذخيرة طيبة من المعلومات الاحصائية الدقيقة. وسوف تمثل هذه الاحصاءات نفسها نقطة انطلاق وحافز لاجراء مزيد من البحوث الاقتصادية والاجتماعية، وخاصة البحوث في مجال السكان بقطاعاتهم المختلفة.

ونظراً للأهمية الكبيرة لموضوع الإحصاءات - خاصة السكانية - فسوف تتناول اشارة سريعة فيما يلى الى الوضع الاحصائي الراهن واحتمالاته المستقبلية، خاصة كما تحددها خطة التنمية الخمسية الثانية للمملكة العربية السعودية.

لذلك من الطبيعي إزاء الظروف التى اشرنا إلى طرف منها أن تستهدف خطة التنمية الخمسية الأولى للمملكة تطوير الجهاز الإحصائي في المملكة، وإعطاء إشارة البدء لاجراء أول تعداد شامل للسكان، ولفت الانتباه إلى أهمية تجميع وتبويب ونشر الاحصاءات النوعية واتاحتها للباحثين والقائمين على أمر التخطيط. وقد اثمرت تلك الاهداف الطموحة بعض النتائج الايجابية القيمة التى حققت للعمل الاحصائي في المملكة انطلاقاً تاريخية، انعكس أثرها ولا شك على خطة التنمية الخمسية الثانية. وسوف أستعرض فيما يلى الوضع الاحصائي الراهن في ضوء تقييم وزارة التخطيط <sup>(٢)</sup>.

---

(١) وقد صدر الأمر الملكى الكريم رقم أ-٢٣٦ بتاريخ ٨/١٠/١٣٩٥ هـ (الموافق ١٣/١٠/١٩٧٥ م) بإنشاء وزارة التخطيط.

(٢) أنظر: وزارة التخطيط بالمملكة العربية السعودية، خطة التنمية الثانية ١٩٧٥ - ١٩٨٠ (١٣٩٥ - ١٤٠٠ هـ) الرياض، أبريل ١٩٧٥، وقد اعتمدنا على تقرير الخطة عن موضوع الاحصاءات في تحديد الانجازات التى تم تحقيقها في ميدان الاحصاء نتيجة للخطة الأولى (١٩٧٠-١٩٧٥)، والأهداف التى ترمى الخطة الثانية الى تحقيقها، أنظر ص ص ٧٦٥-٧٧٦

أشارت خطة التنمية الثانية الى الخطوات التى تم تحقيقها من أهداف خطة التنمية الأولى المتعلقة بمصلحة الاحصاءات العامة . ويأتى على رأس الانجازات الرئيسية للخطة الأولى فى مجال الاحصاء الانتهاء من التعداد الشامل للسكان والمساكن فى ٢٧-٢٨ شعبان من عام ١٣٩٤هـ (الموافق ١٤-١٥ سبتمبر ١٩٧٤م). وقد كان المتوقع أن تتوفر بيانات عن السكان على حسب الجنس والمناطق الادارية بعد عدة أشهر من الانتهاء من جمع البيانات وانتهاء عملية التعداد. بحيث ينشر التقرير الكامل عن نتائج التعداد فى ربيع الثانى عام ١٣٩٦هـ (الموافق أبريل عام ١٩٧٦م) على أساس أن تستغرق عملية اعداد البيانات فترة تتراوح بين ١٨-٢٤ شهرا.

الا أن البيانات - فى الوضع الحالى - لم تكتمل تحت ايدينا بعد. وقد أشرنا من قبل الى أن ظروف التعداد الأول قد حتمت اجراء عملية مراجعة شاملة وبوسائل مختلفة لمطابقة وتدقيق النتائج التى ظهرت فور اجراء التعداد، بهدف الوصول الى أكثر مايمكن التوصل اليه من دقة. وقد استغرق اجراء هذه المراجعة سنة كاملة تقريبا، أمكن بعدها لمصلحة الاحصاءات العامة أن تشر النتائج الأولية للتعداد على مستوى المناطق الادارية والامارات، والامارات التابعة. ويجرى حاليا تصنيف النتائج على أجهزة التبويب الآلى. ستنشر المصلحة تباعا نشرات تفصيلية عن كل منطقة من مناطق المملكة يتم جمعها فى بيانات تفصيلية موحدة (١)

وعلاوة على هذا تم الانتهاء من العمل الميدانى الخاص بالمسح العينى السكانى والذى يتكون من سلاسل احصاءات عينية ربع سنوية تهدف الى توفير بيانات عن الاحصاءات الحيوية يستند إليها فى احتساب معدلات النمو الطبيعى فى عدد السكان. ويجرى الآن اعداد الجداول اللازمة.

أما عن الاحصاءات فى المجالات النوعية فقد أجرت وزارة الزراعة والمياه مسحا للمحاصيل الشتوية والصيفية بالنسبة للقطاع الزراعى للسنوات ١٣٩٠/٩١هـ و ١٣٩١/٩٢هـ - ١٣٩٢/٩٣هـ. وقد تم نشر النتائج الخاصة بعام ١٣٩٠/٩١هـ. كما تم تجهيز جداول المسح الخاص بعام ١٣٩١/٩٢هـ. وسيتم تجهيز هذه البيانات ونشرها فى عام ١٣٩٥هـ أما تجهيز نتائج المسح لعام

---

(١) من تقديم معالى وزير المالية والاقتصاد الوطنى لكراسة البيانات الأولية، الصادرة عن مصلحة

١٣٩٢/٩٣ هـ فيجربى اعدادها . وفى عام ١٣٩٤ هـ تم الانتهاء من تعداد عن الزراعة المستديمة . وستوفر النتائج الأولية بنهاية عام ١٣٩٥ هـ .

أما عن مجال الحصر السنوى للمؤسسات فقد كان من نتائجها الهامه تحسين البيانات المتوفرة عن الصناعات التحويلية والغاز والكهرباء والبناء والتشييد والتجارة والخدمات والمواصلات ، والتأمين . ويجرى الآن تجهيز نتائج الحصر لعام ١٣٩٢ هـ والذي تم فى عام ١٣٩٣ هـ . (هذا ولم يتم عمل حصر عام ١٣٩٤ هـ بسبب انشغال الجميع فى تعداد السكان والمساكن) ويلاحظ أن أعمال هذا الحصر شملت كافة أوجه نشاط البناء والتشييد بصورة جزئية فقط كما أن النتائج غير كافية وقد استندت العينات على الاطار المتوفر من حصر المؤسسات الذى تم انجازه عام ١٣٩١ هـ . ولم يشمل الحصر سوى مراكز المدن فقط ولم يشمل المناطق الريفية .

وفىما يتعلق بحسابات الدخل الوطنى فقد أدت التحسينات التى طرأت على القاعدة الاحصائية فى المملكة الى التوسع فى حسابات الدخل الوطنى وإلى تطوير سلاسل احصائية جديدة للفترة ١٣٨٦/٨٧ هـ إلى ١٣٩٢/٩٣ هـ . وتشمل هذه السلاسل الانتاج المحلى الاجمالى والانفاق الوطنى الاجمالى والدخل الوطنى وتكوين رأس المال . هذا ولم تتوفر بعد سلاسل زمنية عن الاجور والعمالة . كما تتوفر الآن بيانات عن النفقات الحكومية الفعلية بالنسبة للاعوام ١٣٨٤/٨٥ هـ إلى ١٣٩٢/٩٣ هـ وسيترتب على تحليل هذه البيانات تحسن كبير فى الحسابات الوطنية ، فيما يتعلق بالانتاج والدخل والانفاق وتكوين رأس المال .

وقد تم نشر التقرير النهائى الخاص بحصر ميزانية الاسرة فى كل من الرياض وجدة والدمام . كما تم نشر الأرقام القياسية لتكاليف المعيشة حتى عام ١٩٧٣ . وعلاوة على هذا تواصلت الوزارات والمصالح الحكومية الأخرى العامة ، وتقوم المصلحة بتنظيم احصائيات البريد والهاتف والتلغراف ورفع تقارير ادارية عن سير عملياتها الاحصائية الى مصلحة الاحصاءات وتصنيفها . وسيتسع نطاق هذه العمليات ليشمل جميع الدوائر الحكومية بأسرع وقت ممكن .

ويلاحظ تقرير الخطة الثانية للتنمية أن مصلحة الاحصاءات العامة مازالت

تعانى من نقص فى عدد العاملين والكفاءات المطلوبة لانجاز هذه الأعمال الضخمة السريعة. ولم تحقق خطة التنمية الأولى هدفها فى تقوية جهاز موظفى المصلحة وتدعيمه حسبما كان مستهدفا. فما زال هناك عدد كبير من الوظائف التى لاتزال شاغرة، بل أن بعض موظفى المصلحة قد تركوها لحصولهم على فرص أفضل فى جهات أخرى. وقد كانت نتيجة هذا القصور فى أعداد العاملين حدوث ظاهرة معوقة هامة هى التأخير الكبير الحادث حاليا بين وقت جمع المعلومات وبين وقت اعداد التقرير عنها، كما يوجد عادة تأخير كبير بين موعد الإنتهاء من إعداد التقرير وموعد طبعه وتوزيعه. ولعل من العوامل المسؤولة عن ذلك أيضا الى جانب نقص اعداد العاملين نقص المباني والتجهيزات الالية لمصلحة الاحصاءات العامة. وهو ما تستهدف الخطة الثانية معالجته على نحو ما سنوضح فيما بعد.

وتنقلنا تلك النقطة الى استعراض الأهداف العامة التى تهدف الخطة الخمسية الثانية الى تحقيقها فى مجال الاحصاءات. والتى حددها تقرير الخطة فى النقاط التالية:

١ - تهدف مصلحة الاحصاءات العامة خلال خطة التنمية الثانية - علاوة على تحسين مستوى السلاسل الاحصائية المعمول بها - أن توفر المعلومات التى لاتتوفر الآن ولكنها ضرورية للعاملين فى التخطيط ولواضعى القرارات والاداريين وللذين يقومون بأعمال التقييم. ويتضمن الجدول رقم (١١) نوع المعلومات المطلوبة ونطاقها.

٢ - الاسراع فى جمع البيانات الاقتصادية والاجتماعية المختلفة وتحليلها وتبويبها ونشرها. (١)

وترى مصلحة الاحصاءات العامة ان تحقيق هذين الهدفين العامين سيتم من خلال تنفيذ السياسات التالية:

١ - توفير الحوافز الملائمة التى تؤدى الى اجتذاب موظفين أكفاء للعمل فى مجال

---

(١) خطة التنمية الثانية، مرجع سابق، ص ٧٦٧.

الاحصاء، وللحيلولة دون تطلع الموظفين الأكفاء منهم الى فرص عمل افضل خارج نطاق الاحصاء.

٢ - الاستعانة بخبرات استشارية اجنبية ضمن الحدود اللازمة لتنفيذ برامج المصلحة، وللقيام بأعمال التدريب اثناء العمل.

٣ - اقامة الجهاز اللازم لتنسيق السياسات والبرامج الخاصة بالادارات المسئولة عن الاحصاء في الدوائر الحكومية والعمل على جمع البيانات وتصنيفها ونشرها في حينها (١)

\*\*\*

---

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة.

الجدول رقم (١١)  
السلاسل الاحصائية المتوقع نشرها خلال فترة الخطة الثانية  
١٣٩٥-١٤٠٠ هـ \*

| المصدر والوزارة او الادارة المختصة<br>والدورة الزمنية للبرنامج                                                                                        | البرامج الاحصائية                                                                                                                                                                                                                |
|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| تعداد كل عشرة سنوات قامت به<br>مصلحة الاحصاءات العامة بالتعاون<br>مع وزارة الداخلية في شعبان ١٣٩٤<br>هـ . ويتوقع أن تكون النتائج جاهزة<br>بعد عامين . | أولاً- السكان :<br>(أ) عدد السكان على حسب<br>النشاط الاقتصادي والحالة الزوجية<br>والمستوى التعليمي وعدد أفراد<br>الأسرة والجنس والعمر والجنسية ،<br>وضع العمالة ومدة الإقامة على<br>حسب مكان الإقامة المعتادة أو مكان<br>الولادة |
| حصر عيني سنوي . ويقوم بالبرنامج<br>مصلحة الاحصاءات العامة إلى أن يتم<br>وضع نظام متكامل لتسجيل الأحوال<br>المدنية .                                   | (ب) المواليد والوفيات ، معدلات<br>الولادة والوفاة والزيادة الطبيعية في<br>عدد السكان .                                                                                                                                           |
| التسجيل عند الحاجة . وسيفرد<br>اثباتات نظامية حول الأحداث الهامة<br>في حياة الفرد .                                                                   | (ج) نظام تسجيل الأحوال<br>المدنية - المرحلة الأولى : ( تطبيق<br>النظام في أماكن تجريبية حول<br>الرياض ) .                                                                                                                        |

(\*) بالنسبة للسلاسل الاحصائية المتوقع نشرها خلال فترة الخطة الثالثة ١٤٠٠ / ١٤٠٥ هـ  
أنظر خطة التنمية الثالثة ، وزارة التخطيط ، صفحات ٣٩٥ - ٤٠١ .

|                                                                                                                                                                                                 |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                  |
|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| <p>التسجيل عند الحاجة . وستقوم به<br/>وزارة الصحة .<br/>تقارير إدارية سنوية وربع سنوية .</p>                                                                                                    | <p>المرحلة الثانية : (تطبيق النظام على<br/>أساس عيني في أماكن الاستقرار<br/>السكاني) .<br/>المرحلة الثالثة : تطبيق النظام في<br/>جميع أماكن الاستقرار السكاني في<br/>المملكة .<br/>يشمل النظام تسجيل المواليد<br/>والوفيات .<br/>(د) عدد المهاجرين إلى المملكة<br/>ومنها على حسب الجنس والعمر<br/> والمهنة .</p> |
| <p>كل عشر سنوات : وقامت به مصلحة<br/>الإحصاءات العامة ضمن إطار تعداد<br/>السكان ، ويتوقع أن تكون النتائج<br/>جاهزة عام ١٣٩٥/٩٦هـ .</p>                                                          | <p>ثانياً- المساكن :<br/>عدد المساكن على حسب النوع<br/>وعدد الغرف وعدد الأفراد في المسكن<br/>ونوع المرافق ومواد البناء والأرضيات .</p>                                                                                                                                                                           |
| <p>حصر عيني كل سنتين . ونتائج الحصر<br/>الذي تم عام ١٣٩٢/٩٣هـ جاهزة<br/>وقد قامت به مصلحة الإحصاءات<br/>العامة ووزارة العمل والشؤون<br/>الاجتماعية . سيجري الحصر القادم<br/>عام ١٣٩٥/٩٦هـ .</p> | <p>ثالثاً- حصر القوى العاملة :<br/>عدد المشتغلين على حسب النشاط<br/>الاقتصادي والمهنة ومستوى المهارة<br/>والجنس والعمر والجنسية والأجور<br/>والرواتب وساعات العمل .</p>                                                                                                                                          |



#### رابعاً - الزراعة :

(أ) عدد الحيازات الزراعية على حسب حجمها ونوع الملكية والري والطاقة والعمال وتكوين رأس المال والأسمدة والمبيدات الحشرية المستخدمة.

(ب) تقدير مساحة الأراضي المزروعة (لمحاصيل مختارة) وعدد أشجار الفواكه على حسب نوعها ومحصولها.

(ج) عدد المواشى على حسب النوع والجنس والعمر وعدد الحيوانات المذبوحة وكمية المنتجات وقيمتها.

(د) الغابات : المساحة والكثافة وقطع الأشجار والنمو وكمية وقيمة الخشب المقطوع.

(هـ) صيد الأسماك : كمية الصيد على حسب النوع والقيمة.

(و) أسعار المحاصيل الزراعية في الأسواق والأسعار التي يستلمها المزارعون مع أسعار عوامل الانتاج الزراعي المختلفة.

كل خمس سنوات، قامت بهذا الحصر وزارة الزراعة ومصلحة الإحصاءات العامة عام ١٣٩٤ هـ. والنتائج متوقعة بعد عام. والحصر القادم مقرر عام ١٤٠٠/٩٩ هـ. حصر عيني سنوي تقوم به وزارة الزراعة ومصلحة الإحصاءات العامة

حصر عيني كل سنتين تقوم به وزارة الزراعة ومصلحة الإحصاءات العامة.

حصر عيني كل خمس سنوات تقوم به وزارة الزراعة والمياه ومصلحة الإحصاءات العامة ومقرر القيام به عام ١٣٩٤ / ٩٥ هـ.

حصر عيني سنوي تقوم به وزارة الزراعة ومصلحة الإحصاءات العامة.

حصر عيني كل خمس سنوات، ومن المقرر أن تقوم به وزارة الزراعة عام ١٣٩٨/٩٩ هـ.

|                                                                                                                                                                                                                                                                                                                      |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                           |
|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| <p>حصر عيني كل سنتين وقد قررت<br/>وزارة الزراعة القيام به عام<br/>١٣٩٦/٩٧هـ.</p> <p>سنوى، ستقوم به وزارة الزراعة<br/>ومصلحة الاحصاءات العامة عام<br/>١٣٩٧/٩٨هـ.</p>                                                                                                                                                  | <p>(ز) حصر الأراضي الزراعية</p> <p>(ح) الأرقام القياسية للإنتاج<br/>الزراعي.</p>                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                          |
| <p>كل خمس سنوات، من المقرر أن<br/>تجريه مصلحة الاحصاءات العامة.</p> <p>حصر عيني سنوى وتقوم به وزارة<br/>التجارة ومصلحة الاحصاءات<br/>العامة.</p> <p>حصر عيني سنوى تقوم به مصلحة<br/>الاحصاءات العامة ووزارة التجارة<br/>والصناعة.</p> <p>تقرير ادارى سنوى تقوم به وزارة<br/>التجارة ومصلحة الاحصاءات<br/>العامة.</p> | <p>خامساً - التعدين والصناعة وإنتاج<br/>الغاز والكهرباء:</p> <p>(أ) حصر المؤسسات الصناعية</p> <p>(ب) عدد المؤسسات وعوامل<br/>الإنتاج الأساسية والمنتجات الرئيسية<br/>والقيمة المضافة على حسب النشاط<br/>الاقتصادي وحجم المؤسسات<br/>والتنظيم القانوني والأصول الثابتة<br/>وعدد العمال والطاقة الكهربائية<br/>المركبة.</p> <p>(ج) تقديرات المشتغلين والقيمة<br/>المضافة على حسب النشاط<br/>الاقتصادي والتكوين الإجمالي<br/>لرأس المال ومتوسط أسعار شراء<br/>وبيع المنتجات الرئيسية.</p> <p>(د) الأرقام القياسية للمنتجات<br/>الصناعية.</p> |

|                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                   |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                 |
|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| <p>حصر عيني سنوي من المقرر القيام به عام ١٣٩٥/٩٦ هـ من قبل وزارة البترول ومصصلحة الإحصاءات العامة.</p>                                                                                                                                                                                                                                            | <p>(هـ) حصر المعادن</p>                                                                                                                                                                                                                                                                                                         |
| <p>حصر عيني كل سنتين ستقوم به مصصلحة الاحصاءات العامة ووزارة الداخلية عام ١٣٩٤/٩٥ هـ.</p>                                                                                                                                                                                                                                                         | <p>سادساً - البناء والتشييد:<br/>القيمة الاجمالية والمضافة على حسب نوع الإنشاءات والعمالة مع تفصيلات من المشاريع الجديدة والمكتظة.</p>                                                                                                                                                                                          |
| <p>حصر كل خمس سنوات ومن المقرر أن تقوم به مصصلحة الاحصاءات العامة ووزارة التجارة.</p> <p>حصر عيني سنوي تقوم به وزارة التجارة والصناعة ومصصلحة الإحصاءات العامة.</p> <p>حصر عيني سنوي وربيع سنوي وشهري وأسبوعي ، تقوم به مصصلحة الإحصاءات العامة ووزارة التجارة والصناعة.</p> <p>حصر عيني سنوي تقوم به مصصلحة الاصحاءات العامة ووزارة الصناعة.</p> | <p>سابعاً - تجارة الجملة والتجزئة والخدمات الأخرى:</p> <p>(أ) عدد المؤسسات ونوع النشاط وحجم العمالة والوضع القانوني الاقتصادي.</p> <p>(ب) عدد المشتغلين وقيمة المبيعات والأرباح الاجمالية والمخزون وتكوين رأس المال والاستثمارات وحجم الأعمال.</p> <p>(ج) أسعار الجملة والتجزئة (لسلع مختارة).</p> <p>(د) الهوامش التجارية.</p> |

|                                                                                                                                                                                                                                                                             |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                     |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| <p>تقرير إداري سنوي وربع سنوي<br/>تصدره مصلحة الإحصاءات العامة<br/>ومصلحة الجمارك بوزارة المالية.<br/>والتصنيف الحالي مستند إلى تصنيف<br/>بروكسل ومن الضروري تعديله وفقاً<br/>للتصنيف الدولي للتجارة الخارجية.<br/>تقرير إداري سنوي يصدر عن<br/>مصلحة الإحصاءات العامة.</p> | <p>ثامناً - التجارة الخارجية :</p> <p>(أ) الواردات والصادرات وإعادة<br/>التصدير على حسب السلع وبلد<br/>المنشأ.</p> <p>(ب) الأرقام القياسية وأسعار<br/>الوحدة للواردات والصادرات.</p>                                                                                                                                                                                                                                                                |
| <p>تقرير إداري سنوي ، يصدر عن<br/>وزارة المواصلات.</p> <p>تقرير إداري سنوي ، يصدر عن<br/>وزارة المواصلات.</p> <p>تقرير إداري سنوي ، يصدر عن<br/>وزارة المواصلات.</p>                                                                                                        | <p>تاسعاً - النقل :</p> <p>(أ) الطرق : أطوال الطرق وعدد<br/>وحمولة السيارات التجارية والقيمة<br/>المضافة وإجمالي تكوين رأس المال<br/> وعدد العمال.</p> <p>(ب) سكة الحديد : عدد<br/>الأطنان الكيلو مترى وعدد الركاب<br/>وتكوين رأس المال وعدد العربات<br/>والقاطرات وعدد العمال.</p> <p>(ج) الشحن البحري : كمية<br/>البضائع الواردة والصادرة<br/>والامدادات والقيمة المضافة على<br/>حسب الموانئ وتكوين رأس المال<br/> وعدد العمال وطاقة الموانئ.</p> |

|                                                                                                                                                                           |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                               |
|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| <p>تقرير ادارى شهري يصدر عن<br/>مصلحة الطيران المدني التابعة لوزارة<br/>الدفاع.</p> <p>حصر عيني سنوي - وزارة<br/>المواصلات</p> <p>حصر عيني سنوي - وزارة<br/>المواصلات</p> | <p>(د) النقل الجوي: عدد الركاب<br/>- كيلو مترات الشحن والبريد بالطن<br/>الكيلو مترى والايرادات، والقيمة<br/>المضافة وتكوين رأس المال وعدد<br/>الطائرات وعدد الركاب القادمين<br/>والمغادرين وحجم الشحنات الجوية<br/>الواردة والصادرة عن الرحلات<br/>الداخلية والخارجية.</p> <p>(هـ) النقل البرى: مصدر<br/>السلع واتجاهها على حسب نوع النقل.</p> <p>(و) حركة المرور: كثافة حركة<br/>المرور في مواقع مختارة.</p> |
| <p>تقرير ادارى سنوي - وزارة<br/>المواصلات</p> <p>تقرير ادارى سنوي - وزارة<br/>المواصلات</p> <p>تقرير ادارى سنوي - وزارة<br/>المواصلات</p>                                 | <p>عاشراً - المواصلات:</p> <p>(أ) مكاتب البريد: عدد مكاتب<br/>البريد والخطابات والطرود<br/>والايرادات والقيمة المضافة وتكوين<br/>رأس المال وعدد المشتغلين.</p> <p>(ب) الهواتف: عدد السنترالات<br/>والمشتركين والمكالمات المسجلة<br/>والايرادات والقيمة المضافة وتكوين<br/>رأس المال وعدد المشتغلين.</p> <p>(ج) البرقيات: عدد مكاتب<br/>البرقيات.</p>                                                          |

|                                                                                                                                             |                                                                                                                                                                                                                                                                                                               |
|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
|                                                                                                                                             | <p>(د) الاذاعة والتلفزيون : عدد محطات الاذاعة والتلفزيون والقيمة المضافة وتكوين رأس المال وعدد أجهزة الراديو والتلفزيون وعدد المشتغلين .</p>                                                                                                                                                                  |
| <p>تقرير ادارى سنوي - مؤسسة النقد العربي السعودي ومصلحة الاحصاءات العامة .</p> <p>استبيان بواسطة البريد - سنوي مصلحة الاحصاءات العامة .</p> | <p>حادي عشر - النقد والبنوك والتأمين والمالية :</p> <p>(أ) البنوك : عدد البنوك وفروعها والعاملين فيها . والودائع الجارية ولأجل ، والقروض والسلف وإجمالي تكوين رأس المال والقيمة المضافة .</p> <p>(ب) شركات التأمين : عدد الشركات والوكالات والأقساط المدفوعة والمنافع المستحقة والتكاليف وعدد المشتغلين .</p> |
| <p>تقرير ادارى سنوي - وزارة المعارف</p>                                                                                                     | <p>ثاني عشر - التعليم :</p> <p>عدد المدارس العامة والخاصة على حسب مستوى التعليم ، وعدد المدرسين على حسب النسبة ومستوى التعليم ، وعدد الطلاب على حسب الجنس والمرحلة التعليمية ، ونتائج الامتحانات ، والقيمة المضافة ، وتكوين رأس المال وعدد المتسبين .</p>                                                     |

|                                                                                                                                 |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                      |
|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| <p>تقرير ادارى سنوي - وزارة الصحة .</p>                                                                                         | <p>ثالث عشر - الصحة :</p> <p>عدد المستشفيات والمستوصفات والمراكز الصحية والأسرة ونسبة استغلالها وعدد المرضى المنومين والزائرين على حسب نوع المعالجة والمرضى، وعدد الأطباء والفنيين المساعدين على حسب الجنس والجنسية والتخصص .</p> <p>واحصاءات للادارات المختلفة والقيمة المضافة وتكوين رأس المال وعدد الصيدليات ومخازن الأدوية .</p> |
| <p>حصر عيى سنوي . وسيحل هذا الحصر محل عدد من أعمال الحصر الحالية مثل مستوى معيشة الأسر والحصر الديموجرافي وتكاليف المعيشة .</p> | <p>رابع عشر - حصر الأسر :</p> <p>الخصائص السكانية، الوضع الصحى، واستهلاك المواد الغذائية والأحوال والمرافق السكنية والنشاطات الثقافية والتعليمية، والعمالة والمستوى الاقتصادي للأسرة .</p>                                                                                                                                           |
| <p>تقرير ادارى سنوي يصدر عن مصلحة الاحصاءات العامة ووزارة المالية .</p>                                                         | <p>خامس عشر - القطاع الحكومي :</p> <p>التصنيف الاقتصادي للإيرادات والنفقات والمدفوعات والتوزيع الاقتصادي والوظيفي للنفقات .</p>                                                                                                                                                                                                      |

|                                                                                                      |                                                                                                                       |
|------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| <p>حصص سنوي يصدر عن مصلحة<br/>الاحصاءات العامة ووزارة الحج<br/>والأوقاف .</p>                        | <p>سادس عشر - الحج :<br/>حصص الحجاج من داخل المملكة<br/>وخارجها وحركة النقل والمواشي<br/>المذبوحة في أثناء الحج .</p> |
| <p>تقرير اداري كل سنتين : من المقرر<br/>أن تقوم به مصلحة الاحصاءات<br/>العامة عام ١٣٩٦ / ٩٧ هـ .</p> | <p>سابع عشر - الدخل الوطني :<br/>على حسب المناطق .</p>                                                                |

مصدر الجدول : وزارة التخطيط ، خطة التنمية الثانية ، مرجع سابق ، ص ٧٧١-٧٧٦ .



وإدراكاً من حكومة المملكة العربية السعودية لأهمية الإحصاءات في التخطيط ورسم السياسة المرتكزة على أسس علمية دقيقة تقرر إنشاء هيئة خاصة للتعداد والحصر تتولى بشكل مستمر توفير البيانات الجارية عن خصائص السكان والصحة والاستهلاك والأحوال السكنية والتسهيلات والخصائص التعليمية وأوجه النشاط الثقافية والعمالة والمستويات الاقتصادية للأسر، كما تقوم هذه الهيئة بالأعمال التالية:

- ١ - الاحتفاظ بكافة المعلومات المتعلقة بمهامها كالهياكل اللازمة لأعمال التعداد والحصر والسجلات والخرائط.
  - ٢ - مساعدة الوزارات والمصالح الأخرى في تخطيط كافة أعمال الإحصاء والحصر التي تقوم بها.
  - ٣ - التوسع في عملية حصر المؤسسات لتشمل المناطق الريفية.
  - ٤ - إعداد سلاسل إحصائية زمنية عن الأجور والعمالة.
  - ٥ - عمل حصر لكافة أوجه نشاط التعدين والمحاجر الجارية.
  - ٦ - مساعدة وزارة الصحة في إعداد نظام للتسجيل لتوفير سجلات للإحصاءات الحيوية.
- كما استهدفت الخطة الثانية في مجال الإحصاء تطوير سلاسل الحسابات الوطنية والتوسع فيها، وتطوير الأعمال الإدارية لمصلحة الإحصاءات العامة، ونظم تدريب العاملين.. الخ. بما يكفل تطوير وتدعيم العمل الإحصائي والنهوض به نهضة شاملة (١).

\*\*\*

---

(١) انظر تفاصيل هذه الخطط والمشروعات في خطة التنمية الثانية للمملكة، مرجع سابق، ص ص

## المعلومات الاحصائية فى خطة التنمية الثالثة

كانت مصلحة الاحصاءات العامة ، والمركز الوطنى للحاسب الألى مسئولين خلال خطة التنمية الثانية عن تحسين وتطوير الخدمات الاحصائية ، ونوع نطاق المعلومات الاحصائية المتاحة فى المملكة ، وجعل خدمات الحاسب الألى متاحة عند طلبها للوزارات والجهات الحكومية والقطاع الخاص فى بعض الحالات . وبالرغم من قلة عدد القوى البشرية الماهرة وعدم كفاية المكان ، إلا أنه قد تم تحقيق تقدم كبير فى هذا المضمار .

وتتضمن أهم المنجزات مايلى :

تم عمل مسح متعدد الأغراض ، تضمن جمع معلومات عن المواليد ، والوفيات والقوى العاملة ، وميزانية الأسرة الريفية . وقد نشرت النتائج فى ثلاث نشرات . أما المرحلة الثانية من المشروع فقد بدأت فى عام ١٣٩٨هـ . وكانت تتعلق بالمواليد ، والوفيات ، والتغذية ، والظروف الصحية . وستشمل المرحلة الثالثة من المشروع جمع الاحصاءات عن القوى العاملة ، والظروف الصحية ، والمواليد والوفيات .

وتم عمل مسح لميزانية الأسرة فى المدن عام ١٣٩٦هـ فى خمس أماكن هى : الرياض ، وجدة ، والدمام ، وأبها ، وبريدة . وقد نشرت النتائج تحت عنوان : مسح ميزانية الأسرة فى المدن . وتجرى الاستعدادات الآن للمرحلة الثانية من المشروع . وتم عمل حصر للمؤسسات عام ١٣٩٦هـ ، ونشرت نتائجه . وكذلك تم عمل المسح الميدانى لحصر المؤسسات عام ١٣٩٧هـ وتجرى حاليا عمليات تجهيز البيانات وتصنيفها .

وفى عام ١٣٩٨هـ تم التخطيط لاجراء مسح اقتصادى متكامل يشمل أربعة عناصر هى :

- مسح الاتجاهات الاقتصادية المتعلقة بالعمالة والأجور ، ودورة رأس المال والتكلفة ، على أن يجرى ثلاث مرات فى السنة .

- مسح الانتاج الصناعى

- مسح الانشاءات .

- مسح لتجارة الجملة والتجزئة .

وقد انتهى العمل الميدانى لمسح عام ١٣٩٨هـ، وبدأ المسح لعام ١٣٩٩هـ .  
كذلك تم العمل الميدانى لسلسلة جديدة من الاحصاءات التى تتعلق  
بالعماله ، ونسبة الأجور فى الرياض ، وجدة ، والدمام فى المدة من ١٣٩٥ -  
١٣٩٩هـ . وقد نشرت التقارير التى تغطى الفترة حتى عام ١٣٩٧هـ . وتمت  
مراجعة أساسية لاحصاءات الحسابات الوطنية . وصدرت السلسلة التى تمت  
مراجعتها حتى عام ١٣٩٧/١٣٩٨هـ .

وتتضمن المشروعات الاحصائية الأخرى التى أتمتها مصلحة الاحصاءات  
العامة : الحصر السنوى للحجاج وعددهم حسب وسيلة النقل ، وتطور الأسعار  
القياسية للمواد الاستهلاكية مبنية على مسح المصروفات من ميزانية الأسرة ،  
وكذلك مراجعة أساسية لاحصاءات التجارة الخارجية .

وتكملة للمشروعات السابقة ، فقد بدأت مصلحة الاحصاءات العامة فى نشر  
كتاب الجيب الاحصائى ، تحت عنوان : المؤشرات الاحصائية . وبالإضافة الى  
ذلك ، فقد قامت مصلحة الاحصاءات العامة بمساعدة موظفى الوزارات  
والأجهزة الحكومية ، على تنظيم إدارات الاحصاء بها ، وتدريب موظفيها .

وكان المركز الوطنى للحاسب الآلى (الكمبيوتر) قد أنشئ خلال فترة الخطة  
الأولى . وتقوم مصلحة الاحصاءات العامة بإدارته . وقد تم تركيب جهاز جديد  
لزيادة كفاءة الكمبيوتر وتم عمل الاتصالات للتنسيق مع جامعة الرياض ، ووزارة  
المعارف ، وديوان الخدمة المدنية ، وصندوق التنمية العقارية . وقد قام مكتب  
الاحصاء الأمريكى بدعم أنشطة المصلحة من خلال تزويدها مع المركز الوطنى  
للحاسب الآلى ب ٢٦ خبيرا بموجب برنامج المساعدة الفنية .

## أهداف العمل الإحصائي :

وقد تحددت أهداف الخطة الثالثة في هذا المجال على النحو التالي :-

١ - رفع مستوى التخطيط الاقتصادي ، والاجتماعي ، والتجاري السليم عن طريق تقديم المعلومات الإحصائية الدقيقة الحديثة عن كافة الأوجه المتعلقة بتنمية المملكة .

٢ - التأكيد على وصف الأوضاع الراهنة بالمملكة وصفا دقيقا وكافيا على أسس إحصائية سليمة .

٣ - تشجيع الاستخدام الواعي للتحليل الإحصائي داخل القطاعين العام والخاص .

٤ - تسهيل اتخاذ قرارات استثمارية سليمة .

٥ - توفير الدعم الإحصائي لبرامج الأبحاث داخل المملكة .

٦ - توفير التحليل الإحصائي بما يتفق مع احتياجات المملكة .

ولتحقيق الأغراض المذكورة أعلاه سوف تتبع السياسات التالية :

١ - تحديد الاحتياجات الجديدة من البيانات .

٢ - توحيد السلاسل الإحصائية الراهنة .

٣ - تحسين إدارة العمل الإحصائي ، مما يقلل من الوقت اللازم بين التجميع والنشر .

٤ - تحسين محتوى السلاسل الإحصائية القائمة ، بإعادة تقويم البيانات المتوفرة حاليا ومراجعتها .

## البرامج الإحصائية في خطة التنمية الثالثة :

واعترافا بالحاجة الماسة إلى الدراسة التحليلية الدقيقة ، فإن التركيز الأولي للبرامج الإحصائية بالخطة الثالثة ، سيشمل دمج الأنظمة الإحصائية القائمة وتوحيدها والتركيز على اجراء تحسينات في ادارتها ومحتواها . ومن المقرر تنفيذ عدد من المشاريع الهامة الجديدة ، فيما يلي بيان بها :

في مجال الزراعة : سيجرى بالاشتراك مع وزارة الزراعة والمياه احصاء زراعي

وحيوانى شامل ، يدعمه حصر عينى أكثر تفصيلا ، يهتم بأمور: عدد المزارع ، والانتاج الزراعى ، والعمالة والأجور، وتكلفة الانتاج ، والانتاجية .

وستجرى دراسة كل سنتين تهتم بالمساحة المزروعة ، والانتاج ، وعدد المواشى . وسوف تقدم مصلحة الاحصاءات العامة المساعدة لوزارة الزراعة ، فى استكمال المسح الخاص بالمراعى . ويشمل : تكوينات التربة ، ونواقصها ، ونوعية الظروف الجغرافية لأمراض النبات والحيوان ، وعدد المواشى وأنواعها ، والامكانيات الزراعية للحيازات .

وسيجرى مسح الغابات باستخدام التصوير الجوى بالتعاون مع وزارة الزراعة بهدف تقويم طاقة المراعى ، وتوضيح مشكلات عوامل التعرية . وفى قطاع البناء والتشييد : سيجرى حصر للمساكن لقياس عدد الوحدات السكنية ، وأنواع وأحجام المساكن ، ونوع الانشاء ، ومعدل عدد الأفراد فى كل مسكن ، وسيتخذ اللازم نحو تحديث الاحصاء بصفة منتظمة عن طريق المسح العينى .

وفى مجال الانتاج الصناعى : سيتم - بالتعاون مع وزارة الصناعة والكهرباء - اعداد احصاء سنوى شامل للانتاج الصناعى . وسيهتم بأمور عدة منها : الملكية الصناعية ، وتكاليف الانتاج والقيمة المضافة ، والانتاج الكلى ، والاستثمار ، وأسهم رأس المال ، ونوع الانتاج ، ومصدر التمويل . وعلى أساس هذه المعلومات سوف تنشر التحليلات التفصيلية متضمنة جداول الانتاج .

وبالنسبة للقوى البشرية : سيتم اجراء إحصاء سكانى عام ١٤٠١/١٤٠٢ هـ . وستعمل مصلحة الاحصاءات العامة ، بالتعاون مع وزارة العمل ، على اصدار سلاسل منتظمة من الاحصاءات ، التى توضح القوى العاملة المتوفرة بالمملكة مع الاهتمام بالتركيب المهنى ، والأجور وساعات العمل ، والنشاط الاقتصادى .

وبالنسبة للتخزين : سيتم حصر مرافق التخزين بالمملكة ، وذلك بالتعاون مع وزارة التجارة . وسوف يتناول الحصر طاقة التخزين ، وأنواع المخازن ، واستغلالها وعائداتها ، وتكاليفها ، والعاملين فى هذا القطاع . كما أن مصلحة الاحصاءات

العامة، والمركز الوطنى للحاسب الآلى . سوف يواصلان تقديم المساعدة للوزارات  
الأخرى، والادارات الحكومية، فى مجال تدريب الموظفين على أساليب الاحصاء  
والحاسب الآلى. (١)

\*\*\*

---

(١) نقلا عن خطة التنمية الثالثة، ١٤٠٠ - ١٤٠٥ هـ ، وزارة التخطيط، مرجع سابق، صفحات

## الفصل السابع عشر

### تطور حركة التعداد وأهم نتائجها

#### السكان في السنوات الأولى من عمر المملكة

يتضح مما سبق أننا فيما يتعلق بدارستنا الحالية لايسعنا الا الاعتماد بشكل كبير - ليس سليما تماما من الناحية العلمية - على التقديرات الموجودة التي وضعتها بعض الهيئات الحكومية أو المنظمات الدولية أو بعض الباحثين الأفراد. وذلك بالطبع فيما يتعلق بالتطور التاريخي لسكان المملكة. والأمل أن تؤدي النهضة الإحصائية المقبلة على المملكة، والتي ستحقق خطة التنمية الثالثة جانبا كبيرا منها، الى تحسين امكانيات البحث أمام الباحثين في شئون السكان في المملكة في المستقبل باذن الله. حيث ستكون تحت أيديهم مصادر أدق وأشمل للبيانات السكانية، التي عرضنا لطرف منها في الفصول السابقة من هذا الباب.

يقدر عدد سكان المملكة في عام ١٩٣٢ برقم يتراوح بين ١,٥ و ٢ مليون نسمة. موزعين على النحو التالي: حوالى النصف على الأقل زراع مستقرون. وأكبر من الربع بدورحل ، والباقي (حوالى الخمس أو أكثر قليلا) يعيشون في المدن. وتقدر بعض المصادر الأخرى عدد سكان المدن - حوالى ثلاثين مدينة داخلية وساحلية - في فترات مختلفة قبل الحرب العالمية الثانية بنحو ٣٣٠,٠٠٠ نسمة.

وكانت مكة المكرمة هى أكبر المدن حجما، ولم يزد عدد سكانها في ذلك الحين على خمسين ألف نسمة. أما دخل الدولة في تلك الفترة فكان يقوم أساسا على الزراعة في الواحات (وهى زراعة بسيطة بالطبع) والصيد على نطاق ضيق على امتداد سواحل المملكة الكبيرة، وصيد اللؤلؤ من الخليج العربى، ورعى البدو لأغنامهم، والتجارة (خاصة في المنطقة الغربية: الحجاز)، والدخل الناتج عن

الحج (وكان يقدر بحوالى ثلاثة ملايين جنيه استرليني سنوياً)<sup>(١)</sup> . ولم تكن هناك طرق مرصوفة ، ولا خطوط للسكك الحديدية (حيث ان سكة حديد الحجاز لم يعد اصلاًحها) ، وبعض تجهيزات التلغراف ونظام بريدى محدود كانت السلطات التركية قد بدأت أوائلاً هذا القرن . كما أن متوسط دخل الفرد كان من أقل متوسطات الدخول فى العالم على الإطلاق أما البناء الإدارى فكان أولياً وتقليدياً ، حيث كان البناء السياسى والإدارى للمملكة فى مراحل تطوره الأولى .

ولم يطرأ على الأحوال الاقتصادية والاجتماعية للمملكة تغير جوهري حتى بعد سنوات الحرب العالمية الثانية . اذ على الرغم من أن الحكومة السعودية كانت قد منحت امتيازاً للتنقيب عن البترول - فى عام ١٩٣٣ - لشركة ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا (التي انضمت إليها بعد شركة تكساكو ، وشركة استاندارد أويل أوف نيوجرسى وشركة موبيل أويل مكونة الشركة العربية الأمريكية للزيت) ، وتم بالفعل تصدير أول شحنة من البترول السعودى فى عام ١٩٣٨ . برغم ذلك لم تحدث تغيرات جوهريه كما أشرنا لأن ظروف الحرب العالمية الثانية قد عوقت تطوير عملية استغلال الثروة البترولية ، بحيث اننا نجد اليوم أن انتاج عام ١٩٤٤ كله لم يكن يزيد على انتاج ثلاثة أيام فقط من انتاج عام ١٩٦٩ .

ومع ضعف الامكانيات المالية للمملكة فى ذلك الوقت وقلة عدد سكانها ، وضعف الانتاج القومى ، الا أنها كانت تحظى مع ذلك بمكانة بارزة بين البلاد العربية . ويرجع ذلك الى أنها تضم المقدسات الاسلامية على أرضها الطاهرة ، والى الشخصية الفذة التى كان يتمتع بها عاهل المملكة ومؤسسها الملك الراحل عبد العزيز آل سعود . ولانسى كذلك بعداً آخر هام وهو أن كثيراً من البلاد

---

(١) تعتمد بعض بيانات هذا الفصل على المعلومات الواردة فى المرجع التالى :

Clarke, J.I. and Fisher, W.B. ( eds) populations of the Middle East and North Africa, A geographical Approach, African Publishing corporation, New York, 1972, Chapter 10. "Saudi Arabia: Population".



العربية لم تكن حتى ذلك الحين قد حصلت على استقلالها الذاتي ، في الوقت الذي كانت المملكة تنعم فيه بالاستقلال والحرية والوحدة تحت راية التوحيد . ويرتبط تاريخ المملكة العربية السعودية بعد الحرب العالمية الثانية أوثق الارتباط بالتوسع الهائل في صناعة الزيت وباستخدام عائدات الزيت في أغراض التنمية . وتتضح لنا ضخامة ذلك التوسع في صناعة الزيت عندما نعرف أن انتاج الزيت قد ارتفع خلال الفترة من ١٩٤٦ حتى ١٩٦٨ من ٦٠ مليون برميل الى ١,١٤٤ مليون برميل ، وارتفعت إيرادات الحكومة من عائدات الزيت من حوالى ٣٥ مليون ريال في عام ١٣٦٥هـ (١٩٤٦م) الى حوالى ٣٥٠٠ مليون ريال في عام ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م) الى حوالى ٩٣٤٧ مليون ريال في العام التالى ١٣٨٩/٩٠هـ ، وإلى ١٤٠٥٥ مليون ريال في العام الذى يليه ١٣٩٠/٩١هـ ، و ١٨٣٧٣ مليون ريال في عام ٩٢/٩١هـ ثم الى ٢٨٠٩٥ مليون ريال في ٩٣/٩٢هـ و ٧٩٨٤٩ في عام ٩٤/٩٣ و ١٢٨٧٢٦ مليون ريال في عام ١٣٩٤/٩٥هـ

ولا شك أن ذلك النمو الهائل في عائدات الزيت قد يسر وضع المجتمع السعودى على عتبة العصر الحديث ، ومكنه من أن يواجه لأول مرة مواجهة قوية ظروف البيئة الشاقة التى كانت تحيط به طوال تاريخه ، وينطلق في عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية بمعدل لم يسبق له مثيل في التاريخ المعاصر . ولكنه مكنه في نفس الوقت من اكتساب وضع أرسخ وأقوى على الصعيدين العربى والعالمى .

\*\*\*

### تعداد السكان الأول ١٣٨٣ هـ

سوف يرتبط عهد جلالة الملك فيصل آل سعود في تاريخ المملكة السعودية ببدء الجهود الجبارة نحو اكمال الرسالة العظيمة التى بدأها والده العظيم ، وأعنى العمل على تكوين الدولة الحديثة . وهكذا فجر فيصل العظيم نهضة اقتصادية واجتماعية هائلة وغرس لأول مرة في نظام الادارة السعودية مبدأ التخطيط من أجل التنمية . وكان من الطبيعى أن يركز العمل التخطيطى الرشيد على الاهتمام بعمليات التوثيق والاحصاء وغيرها . وهكذا أجرى أول تعداد للسكان في المملكة العربية

السعودية في عام ١٣٨٣ - الموافق ١٩٦٢/٦٣. ومع أن جانباً من نتائج ذلك التعداد قد نشرت إلا أنها لم تقر بصفة رسمية لبعض الأخطاء وأوجه القصور التي اتضحت بها بعد ذلك . وقد نشرت مصلحة الإحصاءات التابعة لوزارة المالية والاقتصاد الوطنى جانباً من تلك النتائج في عام ١٩٦٣. وتتضمن الإحصائيات المنشورة بيانات عن النوع (ذكر وأنثى) والمجموع الكلى للسكان . والفئات العمرية الكبيرة لسكان المدن الرئيسية (فيما عدا مدينة الرياض) . هذا ويوجد تحت أيدينا - علاوة على ذلك - توزيع غير منشور للفئات العمرية لكافة سكان المملكة .

ويبلغ اجمالى عدد سكان المملكة وفقاً لتعداد عام ١٣٨٣ هـ ٣,٣٠٢,٣٣٠ نسمة . ويصور الجدول رقم (١) البناء لعمري لأولئك السكان . ومن نقاط الضعف الظاهرة في هذه الأرقام تداخل فئتي العمر المتوسطين . كما يلاحظ على أرقام الجدول بعض السمات المميزة للتحضر في البلاد النامية بصفة عامة والتي يتوقع أن نصادفها في مدن المملكة ، وهي ارتفاع نسبة الشباب في فئة العمر الممتدة من عشر سنوات الى ثلاثين سنة على نحو يفوق نسبة أبناء تلك الفئة الى مجموع سكان المملكة . والسمة الثانية هي ارتفاع نسب الذكور بين سكان المدن على نحو يفوق أيضاً نسبتهم الى اجمالى سكان المملكة .

وقد لاحظ جيرالد بريز على سكان المدينة في البلاد النامية بصفة عامة أننا اذا تأملنا أعمار سكان الحضر في تلك البلاد لاتضح لنا أن نسبة عالية من السكان تقع في فئة العمر من ١٥ - ٤٠ سنة . وغالباً ما نجد أن عدد الأطفال صغير نسبياً بالقياس الى نسبتهم العامة في مجموع سكان البلد . وتفسير ذلك أن معظم كبار السن من القرويين لايهاجرون الى المدينة ، وإنما يميلون الى البقاء في القرية . ثم انه لما كان معدل الوفيات في الحضر هو نفس معدل الوفيات في ريف البلاد النامية ، فمن غير المتوقع أن تكون هناك نسبة كبيرة من السكان في الفئات العمرية المتقدمة . وان كان هذا الوضع العام قد بدأ يتغير تدريجياً في السنوات الأخيرة بسبب التقدم الهائل في مستوى الصحة العامة . والرعاية الطبية التي زادت متوسط العمر بشكل ملحوظ .

جدول رقم (١)  
سكان أربعة مدن رئيسية في المملكة موزعين على حسب النوع والعمر  
طبقاً لبيانات تعداد ١٣٩٤ (\*)

| النوع النسبة المئوية |      | الفئات العمرية (الأعداد) |            |       |        |              | اسم المدينة                          |
|----------------------|------|--------------------------|------------|-------|--------|--------------|--------------------------------------|
| اناث                 | ذكور | المجموع الكلي            | ٥٠- فوق ال | ٥٠-٣٠ | ٣٠-١٠  | تحت ١٠ سنوات |                                      |
| ٤٧                   | ٥٣   | ١٥٨٦٤١                   | ١١٥٤٧      | ٣٣٩٣٦ | ٥٧٢٨٥  | ٥٥٨٧٣        | مكة المكرمة                          |
| ٤٣                   | ٥٧   | ١٤٧٨١١                   | ١١٢٦٣      | ٣٤٣١٤ | ٥٢٢٧٥  | ٤٩٩٥٩        | جدة                                  |
| ٤٨                   | ٥٢   | ٧١٩٩٨                    | ٥٩٩٩       | ١٥١٧٤ | ٢٥٢٥٢  | ٢٥٥٧٣        | المدينة                              |
| ٤٦                   | ٥٤   | ٥٣٩٥٤                    | ٢٣٥٨       | ٩٠٣٠  | ١٩٩١٣  | ٢٢٦٥٣        | الطائف                               |
| -                    | -    | ٤٣٢٤٠٤                   | ٣١١٦٧      | ٩٢٤٥٤ | ١٥٤٧٢٥ | ١٥٤٠٥٨       | اجمالي المدن الأربعة                 |
| -                    | -    | ١٠٠                      | ٧,٣        | ٢١,٤  | ٣٥,٧   | ٣٥,٦         | النسبة المئوية من مجموع سكان المدن   |
| -                    | -    | ١٠٠                      | ١٠,٠       | ٢١,٤  | ٣٠,٨   | ٣٧,٨         | النسبة المئوية من مجموع سكان المملكة |

المصدر: مصلحة الإحصاءات العامة، المملكة العربية السعودية، مسح السكان والمؤسسات، أبريل ١٩٦٣، وقد نقلناه عن:

Clarke and Feisher, Populations of the Middle East and North Africa, op. cit., p. 225

أما عن خصائص سكان الحضر من حيث الاختلافات في النوع (ذكر أو أنثى) فتختلف بين أجزاء العالم المختلفة. فنجد في الدول الغربية المتقدمة اقتصاديا أن الطابع العام هو زيادة عدد الاناث على عدد الذكور في المناطق الحضرية. أما بالنسبة لمعظم البلاد النامية فنجد أن المناطق الحضرية تتميز بزيادة عدد الذكور على الاناث (١).

الا أن أرقام ذلك الجدول تكشف عدا هذا عن بعض السمات السكانية المميزة لمجتمع المملكة. حيث نلاحظ أن نسبة الأطفال دون العاشرة في المملكة مرتفعة بشكل غير عادي، حتى في ضوء المعايير الشائعة في جنوب غرب آسيا. وهناك معلومات أخرى أكثر تفصيلا عن التوزيع العمري للسكان متضمنة في تقرير نشرته منظمة الصحة العالمية في يوليو ١٩٦٣. وقد أعدت البيانات لفريق باحثي منظمة الصحة العالمية السلطات السعودية، وقد حصلت عليها من بحث بالعينة أجراه هذا الفريق نفسه. واتضح من تلك البيانات أن النسبة المئوية للسكان تحت خمس عشرة سنة في ٦٢ قرية في منطقة الطائف تبلغ ٤٩,٣٪، على حين تصل نسبة السكان تحت ١٥ سنة في منطقة الرياض الى ٤١,٢٪ بينما تبلغ نسبة السكان في فئة العمر ١٥-٥٩ سنة ٥٤,٥٪، ونسبة السكان في فئة ٦٠ سنة فأكثر ٤,٣٪.

كما قدر التقرير- نسبة الوفيات الخام - على أساس بعض الدراسات بالعينة - بحوالى ٢٤ فى الألف ، وقدر نسبة وفيات الرضع فى المنطقة بحوالى ٢٦٠ لكل ألف من المواليد الأحياء . وقد أشار التقرير المذكور الى تأثير سوء التغذية والأمراض على تقصير أمد الحياة بين السكان، ومع أن جانبا كبيرا من الملاحظات التى أبداهـا التقرير المذكور قد أصبحت اليوم فى عداد التاريخ بفضل الجهود الصحية والخدمات التموينية والرفاهية الاقتصادية التى حققتها حكومة المملكة الرشيدة لصالح أبناء الشعب، الا أن المجال مازال متسعا لمزيد من التقدم فى هذا السبيل .

---

(١) أنظر بريز، مجتمع المدينة فى البلاد النامية، ترجمة محمد الجوهري، مرجع سابق، ص ص ١٥٢-١٥٣.

ونحن نعرف أن خطط التنمية- سواء التى انتهت أو الجارية بعد- سوف تعمل على تدارك كل نقص فى هذا الميدان. وقد قدر التقرير المذكور أمد الحياة المتوقع عند الميلاد بما لا يزيد على ثلاثين سنة للفرد، هذا برغم عدم توفر البيانات اللازمة لوضع جداول الحياة لسكان المملكة بسبب نقص البيانات الإحصائية.

وأشارت بيانات منظمة الصحة العالمية الى أن معدل المواليد فى قريتي ارجا ومنفوحة (على سبيل المثال) كان ٣٥، ٤٢، ٧٢، ٥١ على التوالي. وقد قدر التقرير أنه بسبب التبكير فى الزواج وارتفاع الخصوبة بين النساء وارتفاع نسبة الأطفال تحت ١٥ سنة بين السكان الريفيين والحضرين على السواء، قدر التقرير أنه بسبب ذلك يتوقع ألا تقل نسبة الزيادة بين السكان الريفيين عن ١، ٥٪. ولكن الإحصائيات التى توفرت عقب هذا، وكذلك بيانات الدراسات والاجتهادات الأخرى أثبتت بما لا يدع مجالا لأى شك أن معدلات الزيادة الطبيعية أعلى من ذلك بكثير<sup>(١)</sup>.

أما عن توزيع السكان على المناطق المختلفة فى المملكة فنلاحظ ذلك الارتباط القوى الواضح بين أعداد السكان والظروف البيئية لكل منطقة، وخاصة كمية الأمطار التى تسقط، وتوفر موارد المياه الجوفية، وشكل الأرض. وهكذا نجد أنه فى حين تبلغ كثافة السكان العامة على مستوى المملكة- وفقا لإحصاء عام ١٣٨٣ - ٣ نسمة فى الكيلومتر المربع، تبلغ كثافة السكان فى الجزء الجنوبى الغربى من المملكة أعلى نسبة لها وهى ٢٩ نسمة فى كم ٢ الواحد، بينما نجد المناطق الصحراوية الرملية الثلاثة غير مأهولة بالسكان. (وهى الربع الخالى والهفوف، والنفود). ويسكن جانب كبير من السكان فى الواحات المنتشرة فى الصحراء والتى تفصلها عن بعض مساحات شاسعة من الصحراوات غير المأهولة. كذلك تتميز الوحدات العمرانية القائمة بصغر الحجم بصفة عامة. فنجد فى تعداد عام ١٣٨٣ أن عدد الوحدات العمرانية التى يزيد حجمها على ٢٠ ألف نسمة لم يزد عن ١١ وحدة فقط. فى حين يمثل السكان البدو ٨٢، ٢٠٪ من مجموع سكان المملكة وفقا لبيانات التعداد المذكور.

(١) أنظر كلارك وفيشر، سكان الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، مرجع سابق، ص ٢٢٥.

ولم تنشر من بيانات ذلك التعداد معلومات تسمح لنا بتصنيف سكان المملكة بدقة إلى حضرين، وريفيين وبدو. ولكن في ضوء التقدير السابق للسكان البدو (٨٢، ٢٠) وتقدير حجم السكان المشتغلين في القطاع الزراعي بحوالى ٦٠-٥٠٪ (مع أنه من المحتمل أن تكون نسبة صغيرة منهم شبه رحل)، يمكن عمل التصنيف العام المبدئي التالى (أنظر جدول رقم (٢)).



### تعداد السكان لعام ١٣٩٤هـ

جرى تنفيذ هذا التعداد خلال شهر شعبان من عام ١٣٩٤هـ. والجدير بنا أن نعتبر هذا التعداد أول التعدادات الصحيحة وأكمل أعمال جمع البيانات التى تمت فى المملكة حتى الآن من حيث الدقة والانضباط. وهو ليس تعدادا للسكان فحسب، ولكنه على حسب التسمية الرسمية «تعداد للسكان والمساكن فى المملكة العربية السعودية». وقد أشار معالى وزير المالية والاقتصاد الوطنى فى تقديمه لكراسة البيانات الأولية للتعداد الى أن مصلحة الاحصاءات العامة قد بذلت أقصى الجهود الممكنة للوصول الى «أكثر ما يمكن التوصل اليه من دقة». ولذلك «كان من الضرورى أن تتم مراجعة شاملة وبوسائل مختلفة لمطابقة وتدقيق النتائج التى ظهرت فور اجراء التعداد. وقد استغرق اجراء هذه المراجعة سنة واحدة تقريبا، أمكن بعدها لمصلحة الاحصاءات العامة أن تنشر هذه النتائج بشكلها الذى تحتويه هذه النشرة. ويجرى حاليا تصنيف النتائج على أجهزة التبويب الآلى. وستنشر المصلحة تباعا نشرات تفصيلية عن كل منطقة من مناطق المملكة يتم جمعها فى بيانات تفصيلية موحدة». كما وعد معالى الوزير بتكرار هذا التعداد فى أقرب فرصة ممكنة، حيث سيتم التركيز فيه على تعداد المهجر والبادية (١)

---

(١) المملكة العربية السعودية، وزارة المالية والاقتصاد، مصلحة الاحصاءات العامة، التعداد العام للسكان

لعام ١٣٩٤هـ. البيانات الأولية على مستوى المناطق الادارية والامارات التابعة، مطابع المنطقة الوسطى،

الرياض، ص ص ١-٢.

جدول رقم (٢)  
تقسيم سكان المملكة على حسب نوع الاستقرار

| نوع الاستقرار  | عدد السكان | النسبة المئوية |
|----------------|------------|----------------|
| حضرىون         | ٨٠٠,٠٠٠    | ٢٤             |
| بدو            | ٧٠٠,٠٠٠    | ٢١             |
| ريفىون مستقرون | ١,٨٠٠,٠٠٠  | ٥٥             |
| المجموع الكلى  | ٣,٣٠٠,٠٠٠  | ١٠٠            |

وبىلغ اجمالى عدد سكان المملكة وفقا لهذا التعداد ٧,٠١٢,٦٤٢ نسمة موزعين على المناطق الادارية المختلفة على حسب ماهو وارد فى الجدول رقم ٣.

ولاتسمح لنا كراسة البيانات الأولية عن تعداد عام ١٣٩٤هـ بالوقوف على التوزيع العمرى لهؤلاء السكان ولا عن التوزيع النوعى (ذكروواناث) . ولاشك أن اضطراد العمل فى اعداد بيانات التعداد سوف يثمر نشر هذه البيانات فى القريب حيث يتسنى لنا عمل تحليلات وملاحظات أكثر عمقا وأبعد دلالة على خصائص سكان المملكة.

الا أن الكراسة تتضمن بيانا هاما عن سكان المدن الرئيسية بالمملكة التى يزيد عدد سكانها على ثلاثين الف نسمة، وأهمية هذا البيان أنه يسمح لنا بالمقارنة بين حجم سكان الحضر كما هو وارد فى التعداد السابق، وحجمهم الذى كشف عنه هذا التعداد الأخير. ثم ان مقارنة الرقمين تدلنا دلالة واضحة على سرعة النمو

جدول رقم (٣)  
سكان المملكة حسب المناطق الادارية

| السكان  |         |         | عدد الأسر | عدد المسميات<br>السكانية(*) | المنطقة الادارية |
|---------|---------|---------|-----------|-----------------------------|------------------|
| الجملة  | رجل     | مستقرون |           |                             |                  |
| ١٢٧٢٢٧٥ | ٣٠.٦٤٧٠ | ٩٦٥٨٠٥  | ١٩٨٩٣٦    | ١٩٩٢                        | الرياض           |
| ١٧٥٤١٠٨ | ٢٤.٤٧٤  | ١٥١٣٦٣٤ | ٣٢٥٧٨٩    | ٤٠٨٨                        | مكة المكرمة      |
| ٧٦٩٦٤٨  | ٧٩٤٦٠   | ٦٩٠١٨٨  | ١٢٠٦٨٤    | ٦٦٧                         | المنطقة الشرقية  |
| ٦٨١٣٦١  | ٢٤٦٤٧٧  | ٤٣٤٨٨٤  | ١٢٧١٣١    | ٤٥٩٧                        | عسير             |
| ٥١٩٢٩٤  | ٢٣٧.٩٩  | ٢٨٢١٩٥  | ٩٨٨٣٥     | ١٧٤٢                        | المدينة المنورة  |
| ٤٠٣١٠٦  | ١٥٩٤٥   | ٣٨٧١٦١  | ٨٥٤٨٣     | ٤٥٣٧                        | جيزان            |
| ٣١٦٦٤٠  | ١٠١١٩٣  | ٢١٥٤٤٧  | ٤٨٧٢٤     | ٥٠٩                         | القصيم           |
| ٢٥٩٩٢٩  | ١٤٢٧١٩  | ١١٧٢١٠  | ٤٥٣٣٨     | ٥٤٠                         | حائل             |
| ١٩٣٧٦٣  | ٨٨٣٧٥   | ١٠٥٣٨٨  | ٣٣٦٤٢     | ٤٧٢                         | تبوك             |
| ١٨٥٩٠٥  | ٢٨٩٠٨   | ١٥٦٩٩٧  | ٣٤٣٢٣     | ١٢٩٦                        | الباحة           |



تابع جدول رقم (٣)  
سكان المملكة حسب المناطق الإدارية

|         |         |         |         |       |                                      |
|---------|---------|---------|---------|-------|--------------------------------------|
| ١٤٧٩٧٠  | ٥٦٤١٥   | ٩١٥٥٥   | ٢٦٥٦٩   | ٢٤٢   | نجران                                |
| ١٢٨٧٤٥  | ٨٦٠٧٩   | ٤٢٦٦٦   | ١٩٣٤٥   | ١٣٠   | الحدود الشمالية                      |
| ٦٥٤٩٤   | ٣١٤٠١   | ٣٤٠٩٣   | ١٠٢٤٣   | ٨٥    | الجوف                                |
| ٣١٤٠٤   | ١٢٩٧٢   | ١٨٤٣٢   | ٥٨٧٣    | ٩٨    | القريات                              |
| ٢١٠٠٠٠  | ٢١٠٠٠٠  | -       | ٣٠٠٠٠   | -     | بادية على الحدود                     |
| ٧٣٠٠٠   | -       | ٧٣٠٠٠   | -       | -     | سعوديون مقيمون في الخارج وقت التعداد |
| ٧٠١٢٦٤٢ | ١٨٨٣٩٨٧ | ٥١٢٨٦٥٥ | ١٢١٠٩١٥ | ٢٠٩٩٥ | الجملة                               |

★ المسميات السكانية: تشمل المدن والقرى والحجر والمزارع وموارد المياه وأماكن تجمع البادية.

الحضرى فى المملكة؁ كما أشرنا فى فصل سابق من هذا الباب. كما تدل هذه البيانات (أنظر الجدول رقم ٤) على زيادة عدد المدن الرئيسية عن التعداد السابق؁ وأن هذه المدن أصبحت تمثل وحدات حضرية حقيقية؁ أى أنها بدأت تعيش وفقا لنمط الحياة الحضرى.

أما عن توزيع السكان على المناطق المختلفة فى المملكة وفقا لبيانات هذا التعداد فما زلنا نلاحظ الارتباط القوى بين أعداد السكان والظروف البيئية لكل منطقة الذى أكدنا عليه فى عرضنا لبيانات تعداد عام ١٣٨٣. فما زالت منطقة مكة المكرمة تمثل أكبر المناطق من حيث عدد السكان؁ وما زالت المناطق الصحراوية كالحدود الشمالية؁ والجوف؁ والقرىات تمثل أقل المناطق عددا فى السكان. وسوف أعرض فيما يلى لنموذجين يمثل كل منهما المناطق السكانية الكبرى؁ ويمثل الآخر المناطق القليلة السكان؁ انظر الجدولين رقم (٥) ورقم (٦):

جدول رقم (٤)  
المدن الرئيسية بالملكة التي يزيد عدد سكانها على ثلاثين  
ألف نسمة مرتبة على حسب حجم السكان

| عدد السكان | عدد الأسر | المنطقة الادارية | المدينة         |
|------------|-----------|------------------|-----------------|
| ٦٦٦٨٤٠     | ١٠١٥٠٦    | الرياض           | الرياض          |
| ٥٦١١٠٤     | ٩٧٣٦٣     | مكة المكرمة      | جدة             |
| ٣٦٦٨٠١     | ٦٧٩٤٧     | مكة المكرمة      | مكة المكرمة     |
| ٢٠٤٨٥٧     | ٣٠٨٨٧     | المنطقة الشرقية  | الطائف          |
| ١٩٨١٨٦     | ٣٥٣٩٠     | المنطقة الشرقية  | المنطقة الشرقية |
| ١٢٧٨٤٤     | ٢١٥١٣     | المنطقة الشرقية  | المنطقة الشرقية |
| ١٠١٢٧١     | ١٤٥٥١     | المنطقة الشرقية  | المنطقة الشرقية |
| ٧٤٨٢٥      | ١٠٦٩٦     | المنطقة الشرقية  | المنطقة الشرقية |
| ٦٩٩٤٠      | ٨٧٧٤      | المنطقة الشرقية  | المنطقة الشرقية |
| ٥٤٣٢٥      | ٧٧٧٥      | المنطقة الشرقية  | المنطقة الشرقية |
| ٤٩٥٨١      | ٨١٤٢      | المنطقة الشرقية  | المنطقة الشرقية |
| ٤٨٨١٧      | ٩٠٢٣      | المنطقة الشرقية  | المنطقة الشرقية |
| ٤٧٥٠١      | ٩١٤٩      | المنطقة الشرقية  | المنطقة الشرقية |
| ٤٠٥٠٢      | ٦٠٦٥      | المنطقة الشرقية  | المنطقة الشرقية |
| ٣٢٨١٢      | ٥٦٤٨      | المنطقة الشرقية  | المنطقة الشرقية |
| ٣٠١٥٠      | ٥٤١٣      | المنطقة الشرقية  | المنطقة الشرقية |

جدول رقم (٥) - سكان منطقة مكة المكرمة»

| الامارة | الامارة التابعة             | عدد<br>المسيمات | عدد الأسر | السكان  |       | الجملة  |
|---------|-----------------------------|-----------------|-----------|---------|-------|---------|
|         |                             |                 |           | مستقرون | رحل   |         |
|         | مكة المكرمة                 | ١               | ٦٧٩٤٧     | ٣٦٦.١٢  | ٧٨٩   | ٣٦٦٨.٠١ |
|         | مسيمات تتبع<br>لقائمقام مكة | ١٨              | ٦٤٨       | ٢٠١١    | ١١٠١  | ٣١١٢    |
|         | شداد                        | ٤٥              | ١٠٨٩      | ٣٤٠٤    | ٢٢٥٦  | ٥٦٦٠    |
|         | الجيدى                      | ١٨              | ٥٣١       | ١٠٨٦    | ١١١٦  | ٢٢٠٢    |
|         | بحرة                        | ١٦              | ١٢٧٩      | ٥٧٨٢    | ١٢٦٦  | ٧٠٤٨    |
|         | دفاق                        | ٢٠              | ٩٥٤       | ٤١      | ٤٨٠٩  | ٤٨٥٠    |
|         | أم الراكدة                  | ٢٥              | ٦٣٨       | ١١٧٦    | ١٦٢٠  | ٢٧٩٦    |
|         | سعياء                       | ٧               | ٢١١       | ٦٧٩     | ١٧٤   | ٨٥٣     |
|         | اليضاء                      | ١٠              | ٣٧٦       | ٣١١     | ٩٩٩   | ١٣١٠    |
|         | السعدية                     | ٥               | ٤٢٨       | ٧١      | ١٥٨٧  | ١٦٥٨    |
|         | جملة الامارة                | ١٦٤             | ٦٢٥٤      | ١٤٥٦١   | ١٤٩٢٨ | ٢٩٤٨٩   |

تابع جدول رقم (٥)

|        |       |        |       |    |                                           |
|--------|-------|--------|-------|----|-------------------------------------------|
| ٢٧٩١   | -     | ٢٧٩١   | ٥٤٨   | ١٠ | مدينة جدة<br>مسميات تتبع المدينة<br>ذهبان |
| ٥٦١١٠٤ | ١٢٠   | ٥٦٠٩٨٤ | ٩٧٣٦٣ | ١  |                                           |
| ٣٩٦٤   | ٢١    | ٣٩٤٣   | ٧٢٤   | ٢٧ |                                           |
| ٢٩٧٨   | ١١٥٢  | ١٨٢٦   | ٥٩٨   | ٢٤ |                                           |
| ٥٦٨٠٤٦ | ١٢٩٣  | ٥٦٦٧٥٣ | ٩٨٦٨٥ | ٥٢ | جملة الامارة                              |
| ٨٥١٠   | ٨٢٢   | ٧٦٨٧   | ١٨٧٨  | ٩  | مركز الامارة                              |
| ٣٣٧٧   | ٨٤٩   | ٢٥٢٨   | ٨٦١   | ١٢ | القضية                                    |
| ٣١٠٣   | ٥٣٤   | ٢٥٦٩   | ٨٥٩   | ٥  | ثول                                       |
| ٤٢٩١   | ٤٢٢٣  | ٥٨     | ١٠٧٠  | ٩  | التوزيع                                   |
| ٢٩٩٢   | ٧٠٨   | ٢٢٨٤   | ٧٤٩   | ١١ | مستوره                                    |
| ٥٤٨٢   | ٤٠٧٨  | ١٤٠٥   | ١٣٤٣  | ١٧ | حجر                                       |
| ٣٣٨٣   | ٤٦٢   | ٢٩٢١   | ٧٤٢   | ٣٣ | الأبواء                                   |
| ٣١١٣٨  | ١١٦٨٥ | ١٩٤٥٣  | ٧٥١٢  | ٩٦ | جملة الامارة                              |

تابع جدول رقم (٥)

| السكان |       |         | عدد الأسر | عدد المسميات | الامارة التابعة | الامارة |
|--------|-------|---------|-----------|--------------|-----------------|---------|
| الجملة | رجل   | مستقرون |           |              |                 |         |
| ٥٠٣٠   | ٢١٠٩  | ٢٩٢١    | ١٢٠٠      | ٢٨           | مركز الامارة    |         |
| ٥٢٨٧   | ٥١٣٦  | ١٥١     | ١٣٣١      | ١٤           | البريكة         |         |
| ٤٤٥٧   | ٢٩٩٧  | ١٤٦٠    | ٩٥١       | ١٦           | السليم          |         |
| ١٤٧٧٤  | ١٠٢٤٢ | ٤٥٣٢    | ٣٤٨٢      | ٥٨           | جملة الامارة    |         |
| ١٢٣٤٦  | ١٩٢٩  | ١٠٤١٧   | ٢٩٦٢      | ٧            | مسميات الامارة  |         |
| ١٤٢٧   | ٣٩    | ١٣٨٨    | ٣٥٩       | ٤            | ام الجرم        |         |
| ٤٣١٠   | ١٨٤٨  | ٢٤٦٢    | ١١٥١      | ١٣           | البرزة          |         |
| ١٨٨٣   | ٢٨١٦  | ١٤٢٦٧   | ٤٤٧٢      | ٢٤           | جملة الامارة    |         |
| ١٠٥٠٤  | ٥٤٣٦  | ٥٠٦٨    | ٢٧٥٥      | ٦٩           | مركز الامارة    |         |
| ٤٠٨٥   | ٣٢٦٧  | ٨١٨     | ٨١٤       | ١٧           | حرة ذرة         |         |
| ٢٥٩٨   | ٢٥٢   | ٢٣٤٦    | ٩٨٤       | ١٣           | غريد التراجمة   |         |
| ١٧١٨٧  | ٨٩٥٥  | ٨٢٣٢    | ٤٥٥٣      | ٩٩           | جملة الامارة    |         |

تابع جدول رقم (٥)

| السكان |      |         | عدد الأسر | عدد المسميات | الإمارة التابعة | الإمارة |
|--------|------|---------|-----------|--------------|-----------------|---------|
| الجملة | رجل  | مستقرون |           |              |                 |         |
| ٤٦٠١   | ٣٣١٨ | ١٢٨٣    | ١٠٧٦      | ١٩           | مركز الإمارة    |         |
| ٢٢٨٤   | ١٢٩٦ | ٩٨٨     | ٥٧٨       | ١٥           | رهاط            |         |
| ٣٤٢١   | ٢٢٨٣ | ١١٣٨    | ٧٢٨       | ١٧           | القفيف          |         |
| ١٠٣٠٦  | ٦٨٩٧ | ٣٤٠٩    | ٢٣٨٢      | ٥١           | جملة الإمارة    |         |
| ١٣٢٠٤  | ١٥٠٠ | ١١٧٠٤   | ٢٨٥٧      | ٢٦           | مركز الإمارة    |         |
| ٢٨٥٠   | ٢٧٠  | ٢٥٨٠    | ١٠١٦      | ١٨           | عسفان           |         |
| ١٧٢١   | ٤٥٦  | ١٢٦٥    | ٤٤٢       | ١٣           | الريان          |         |
| ١٦٨٧   | ٦٠٣  | ١٠٨٤    | ٣١١       | ٥            | عين شمس         |         |
| ٢٥٢٣   | ١٧٧  | ٢٣٤٦    | ٦١٣       | ٦            | هدى الشام       |         |
| ٢٢٩٠   | ٢٢٨٠ | ١٠      | ٥٦٦       | ٥            | القوارة         |         |
| ٢٤٢٧٥  | ٥٢٨٦ | ١٨٩٨٩   | ٥٨٠٥      | ٧٣           | جملة الإمارة    |         |





تابع جدول رقم (٥)

| السكان |       |         | عدد الأسر | عدد التسميات | الإمارة التابعة | الإمارة |
|--------|-------|---------|-----------|--------------|-----------------|---------|
| الجملة | رجل   | مستقرون |           |              |                 |         |
| ١٠٣٤٧  | ٩٨٣١  | ٥١٦     | ٢٠٣١      | ١٤           | قيا             |         |
| ١٣١٤٧  | ١٣٠٢٦ | ١٢١     | ٢٤٢٩      | ٢٢٢٢         | ابوراكه         |         |
| ١٣٩٩٤  | ١١٩٧  | ١٢٧٩٧   | ٢٨٥٣      | ٥٩           | بنى سعد         |         |
| ١٥٩٩١  | ٢٠٨٢  | ١٣٩٠٩   | ٢٩٥٧      | ١٣١          | ميسان           |         |
| ٤٧٤٥   | -     | ٤٧٤٥    | ٨٣٢       | ٣٥           | ثقيف            |         |
| ٦١٦٠١  | ١٢    | ١٠٦٠٤   | ١٦٢٩      | ١٢٨          | حداد بن مالك    |         |
| ١٢١٩٨  | -     | ١٢١٩٨   | ٢٠٦٤      | ١٧١          | القريع          |         |
| ٣٩٠٠٤١ | ٦٩١٩٥ | ٣٢٠٨٤٦  | ٦٤١٢٠     | ٩٩٤          | جملة الإمارة    |         |
| ١٠١٤٢  | ٧٥٠٣  | ٢٦٣٩    | ١٦٩٦      | ٢١           | مركز الإمارة    | الموية  |
| ٤      | -     | ٤       | ١         | ١            | الموية القديم   | الجديد  |
| ٥٩٠    | ٢٤٩   | ٣٤١     | ١٠٦       | ١            | دعبيجة          |         |

تابع جدول رقم (٥)

| السكان |       |         | عدد الأسر | عدد المسبات | الامارة التابعة | الامارة |
|--------|-------|---------|-----------|-------------|-----------------|---------|
| الجملة | رحل   | مستقرون |           |             |                 |         |
| ١٨٥٣   | ١٥٠٦  | ٣٤٧     | ٣٢٥       | ٦           | الحفر           |         |
| ١٢٥٨٠  | ٩٢٥٨  | ٣٣٣١    | ٢١٢٨      | ٣٩          | جملة الامارة    |         |
| ٣٩٦٦   | ٣٦٠٠  | ٣٦٦     | ٨٤٠       | ٧           | مركز الامارة    |         |
| ٦٠٥٦   | ٥٢١١  | ٨٤٥     | ١١٧١      | ٢٩          | المحاثي         |         |
| ١٠٠٢٢  | ٨٨١١  | ١٢١١    | ٢٠١١      | ٣٦          | جملة الامارة    |         |
| ٣٩١٣٨  | ٣٠٠١٢ | ٩١٢٦    | ٧١٢٥      | ٦٧          | مركز الامارة    |         |
| ٩٦٠    | ٥٦٤   | ٣٩٦     | ٢٠٠       | ١           | الحشرج          |         |
| ٤٠٠٩٨  | ٣٠٥٧٦ | ٩٥٢٢    | ٧٣٢٥      | ٦٨          | جملة الامارة    |         |
| ١٨٥٤٠  | ٩١٠٢  | ٩٤٣٨    | ٣٣٣٨      | ٧٢          | مركز الامارة    |         |
| ٤٢١٩   | ١٦٧٤  | ٢٥٤٥    | ٦٥١       | ٥           | الغريف          |         |
| ٢٢٧٥٩  | ١٠٧٧٦ | ١١٩٨٣   | ٣٨٨٩      | ٧٧          | جملة الامارة    |         |

تابع جدول رقم (٥)

| الجملة | السكان |         | عدد الأسر | عدد المسميات | الامارة التابعة | الامارة          |
|--------|--------|---------|-----------|--------------|-----------------|------------------|
|        | رحل    | مستقرون |           |              |                 |                  |
| ٢١٩٢   | ١٧٥٨   | ٤٣٤     | ٣٨٣       | ٦            | مركز الامارة    |                  |
| ٣٧٨    | ٣٧٨    | -       | ٦٦        | ٢            | الحفيرة         |                  |
| ٢٥٧٠   | ٢٢٣٦   | ٤٣٤     | ٤٤٩       | ٨            | جملة الامارة    |                  |
| ٥٩٣٨   | ٥٤٦٦   | ٤٧٢     | ١٠٣٧      | ٤٩           | مركز الامارة    | الدفيّة<br>الليث |
| ٣١٦٨   | -      | ٣١٦٨    | ٨٣٥       | ١٨           | الغالة          |                  |
| ١٣٠٧   | -      | ١٣٠٧    | ٢٥٩       | ١٧           | للم             |                  |
| ١٦٧٥   | -      | ١٦٧٥    | ٤١٣       | ٢٥           | غميقة           |                  |
| ٧٠٥٤   | ١٦٥    | ٦٨٨٩    | ١٦٤٧      | ١٦١          | الشواق          |                  |
| ٨٢٤٥   | ١٧٩٤   | ٦٤٥١    | ٢١٦١      | ٨٧           | الجائزة         |                  |
| ٧٠٢٨   | ١٣٠٢   | ٥٧٢٦    | ١٤٦٢      | ٣٦١          | اضم             |                  |
| ١٢٦٦٤  | ٢٧٦٠   | ٩٩٠٤    | ٢٨٥٩      | ٢٥٦          | بنى يزيد        |                  |
| ٤٩٠٦   | ٤٨١٨   | ٨٨      | ٩٥٢       | ٢٨           |                 |                  |
| ٤٦٠٤٧  | ١٠٨٣٩  | ٣٥٢٠٨   | ١٠٥٨٨     | ٩٥٣          | جملة الامارة    |                  |

تابع جدول رقم (٥)

| السكان |       |         | عدد الأسر | عدد المسيمات | الامارة التابعة  | الامارة |
|--------|-------|---------|-----------|--------------|------------------|---------|
| الجملة | رحل   | مستقرون |           |              |                  |         |
| ١٠٣٦٨  | -     | ١٠٣٦٨   | ٢٥٨٦      | ٤٢           | مركز الامارة     | القنطرة |
| ١٢٤٧٢  | -     | ١٢٤٧٢   | ٣٢٩١      | ٧٦           | القوز            |         |
| ١٤١٩١  | -     | ١٤١٩١   | ٣٦٤٣      | ٩٧           | حلي              |         |
| ٧٢٩٢   | ١٢٣٩  | ٦٠٥٣    | ١٨٥٨      | ١١٠          | حرب وبنى عيس     |         |
| ١٠٤٤٦  | ١٧٤   | ١٠٢٧٢   | ٢٨٠٢      | ٨٦           | المظيلف          |         |
| ٤٢٦١   | -     | ٤٢٦١    | ١١٤٩      | ٣٦           | القدريج          |         |
| ٢١٦٠٩  | ٦١٥٩  | ١٥٤٥٠   | ٤٩٩٥      | ٣٠٨          | العرضية الشمالية |         |
| ٢٠٣٠٠  | ٢٤٨٤  | ١٧٨١٦   | ٤٣٦٣      | ٢١٣          | العرضية الجنوبية |         |
| ١٠٠٩٣٩ | ١٠٠٥٦ | ٩٠٨٨٣   | ٢٤٦٨٧     | ٩٦٨          | حجلة الامارة     |         |
| ٣٩٨٦   | ٣٣٠   | ٣٦٥٦    | ٧٩٧       | ٩١           | مركز الامارة     | البرك   |
| ٤٢٦    | -     | ٤٢٦     | ١١٤       | ١١           | ذهبان            |         |
| ٩٣١    | -     | ٩٣١     | ٢٤٤       | ١١           | عمق              |         |
| ٥٣٤٣   | ٣٣٠   | ٥٠١٣    | ١١٥٥      | ١١٣          | حجلة الامارة     |         |

تابع جدول رقم (٥)

| الجملة  | السكان |         | عدد الأسر | عدد المسميات | الإمارة التابعة        | الإمارة |
|---------|--------|---------|-----------|--------------|------------------------|---------|
|         | رجل    | مستقرون |           |              |                        |         |
| ٨٣٣٢    | ٨٧٣    | ٧٤٥٩    | ١٥٢٥      | ٥٧           | مركز الإمارة           | زنية    |
| ١٧٢٤٠   | ١٦٥٥٧  | ٦٨٣     | ٣٢٢٢      | ٦٣           | الأملح                 |         |
| ٢٥٥٧٢   | ١٧٤٣٠  | ٨١٤٢    | ٤٧٤٧      | ١٢٠          | جملة الإمارة           |         |
| ١٧٥٤١٠٨ | ٢٤٠٤٧٤ | ١٥١٣٦٣٤ | ٣٢٥٧٨٩    | ٤٠٨٨         | جملة منطقة مكة المكرمة |         |

جدول رقم (٦)  
سكان منطقة القريات

| الامارة | الامارة التابعة | عدد<br>المسبات | عدد الأسر | كان     |                                         |
|---------|-----------------|----------------|-----------|---------|-----------------------------------------|
|         |                 |                |           | مستقرون | رحل                                     |
| الجملة  |                 |                |           |         |                                         |
| ١٤٥٨١   | ٥٨٨٩            | ٨٦٩٢           | ٢٤٩١      | ٤       | مدينة القريات<br>وللمسبات التابعة<br>٥٨ |
| ٨٥٣     | ٥١              | ٨٠٢            | ١٥٤       | ٢       | -                                       |
| ٨٢١     | ٢٥٢             | ٥٦٩            | ١٥٠       | ٥       | -                                       |
| ٢٨٢     | ١٩٨             | ٨٤             | ٤٣        | ٢       | -                                       |
| ٧١٣     | ٣٥١             | ٣٦٢            | ١٥٨       | ٥       | -                                       |
| ٢٨١٥    | ٦٨٤             | ٢١٣١           | ٤٣٩       | ٢٦      | -                                       |
| ٢٨٨     | -               | ٢٨٨            | ٣٦        | ٢       | -                                       |
| ١١٨     | -               | ١١٨            | ١٩        | ٢       | -                                       |
| ١٠١     | ٧٨              | ٢٣             | ٣٣        | ٢       | -                                       |

تابع جدول رقم (٦)

| السكان |       |         | عدد الأسر | عدد المسميات | الإمارة التابعة | الإمارة |
|--------|-------|---------|-----------|--------------|-----------------|---------|
| الجملة | رجل   | مستقرون |           |              |                 |         |
| ١٩٦٩   | ٣٠٥   | ١٦٦٣    | ٥٠١       | ٨            | مركز الإمارة    |         |
| ٢٣     | -     | ٢٣      | ٨         | ٤            | ذات الحاج       |         |
| ٥١٢    | ١٢٦   | ٣٨٦     | ١٣٣       | ٥            | بئر بن هرماس    |         |
| ٢٥٠٤   | ٤٣٢   | ٢٠٧٢    | ٦٤٢       | ١٧           | جملة الإمارة    |         |
| ٤١٤٥   | ١٠٩٥  | ٣٠٥٠    | ٨٥٤       | ١٤           | مركز الإمارة    | حقل     |
| ٧٠     | -     | ٧٠      | ١٠        | ٢            | الدرة           |         |
| ٢٦٥٦   | ٢٥٦٢  | ٩٤      | ٥٤١       | ٥            | علقان           |         |
| ٤٤٨    | ٣٩٦   | ٥٢      | ٩٢        | ٢            | مدسوس           |         |
| ١٠٠٩   | ٩٨٤   | ٢٥      | ٢١١       | ٦            | أبا الحنضان     |         |
| ٨٣٢٨   | ٥٠٣٧  | ٣٢٩١    | ١٧٠٨      | ٢٩           | جملة الإمارة    |         |
| ٣١٤٠٤  | ١٢٩٧٢ | ١٨٤٣٢   | ٥٨٧٣      | ٩٨           | جملة المنطقة    |         |





## سلسلة

### دراسات في المجتمع العربي السعودي

صدر منها:

- ١ - علم الاجتماع المعاصر، تأليف الدكتور عبد الله الخريجي . الطبعة الاولى القاهرة ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .
- ٢ - مقدمة في علم السكان، تأليف الدكتور عبد الله الخريجي . والدكتور محمد الجوهري، الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م
- ٣ - مقدمة في علم السكان، تأليف الدكتور عبد الله الخريجي والدكتور محمد الجوهري الجزء الثاني عن الهجرة، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م
- ٤ - طرق البحث الاجتماعي، تأليف الدكتور محمد الجوهري والدكتور عبد الله الخريجي ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- ٥ - الضبط الاجتماعي، تأليف الدكتور عبد الله الخريجي ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
- ٦ - علم الاجتماع الاقتصادي، تأليف الدكتور عبد الله الخريجي ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- ٧ - بعض تجارب التنمية في الوطن العربي . دراسة لعمليات التهجير والتوطين، تأليف الدكتور عبد الله الخريجي ، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
- ٨ - علم الاجتماع العائلي، مع دراسة للأسرة في الاسلام، تأليف الدكتور عبد الله الخريجي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- ٩ - علم الاجتماع الديني، تأليف الدكتور عبد الله الخريجي ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
- ١٠ - نظم المجتمع الاسلامي، مع التطبيق على المجتمع العربي السعودي، تأليف الدكتور عبد الله الخريجي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

- ١١ - التنمية الاجتماعية ، تأليف الدكتور محمد الجوهري والدكتور عبد الله الخريجي ، الطبعة الأولى ، جدة . ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- ١٢ - التغير الاجتماعي والثقافي ، تأليف الدكتور عبد الله الخريجي ، الطبعة الأولى . ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

\*\*\*

كتب تحت الطبع :

- ١٣ - المجتمع العربي السعودي ، تأليف الدكتور عبد الله الخريجي .
- ١٤ - رواد النظرية الاجتماعية ، تأليف الدكتور عبد الله الخريجي والدكتور محمد الجوهري .

تطلب جميع الكتب من ملتزم التوزيع

رامتان ، جدة

المملكة العربية السعودية

ص ب رقم ٨٩٥٠